

قصص الأنبياء

للإمام ابن كثير



الجزء الثالث

- الياس عليه السلام
- داود عليه السلام
- سليمان عليه السلام
- زكريا ويحيى عليهما السلام
- عيسى عليه السلام

كتاب الجمهورية

يصدر عن

دار التحرير للطبع والنشر

رئيس مجلس الإدارة

سمير رجب

المشرف على التحرير

فاروق فهمى

امتياز الاعلانات :

شركة الاعلانات المصرية

٥ شارع نجيب الريحانى

ت : ٧٤٤١٦٦

التوزيع :

شركة التوزيع المتحدة

٢١ شارع قصر النيل

ت : ٣٩٢٣٧٤٩

المراسلات :

كتاب الجمهورية ٢٤ شارع

زكريا أحمد ت : ٧٥١٥١١

كتاب الجمهورية



الجزء الثالث

- الياس عليه السلام
- داود عليه السلام
- سليمان عليه السلام
- زكريا ويحيى عليهما السلام
- عيسى عليه السلام

تصميم الغلاف : الفنان ياسين درشه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ نَحنُ نَقصُّ عَليكَ أحْسَنَ القَصَصِ بِمَا أوْحَينا إليْكَ هٰذا القُرآنَ وإنْ كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلينَ ﴾ (١) .

﴿ ولَقدْ أرْسَلنا رسُلاً مِنْ قَبلِكَ مِنهُم مَنْ قَصصْنَا عَليكَ ومِنْهُم مَن لَمْ نَقْصُص عليْك .. ﴾ (٢) .

﴿ نَحنُ نَقصُّ عَليْكَ نَبأَهُم بالحَقِّ .. ﴾ (٣) .

﴿ وكلاًّ نَقصُّ عَليْك مِنْ أنْباء الرُّسل ما نُثبّتَ بهِ فُؤادَك ، وجَاءَك في هٰذِهِ الحَقُّ ومَوْعظةٌ وذِكْرَى للمُؤمنينَ ﴾ (٤)

﴿ لَقَدْ كانَ في قصَصِهِم عِبْرَةٌ لأُولِي الألْبَاب ، وما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى ولٰكِن تَصْدِيقَ الَّذي بَيْن يَدَيه وتَفْصِيلَ كُلّ شَيْءٍ وهُدًى ورَحْمةً لِقوْمٍ يُؤْمِنونَ ﴾ (٥) .

﴿ ... فاقْصُص القَصَص لَعلَّهُم يتَفكَّرونَ ﴾ (٦) .

﴿ وتِلْك حُجّتُنا آتَيْناها إبْراهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ، نَرْفعُ دَرَجات مَنْ نَشاءُ ، إنَّ ربَّكَ حَكِيمٌ عَليمٌ * ووَهَبْنا لَه إسْحَاقَ ويَعْقُوب ، كلاًّ هَدَيْنا ،ونُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبلُ ، ومِنْ ذُرّيتِهِ دَاوُدَ وسُلَيمانَ وأيُّوبَ ويُوسُفَ ومُوسَى وهَارُونَ ، وكَذٰلِكَ نَجْزِي المُحْسنينَ * وزَكريَّا ويَحْيَى وعِيسَى وإلْياسَ، كُلٌّ مِنَ الصَّالحِينَ* وإسْمَاعِيلَ واليسَعَ ويُونُسَ ولُوطاً، وكُلاًّ فَضلْنا عَلَى العَالمينَ﴾(٧)

﴿ تلكَ الرُّسلُ فَضّلْنا بَعْضَهم عَلى بَعْضٍ مِنْهُم مَنْ كَلَّمَ اللهَ ، ورَفَعَ بعضهُم دَرَجاتٍ ، وآتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَريَمَ البَيّنَاتِ وأيَّدناهُ برُوحِ القُدُسِ ، ولوْ شاءَ اللهُ ما اقْتَتَل الذِينَ مِنْ بَعْدِهِم مِنْ بَعْد ما جَاءتْهُم البيِّنَاتُ ولٰكن اخْتَلفُوا فمِنْهُم مَنْ آمَنَ ومِنْهُم مَنْ كَفرَ ، ولَوْ شاءَ اللهُ ما اقْتَتَلُوا ولٰكنَّ اللهَ يفْعَل ما يُرِيدُ ﴾ (٨) .

---

(١) يوسف ٣ .
(٢) غافر ٧٨
(٣) الكهف ١٣ .
(٤) هود ٢٠
(٥) يوسف ١١١ .
(٦) الاعراف ١٧٦
(٧) الانعام ٨٣ ـ ٨٦
(٨) البقرة ٢٥٣

الياس عليه السلام

اليسع عليه السلام

شمويل عليه السلام

داود عليه السلام

سليمان عليه السلام

زكريا عليه السلام

يحيى عليه السلام

قال الله تعالى بعد قصة موسى وهارون من سورة الصافات : ﴿ وإنَّ إليَاسَ لمِنَ المرسَلينَ * إذْ قالَ لِقومِه ألا تَتَّقون * أتدْعُونَ بَعْلاً وتذَرُونَ أحْسَنَ الخَالِقينَ * اللهَ ربَّكُم وربَّ آبائكُم الأوَّلِينَ * فكذَّبُوهُ فإنَّهمْ لمحْضَرونَ * إلاَّ عِبادَ اللهِ المُخْلَصِينَ * وتَرَكْنا عليْهِ في الآخرِينَ * سَلام علَى إلْياسِينَ * إنَّا كذَٰلك نَجْزِي المحْسِنينَ * إنَّه مِنْ عِبَادِنا المؤْمِنِينَ ﴾ [1] .

قال علماء النسب هو : إلياس النشبي ، ويقال : ابن ياسين ابن فنحاص بن العيزار بن هارون . وقيل : إلياس بن العازر بن العيزار ابن هارون بن عمران .

قالوا وكان إرساله إلى أهل بعلبك غربي دمشق ، فدعاهم إلى الله عز وجل وأن يتركوا عبادة صنم لهم كانوا يسمونه « بعلا » وقيل كانت امرأة اسمها « بعل » والله أعلم .

والأول أصح ولهذا قال لهم : ﴿ ألا تَتَّقونَ * أتدْعُونَ بَعْلاً وتذَرُونَ أحْسَنَ الخَالِقينَ * اللهَ ربَّكُم وربَّ آبائكُم الأوَّلِينَ ﴾ .

فكذبوا وخالفوه وأرادوا قتله . فيقال : إنه هرب منهم واختفي عنهم ، قال أبو يعقوب الأذرعي ، عن يزيد بن عبد الصمد ، عن هشام بن عمار قال : وسمعت من يذكر عن كعب الأحبار أنه قال : إن إلياس اختفى من ملك قومه في الغار الذي تحت الدم عشر سنين ، حتى أهلك الله الملك وولى غيره ، فأتاه إلياس فعرض عليه الإسلام ، وأسلم من قومه خلق عظيم غير عشرة آلاف منهم ، فأمر بهم فقتلوا عن آخرهم .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني أبو محمد القاسم بن هشام ، حدثنا عمر بن سعيد الدمشقي ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن بعض مشيخة دمشق قال : أقام إلْيَاس عليه السلام هارباً من قومه في كهف جبل عشرين ليلة - أو قال أربعين الليلة - تأتيه الغربان برزقه .

وقال محمد بن سعد كاتب الواقدي : أنبأنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبيه قال : أول نبي بعث إدريس ، ثم نوح ثم إبراهيم ، ثم إسماعيل وإسحاق ، ثم يعقوب ثم يوسف ثم لوط ثم هو ثم صالح ثم شعيب ، ثم موسى وهارون ابنا عمران ، ثم إلياس النشبي بن العازر بن هارون ابن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام .

---

(١) الصافات الآيات ١٢٣ - ١٣٢

هكذا قال : وفي هذا الترتيب نظر .

وقال مكحول عن كعب : أربعة أنبياء أحياء : اثنان في الأرض إلياس والخضر ، واثنان في السماء : إدريس وعيسى عليهم السلام .

وقد قدمنا قول من ذكر أن إلياس والخضر يجتمعان في كل عام في شهر رمضان ببيت المقدس ، وأنهما يحجان كل سنة ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من العام المقبل . وأوردنا الحديث الذي فيه أنهما يجتمعان بعرفات كل سنة .

وبينا أنه لم يصح شيء من ذلك ، وأن الذي يقوم عليه الدليل : أن الخضر مات ، وكذلك إلياس عليهما السلام .

وما ذكره وهب بن منبه وغيره : أنه لما دعا ربه عز وجل أن يقبضه إليه لما كذبوه وآذوه ، فجاءته دابة لونها لون النار فركبها ، وجعل الله له ريشاً وألبسه النور ، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار ملكيًا بشريًا سماويًا أرضيًا ، وأوصى إلى اليسع بن أخطوب ، ففي هذا نظر . وهو من الإسرائيليات التي لاتصدق ولا تكذب ، بل الظاهر أن صحتها بعيدة .. والله أعلم .

فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر كالبيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثني أبو العباس أحمد بن سعيد المعداني البخاري ، حدثنا عبد الله بن محمود : حدثنا عبدان بن سنان ، حدثني أحمد بن عبد الله البرقي ، حدثنا يزيد بن يزيد البلوي ، حدثنا أبو إسحاق الفزاري ، عن الأوزاعي ، عن مكحول ، عن أنس بن مالك قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فنزلنا منزلاً فإذا رجل في الوادي يقول : اللهم اجعلني من أمة محمد ﷺ المرحومة المغفورة المتاب لها قال : فأشرفت على الوادي فإذا رجل طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع ، فقال لي : من أنت ؟ فقلت : أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ، قال : فأين هو ؟ قلت : هو ذا يسمع كلامك ، قال : فأته فأقرئه مني السلام ، وقل له : أخوك إلياس يقرئك السلام . قال : فأتيت النبي ﷺ فأخبرته ، فجاء حتى لقيه فعانقه وسلم ، ثم قعدا يتحادثان فقال له : يارسول الله .. إني ما آكل في السنة إلا يوماً ، وهذا يوم فطري فآكل أنا وأنت . قال : فنزلت عليهما مائدة من السماء ، عليها خبز وحوت وكرفس ، فأكلا وأطعماني وصلينا العصر ، ثم وعده ورأيته مره في السحاب نحو السماء .

فقد كفانا البيهقي أمره ، وقال : هذا حديث ضعيف بمرة .

والعجب أن الحاكم أبا عبد الله النيسابوري أخرجه في مستدركه على الصحيحين ،وهذا مما يستدرك به على المستدرك : فإنه حديث موضوع مخالف للأحاديث الصحاح من وجوه ومعناه لايصح أيضاً فقد تقدم في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعاً في السماء ـ إلى أن قال ـ : ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن » .

وفيه أنه لم يأت رسول الله ﷺ حتى كان هو الذي ذهب إليه ، وهذا لايصح ، لأنه كان أحق بالسعي إلى بين يدي خاتم الأنبياء . وفيه أنه يأكل في السنة مرة ، وقد تقدم عن وهب أنه سلبه الله لذة المطعم والمشرب ، وفيما تقدم عن بعضهم : أنه يشرب من زمزم كل سنة شربة تكفيه إلى مثلها من الحول الآخر .

وهذه أشياء متعارضة وكلها باطلة لايصح شيء منها .

وقد ساق ابن عساكر هذا الحديث من طريق أخرى واعترف بضعفها وهذا عجب منه ، كيف تكلم عليه ؟ فإنه أورده من طريق حسين بن عرفة ، عن هانئ بن الحسن ، عن بقية ، عن الأوزاعي ، عن مكحول ، عن واثلة ، عن ابن الأسقع ، فذكر نحو هذا مطولاً . وفيه أن ذلك كان في غزوة تبوك ، وأنه بعث إليه رسول الله ﷺ أنس بن مالك وحذيفة بن اليمان ، قالا : فإذا هو أعلى جسماً منا بذراعين أو ثلاثة ، واعتذر بعدم قدرته لئلا تنفر الإبل ،وفيه أنه لما اجتمع به رسول الله ﷺ أكلا من طعام الجنة ، وقال : إن لي في كل أربعين يوماً أكلة ، وفي المائدة خبز من عنب وموز ورطب وبقل ، ماعدا الكراث . وفيه أن رسول الله ﷺ سأله عن الخضر فقال : عهدي به عام أول ، وقال لي : إنك ستلقاه قبلي فأقرئه مني السلام .

وهذا يدل على أن الخضر وإلياس ، بتقدير وجودهما وصحة هذا الحديث لم يجتمعا به إلى سنة تسع من الهجرة ، وهذا لايسوغ شرعاً . وهذا موضوع أيضاً .

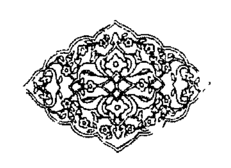
وقد أورد ابن عساكر طرقاً فيمن اجتمع بإلياس من العباد ، وكلها لايفرح بها ، لضعف إسنادها أو لجهالة المسند إليه فيها ،ومن أحسنها ما قاله أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني بشر ابن معاذ : حدثنا حماد بن واقد ، عن ثابت قال : كنا مع مصعب بن الزبير بسواد الكوفة ، فدخلت حائطاً أصلي فيه ركعتين فافتتحت : ﴿ حمٓ * تَنْزِيلُ الكِتابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ العَلِيمِ * غافِرِ الذَّنْبِ وقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ﴾ [1] فإذا رجل من خلفي على

---

(١) سورة غافر آيات١ ـ ٣

بعلة شهباء ، عليه مقطعات يمنية فقال لي : إذا قلت : ﴿ غافِرِ الذَّنْبِ ﴾ فقل : ياغافر الذنب اغفر لي ذنبي ، وإذا قلت : ﴿ قابِلِ التَّوْبِ ﴾ فقل : ياقابل التوب تقبل توبتي ، وإذا قلت : ﴿ شَدِيدِ العِقَابِ ﴾ فقل : ياشديد العقاب لاتعاقبني ، وإذا قلت : ﴿ ذِي الطَّوْلِ ﴾ فقل : ياذا الطول تطول علي برحمة ، فالتفت فإذا لا أحد . وخرجت فسألت : مر بكم رجل على بغلة شهباء عليه مقطعات يمنية ؟ فقالوا : مامر بنا أحد . فكانوا لايرون إلا أنه إلياس .

وقوله تعالى : ﴿ فكَذَّبُوه فإنَّهُم لمُحْضَرونَ ﴾ أي للعذاب ، أما في الدنيا والآخرة ، أو في الآخرة . والأول أظهر على ماذكره المفسرون والمؤرخون وقوله : ﴿ إلاَّ عِبَادَ اللهِ المُخْلَصِينَ ﴾ أي إلا من آمن منهم . وقوله : ﴿ وتَرَكْنَا عَلَيهِ فِي الآخِرِينَ ﴾ أي أبقينا بعده ذكراً حسنا له في العالمين فلا يذكر إلا بخير ، ولهذا قال : ﴿ سَلامٌ عَلَى إليَاسِينَ ﴾ أي سلام على إلياس والعرب تلحق النون في أسماء كثيرة وتبدلها من غيرها كما قالوا : إسماعيل وإسماعين ، وإسرائيل وإسرائين ، وإلياس وإلياسين ، وقد قرئ : سلام على آل ياسين ، أي على آل محمد ، وقرأ ابن مسعود وغيره : سلام على إدراسين ، ونقل عنه من طريق إسحاق عن عبيدة بن ربيعة عن ابن مسعود أنه قال : إلياس هو إدريس . وإليه ذهب الضحاك بن مزاحم ، وحكاه قتادة ومحمد بن إسحاق . والصحيح أنه غيره كما تقدم .. والله أعلم .



أنبيـــاء بنى إســـرائيل
بعد موسى عليه السلام

قال ابن جرير في تاريخه : لاخلاف بين أهل العلم بأخبار الماضين وأمور السالفين من أمتنـا وغيرهم أن القائم بـأمور بني إسرائيل بعـد يوشع : كالب بن يوفنـا ، يعنى أحـد أصحـاب موسى عليـه السلام وهو زوج اختـه مريم ، وهو أحـد الرجلين اللـذين ممن يخـافون الله ، وهما يوشع وكالب ، وهمـا القـائلان لبني إسرائيـل حين نكلـوا عن الجهـاد : ﴿ ادْخُلوا عَلَيْهِمُ الْبَـابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ، وعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُم مُؤْمِنِينَ ﴾ [1] .

قال ابن جرير : ثم من بعده كان القائم بأمور بني إسرائيل حزقيل ابن بوذي وهو الذي دعا الله فأحيا الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت .

(١) سورة المائدة الآية ٢٣ .

قصة حزقيل

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِم وهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ المَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ، إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لايَشْكُرُونَ ﴾[1] .

قال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه : إن كالب بن يوفنا لما قبضه الله إليه بعد يوشع خلف في بني إسرائيل حزقيل بن بوذي ، وهو ابن العجوز ،وهو الذي دعا للقوم الذين ذكرهم الله في كتابه فيما بلغنا .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وهُمْ أُلوفٌ حَذَرَ المَوْتِ ﴾ قال ابن إسحاق : فروا من الوباء فنزلوا بصعيد من الأرض فقال لهم الله : موتوا ، فماتوا جميعاً فحظروا عليهم حظيرة دون السباع ، فمضت عليهم دهور طويلة فمر بهم حزقيل عليه السلام فوقف عليهم متفكراً فقيل له : أتحب أن يبعثهم الله وأنت تنظر ؟ فقال : نعم . فأمر أن يدعوا تلك العظام أن تكتسي لحماً وأن يتصل العصب بعضه ببعض فناداهم عن أمر الله له وبذلك ، فقال القوم أجمعون وكبروا تكبيرة رجل واحد .

وقال أسباط عن السدي عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من الصحابة في قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وهُمْ أُلوفٌ حَذَرَ المَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ قالوا : كانت قرية يقال لها داوردان قبل واسط وقع بها الطاعون ، فهرب عامة أهلها فنزلوا ناحية منها فهلك من بقي في القرية وسلم الآخرون فلم يمت منهم كثير ، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا : أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا بقينا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم ، فوقع في قابل ، فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفاً حتى نزلوا ذلك المكان وهو واد أفيح ، فناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه : أن موتوا . فماتوا حتى إذا هلكوا وبقيت أجسادهم مر بهم نبي يقال له حزقيل ، فلما رآهم وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم ويلوي شدقيه وأصابعه ، فأوحي الله إليه ، تريد أن أريك كيف أحييهم ؟ قال : نعم ، وإنما كان تفكيره أنه تعجب من قدرة الله عليهم ، فقيل له : ناد ، فنادي : يا أيتها العظام .. إن الله يأمرك أن تجتمعي . فجعلت

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٣ .

العظام يطير بعضها إلى بعض ، حتى كانت أجساداً من عظام ، ثم أوحى الله إليه . أن ناد : ياأيتها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي لحماً ، فاكتست لحماً ودماً وثيابها التي ماتت فيها . ثم قيل له : ناد . فنادى : يا أيتها الأجساد إن الله يأمرك أن تقومي .. فقاموا .

قال أسباط : فزعم منصور عن مجاهد أنهم قالوا حين أُحيوا : « سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت » فرجعوا إلى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى ، سحنة الموت على وجوههم لايلبسون ثوباً إلا عدا رسماً ، حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم .

وعن ابن عباس أنهم كانوا أربعة آلاف ، وعنه ثمانية آلاف ، وعن أبي صالح تسعة آلاف ،وعن ابن عباس أيضاً كانوا أربعين ألفاً ، وعن سعيد بن عبد العزيز كانوا من أهل أذرعات .

وقال ابن جريج عن عطاء : هذا مثل . يعنى أنه سيق مثلاً مبيناً أنه لن يغني حذر من قدر !

وقول الجمهور أقوى من هذا وقع .

وقد روى الإمام أحمد وصاحبا الصحيح من طريق الزهري عن عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن عبد الله بن عباس ، أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء وقع بالشام . فذكر الحديث . يعنى في مشاورته المهاجرين والأنصار فاختلفوا عليه ، فجاءه عبد الرحمن بن عوف وكان متغيباً ببعض حاجته فقال : إن عندي من هذا علماً سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه » فحمد الله عمر ثم انصرف .

وقال الإمام : حدثنا حجاج ويزيد المفتي قالا : حدثنا ابن أبي ذؤيب عن الزهري ، عن سالم ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، أن عبد الرحمن بن عوف أخبر عمر وهو في الشام عن النبي ﷺ أن هذا السقم عذب به الأمم قبلكم ، فإذا سمعتم به في أرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه . قال : فرجع عمر من الشام .

وأخرجاه من حديث مالك عن الزهري بنحوه .

قال محمد بن إسحاق : ولم يذكر لنا مدة لبث حزقيل في بني إسرائيل ثم إن الله قبضه إليه ،

فلما قبض نبي بنو إسرائيل عهد الله إليهم وعظمت فيهم الأحداث وعدوا الأوثان وكان في جملة ما يعبدونه من الأصنام صنم يقال له « بعل » فبعث الله إليهم إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران .

قلت : وقد قدمنا قصة إلياس تبعاً لقصة الخضر لأنهما يقرنان في الذكر غالباً ، ولأجل أنها بعد قصة موسى في سورة الصافات فتعجلنا قصته لذلك .. والله أعلم .

قال محمد بن إسحاق فيما ذكر له عن وهب بن منبه قال : ثم تنبأ فيهم بعد إلياس وصيه اليسع بن أخطوب عليه السلام .



قصـــة اليسع عليه السلام

وقد ذكره الله تعالى مع الأنبياء في سورة الأنعام في قولـه : ﴿ وإسْماعِيلَ واليَسَع ويُونُس ولُوطاً ، وكلاً فضّلْنا علَى العَالَمينَ ﴾ [1] وقال تعـالى في سورة صٓ : ﴿ واذْكُر إسْماعِيلَ واليَسَعَ وذَا الكِفْلِ ، وكُلٌّ مِنَ الأخْيَار ﴾ [2] قال ابن إسحاق : حدثنا بشر أبو حذيفة ، أنبـأنا سعيـد ، عن قتادة عن الحسن ، قال : كان بعد إلياس اليسع عليهما السلام ، فمكث ما شاء الله أن يمكث يدعوهم إلى الله مستمسكاً بمنهاج الياس وشريعتـه حتى قبضـه الله عز وجل إليـه ، ثم خلف فيهم الخلوف وعظمت فيهم الأحـداث والخطـايـا وكثرت الجبـابرة وقتلوا الأنبيـاء ، وكان فيهم ملـك عنيد طـاغ ، ويقـال إنـه الـذي تكفل لـه ذو الكفل إن هو تـاب ورجع دخل الجنـة فسمي ذا الكفل .

قال محمد بن إسحاق : هو اليسع بن أخطوب .

وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في حرف « الياء » من تاريخه : اليَسع وهو الأسبـاط بن عدي بن شوتلم بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحـاق بن إبراهيم الخليل . ويقـال هو ابن عم إلياس النبي عليهما السلام ، ويقال كان مستخفياً معه بجبل قاسيون من ملكِ بعلبك ثم ذهب معه إليها فلما رفع إلياس خلفه اليسع في قومه ونبأه الله بعده .

ذكر ذلـك عبـد المنعم بن إدريس بن سنـان عن أبيـه ، عن وهب ابن منبـه ، قـال وقــال غيره : وكان الأسباط ببانياش .

ثم ذكر ابن عسـاكر قراءة من قرأ اليسع بـالتخفيف والتشـديـد ومن قرأ والليسـع وهـو اسم واحد لنبي من الأنبياء .

قلت : قد قدمنا قصة ذا الكفل بعد قصة أيوب عليه السلام لأنه قد قيل إنـه ابن أيوب .. فالله تعالى أعلم .

---

(١) سورة الأنعام الآية ٨٦ .

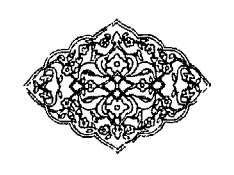
(٢) سورة صٓ الآية ٤٨ .

قال ابن جرير وغيره : ثم مرج أمر بني إسرائيل وعظمت منهم الخطوب والخطايا وقتلوا من قتلوا من الأنبياء ،وسلط الله عليهم بدل الأنبياء ملوكاً جبارين يظلمونهم ويسفكون دماءهم . وسلط الله عليهم الأعداء من غيرهم أيضاً ، وكانوا إذا قاتلوا أحداً من الأعداء يكون معهم تابوت الميثاق الذي كان فيه قبة الزمان . كما تقدم ذكره . فكانوا ينصرون ببركته وبما جعل الله فيه من السكينة والبقية مما ترك آل موسى وآل هارون .

فلما كان في بعض حروبهم من أهل غزة وعسقلان غلبوهم وقهروهم على أخذه فانتزعوه من أيديهم . فلما علم بذلك ملك بني إسرائيل في ذلك الزمان مالت عنقه فمات كمداً .

وبقي بنو إسرائيل كالغنم بلا راع حتى بعث الله فيهم نبيًّا من الأنبياء يقال له شمويل ، فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكاً ليقاتلوا معه الأعداء ، فكان من أمرهم ماسنذكره مما قص الله في كتابه .

قال ابن جرير : فكان من وفاة يوشع بن نون إلى أن بعث الله عز وجل شمويل بن بالي أربعمائة سنة وستون سنة ، ثم ذكر تفصيلها بعدد الملوك الذي ملكوا عليهم وسماهم واحداً وحداً تركنا ذكرهم قصداً.



قصـــة شمويل عليه السلام

هو شمويل ـ ويقال أشمويل ـ بن بالي بن علقمة بن يرخام بن اليهو ابن تهو بن صوف بن علقمة بن ماحث بن عموصاً بن عزريا .

قال مقاتل : وهو من ورثة هارون . وقال مجاهد : هو أشمويل ابن هلفاقا ، ولم يرفع في نسبة أكثر من هذا .. والله أعلم .

حكى السدي بإسناده عن ابن عباس وابن مسعود وأناس من الصحابة والثعلبي وغيرهم : أنه لما غلبت العمالقة من أرض غزة وعسقلان على بني إسرائيل ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وسبوا من أبنائهم جمعاً كثيراً وانقطعت النبوة من بسط لاوى ولم يبق فيهم إلا امرأة حبلى ، فجعلت تدعو الله عز وجل أن يرزقها ولداً ذكراً ، فولدت غلاماً فسمته أشمويل ، ومعناه بالعبرانية إسماعيل ، أي سمع الله دعائي .

فلما ترعرع بعثته إلى المسجد وأسلمته عند رجل صالح فيه يكون عنده ليتعلم من خيره وعبادته . فكان عنده فلما بلغ أشده بينما هو ذات ليلة نائم إذا صوت يأتيه من ناحية المسجد فانتبه مذعوراً ، فظنه الشيخ يدعوه فسأله : أدعوتني ؟ فكره أن يفزعه فقال : نعم .. نم . فنام

ثم ناداه الثانية فكذلك ثم الثالثة فإذا جبريل يدعوه ، فجاءه فقال : إن ربك قد بعثك إلى قومك . فكان من أمره معهم ما قص الله في كتابه .

قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ **قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ، قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ، فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً ، قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ، وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ، قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ ، وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ، وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ**

يَشاءُ ، والله واسعٌ عَليمٌ * وقالَ لهُمْ نبيُّهمْ إنَّ آيةَ مُلْكه أنْ يـأتِيكُم التّـابوتُ فيـهِ سَكِينـةٌ مِنْ ربِّكمْ وبَقيّةٌ ممّـا ترَكَ آلُ مُوسَى وآلُ هـارُونَ تَحمِلـهُ المَلائكَـةُ ، إنَّ في ذَلـكَ لآيـةً لَكُم إنْ كُنتُم مؤْمِنينَ * فلمّا فصَل طالوتُ بـالجُنُود قـالَ إنّ اللهَ مُبتليكُمْ بِنَهَر فَمنْ شَرِبَ مِنْـهُ فَلَيس مِنّى ومَنْ لَمْ يَطْعمـهُ فـإنَّه مِنّى إلاّ مَنِ اغْتَرَف غُرفَـةً بيـدهِ ، فَشَرِبُوا مِنـه إلاّ قَليـلاً مِنهُم ، فلمّا جاوَزهُ هُو والّذينَ آمنُوا مَعهُ قالُوا لا طاقَةَ لَنا اليَومَ بِجَالوتَ وجُنُودِه ، قـالَ الّذينَ يَظنُّون أنّهمْ ملاقُوا اللهِ كَمْ مِنْ فِئـةٍ قَليلـةٍ غَلبَتْ فِئـةً كَثيرةً بـإذْنِ اللهِ ، واللهُ مَـعَ الصّـابِرين * ولمّا بَرَزُوا لِجالوتَ وجُنودِه قـالُوا ربّنـا أفْرِغ عَلَيْنـا صَبْراً وثبِّت أقْـدَامَنـا وانْصُرنـا عَلَى القَـوم الكَافِرينَ * فَهَزمُوهم بإذنِ اللهِ وقَتَل دَاودُ جَالوتَ وآتاهُ اللهُ المُلْكَ والحِكمَةَ وعلَّمـهُ ممّـا يَشـاءُ ، ولَوْلاَ دَفْع اللهِ النّاس بَعْضَهُم ببَعضٍ لَفَسدت الأرْضُ ولكنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ على العَالمِينَ ﴾ [1]

قـال أكثر المفسـدين : كان نبي هؤلاء القوم المـذكورين في هـذه القصـة هو شمويل . وقيـل شمعون وقيل همـا واحـد . وقيل يوشـع ، وهـذا بعيـد لمـا ذكره الإمـام أبـو جعفر بن جرير في تاريخه : أن بين موت يوشع وبعثه شمويل أربعمائة سنة وستين سنة .. فالله أعلم .

والمقصود أن هؤلاء القوم لما أنهكتهم الحروب وقهرهم الأعداء سـألوا نبي الله في ذلـك الزمـان وطلبوا منـه أن ينصب لهم ملكاً يكونون تحت طـاعتـه ليقـاتلـوا من ورائـه ومعـه وبين يـديـه الأعـداء . فقـال لهم : ﴿ هَلْ عَسيْتُم إنْ كُتبَ عَليكُم القِتـالُ ألاّ تُقـاتِلُوا ، قـالُـوا ومَـا لَنـا ألاّ نُقاتِل في سَبِيلِ اللهِ ﴾ أي وأي شيء يمنعنا من القتال ﴿ وقَدْ أُخرِجْنا مِن دِيـارِنـا وأبْنـائِنـا ﴾ ويقولون نحن محروبون موتورون ، فحقيق لنا أن نقاتل عن أبنائنـا المنهورين المستضعفين فيهم المأسورين في قبضتهم .

قال تعالى : ﴿ فَلمّـا كُتبَ عَلَيْهُم القِتـالُ تَولَّوْا إلاّ قَليلاً مِنْهُم ، واللهُ عَليمٌ بـالظّـالمين ﴾ كما ذكر في آخر القصة أنه لم يجاوز النهر مع الملك إلا القليل الباقون رجعوا ونكلوا عن القتال .

﴿ وقالَ لَهُم نَبيُّهم إنَّ اللهَ قَدْ بَعثَ لَكُم طالُوتَ مَلكاً ﴾ قال الثعلبي : وهو طـالوت بن قيش ابن أفيل بن صارو بن تحورت بن أفيح بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب بن إسحـاق بن إبراهيم الخليل .

---

(١) سورة البقرة الآيات ٢٤٦ ـ

قال عكرمة والسدي : كان سقاء ! وقال وهب بن منبه : كان دباغاً وقيل غير ذلك .. والله أعلم .

ولهذا ﴿ قالُوا أنّى يَكونُ لَهُ المُلْكُ عَلَيْنا ونَحْنُ أحَقُّ بالمُلْكِ منْهُ ولَمْ يؤْتَ سَعَةً مِنَ المالِ ﴾ ولقد ذكروا أن النبوة كانت في سبط لاوى وأن الملك كان في سبط يهوذا ، فلما كان هذا من سبط بنيامين نفروا منه وطعنوا في إمارته عليهم وقالوا نحن أحق بالملك منه وقد ذكروا أنه فقير لا سعة من المال معه فكيف يكون مثل هذا ملكاً .

﴿ قالَ إنّ اللهَ اصْطفاهُ عليْكُم وزَادَه بسْطَةً في العِلْمِ والجِسْمِ ﴾ . قيل : كان الله قد أوحى إلى شمويل أن بني إسرائيل كان طوله على طول هذه العصا إذا حضر عندك يفوز هذا القرن الذي فيه من دهن القدس فهو ملكهم . فجعلوا يدخلون ويقيسون أنفسهم بتلك العصا فلم يكن أحد منهم على طولها سوى طالوت ولما حضر عند شمويل فاز ذلك القرن فدهنه منه وعينه للملك عليهم وقال لهم : ﴿ إنّ اللهَ اصْطفاهُ عَليْكُم وزَادهُ بسْطةً في العِلْمِ ﴾ قيل في أمر الحروب وقيل بل مطلقاً ﴿ والجِسْمِ ﴾ قيل الطول وقيل الجمال ، والظاهر من السياق أنه كان أجملهم وأعلمهم بعد نبيهم عليه السلام ﴿ واللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ ﴾ فله الحكم وله الخلق والأمر ﴿ واللهُ واسِعٌ عَليمٌ ﴾ .

﴿ وقالَ لَهُم نَبيُّهم إنّ آيةَ مُلْكِهِ أنْ يأْتِيكُم التّابوتُ فِيهِ سَكينةٌ مِنْ ربِّكُمْ وبقيّةٌ مِمّا تَرك آلُ مُوسَى وآلُ هارونَ تَحْمِلهُ الملائكة ، إنّ في ذَلكَ لآيةً لكُم إنْ كنْتُم مُؤْمنينَ ﴾ وهذا أيضاً من بركة ولاية هذا الرجل الصالح عليهم ويمنه عليهم أن يرد الله عليهم التابوت الذي كان سلب منهم ، وقهرهم الأعداء عليه ، وقد كانوا ينصرون على أعدائهم بسببه ﴿ فِيهِ سَكينةٌ مِنْ ربِّكُم ﴾ قيل طست من ذهب كان يغسل فيه صدور الأنبياء ، وقيل السكينة مثل الريح الخجوج . وقيل صورتها مثل الهرة إذا صرخت في حال الحرب أيقن بنو إسرائيل بالنصر ﴿ وبقيّةٌ مِمّا تَرَك آلُ مُوسَى وآلُ هارونَ ﴾ قيل كان فيه رضاض الألوح وشيء من المن الذي كان نزل عليهم بالتيه ﴿ تَحْمِلهُ الملائكةُ ﴾ أي تأتيكم به الملائكة يحملونه وأنت ترون ذلك عياناً ليكون آية لله عليكم وحجة باهرة على صدق ما أقوله لكم وعلى صحة ولاية هذا الملك الصالح عليكم . ولهذا قال : ﴿ إنّ في ذَلكَ لآيةً لَكُم إنْ كُنتُم مُؤْمِنينَ ﴾ .

وقيل : إنه لما غلب العمالقة على هذا التابوت وكان فيه ما ذكر من السكينة والبقية المباركة وقيل كان فيه التوراة أيضاً فلما استقر في أيديهم وضعوه تحت صنم لهم بأرضهم فلما أصبحوا إذا

التابوت على رأس الصنم فوضعوه تحته فلما كان اليوم الثاني إذا التابوت فوق الصنم ، فلما تكرر هذا علموا أن هذا أمر من الله تعالى فأخرجوه من بلدهم وجعلوه في قرية من قراهم ، فأخذهم داء في رقابهم فلما طال عليهم هذا جعلوه في عجلة وربطوها في بقرتين وأرسلوهما ، فيقال إن الملائكة ساقتها حتى جاءوا بها ملأ بني إسرائيل وهم ينظرون كما أخبرهم النبي بذلك ، فالله أعلم على أي صفة جاءت به الملائكة ، والظاهر أن الملائكة كانت تحمله بأنفسهم كما هو المفهوم من الآية والله أعلم ، وإن كان الأول قد ذكره كثير من المفسرين أو أكثرهم .

﴿ فلمَّا فصَلَ طالُوتُ بالجُنُود قالَ إنَّ اللهَ مُبتليكُم بنَهرٍ فمَنْ شَرِبَ مِنه فلَيْس مِنِّي ومَنْ لَم يطْعمهُ فإنهُ منِّي إلاّ مَن اغْترفَ غُرفةً بيَدهِ ﴾ .

قال ابن عباس وكثير من المفسرين : هذا النهر هو نهر الأردن ، وهو المسمى بالشريعة فكان من أمر طالوت بجنوده عند هذا النهر عن أمر نبي الله له ، عن أمر الله له اختباراً وامتحاناً : أن من شرب من هذا النهر فلا يصحبني في هذه الغزوة ، ولا يصحبني إلا من لم يطعمه إلا غرفة بيده .

قال الله تعالى : **﴿ فَشرِبُوا مُنهُ إلاّ قَليلاً مِنْهم ﴾ .**

قال السدي : كان الجيش ثمانين ألفاً فشرب منه ستة وسبعون ألفاً ، فبقى معه أربعة آلاف . كذا قال .

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث إسرائيل وزهير والثوري ، عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال : كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا منعه النهر ولم يجاوز معه إلا بضعة عشر وثلاثمائة مؤمن . وقول السدي إن عدة الجيش كانوا ثمانين ألفاً فيه نظر ، لأن أرض بيت المقدس لا تحتمل أن يجتمع فيها جيش مقاتله يبلغون ثمانين ألفاً .. والله أعلم .

قال الله تعالى : **﴿ فلمَّا جاوَزَه هُو والَّذينَ آمنُوا مَعَه قالُوا لا طاقَةَ لَنا اليَوْمَ بجَالُوت وجُنُودِه ﴾** أي استقلوا أنفسهم واستضعفوها عن مقاومة أعدائهم بالنسبة إلى قلتهم وكثرة عدد عدوهم **﴿ قالَ الَّذينَ يظنُّونَ أنَّهمْ ملاقُوا اللهَ كَمْ مِنْ فِئةٍ قَليلةٍ غَلَبت فِئةً كَثيرةً بإذْنِ اللهِ ، واللهُ مَعَ الصَّابِرينَ ﴾** يعني ثبتهم الشجعان منهم والفرسان أهل الإيمان والإيقان الصابرون على الجلاد والجدال والطعان .

﴿ ولمّا برزوا لِجالوتَ وجُنودِه قالُوا ربَّنا أفرِغْ علينَا صبْراً وثبِّتْ أقْدامَنا وانْصُرنا علَى القَوْمِ الكافِرينَ ﴾ طلبوا من الله أن يفرغ عليهم الصبر أي يغمرهم به من فوقهم فتستقر قلوبهم ولا تقلق ، وأن يثبت أقدامهم في مجال الحرب ومعترك الأبطال وحومة الوغي والدعاء إلى النزال فسألوا التثبيت الظاهر والباطن وأن ينزل عليهم النصر على أعدائهم وأعدائه من الكافرين الجاحدين بآياته وآلائه ، فأجابهم العظيم القدير السميع البصير الحكيم الخبير إلى ما سألوا وأنالهم ما إليه فيه رغبوا .

ولهذا قال : ﴿ فهزَمُوهُم بإذْنِ اللهِ ﴾ أي بحول الله وقوته لا بحولهم ، وبقوة الله ونصره لا بقوتهم وعددهم ، مع كثرة أعدائهم وكمال عددهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ ولَقدْ نَصَركُم اللهُ ببدْرٍ وأنتُم أذِلةٌ ، فاتّقُوا اللهَ لعلَّكُم تَشْكُرون ﴾ [1] .

وقوله تعالى : ﴿ وقتَل داوُدُ جَالوتَ وآتاهُ اللهُ المُلْكَ والحِكْمةَ وعلَّمهُ ممَّا يَشاءُ ﴾ فيه دلالة على شجاعة داود عليه السلام وأنه قتله قتلاً أذل به جنده وكسر جيشه ، ولا أعظم من غزوة يقتل فيها ملك عدوه فيغنم بسبب ذلك الأموال الجزيلة ويأسر الأبطال والشجعان والأقران ، وتعلو كلمة الإيمان على الأوثان ويدال لأولياء الله على أعدائه ، ويظهر الدين الحق على الباطل وأوليائه .

وقد ذكر السدي فيما يرويه أن داود عليه السلام كان أصغر أولاد أبيه وكانوا ثلاثة عشر ذكراً ، كان سمع طالوت ملك بني إسرائيل وهو يحرض بني إسرائيل على قتل جالوت وجنوده وهو يقول : من قتل جالوت زوجته بابنتي وأشركته في ملكي ، وكان داود عليه السلام يرمي بالقذافة وهو المقلاع رمياً عظيماً ، فبينا هو سائر مع بني إسرائيل إذ ناداه حجر أن خذني فإن بي تقتل جالوت . فأخذه ثم حجر آخر كذلك ثم آخر كذلك ، فأخذ الثلاثة في مخلاته فلما تواجه الصفان برز جالوت ودعا إلى نفسه فتقدم إليه داود فقال له : ارجع فإني أكره قتلك . فقال : لكني أحب قتلك . وأخذ تلك الأحجار الثلاثة فوضعها في القذافة ثم أدارها فصارت الثلاثة حجراً واحداً . ثم رمى بها جالوت ففلق رأسه وفر جيشه مهزوماً ، فوفى له طالوت بما وعده فزوجه ابنته وأجرى حكمه في ملكه وعظم داود عليه السلام عند بني إسرائيل وأحبوه ومالوا إليه أكثر من طالوت ، فذكروا أن طالوت حسده وأراد قتله واحتال على ذلك ولم يصل إليه ، وجعل العلماء ينهون طالوت عن قتل داود فتسلط عليهم فقتلهم حتى لم يبق منهم إلا

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٢٣ .

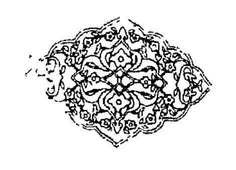
القليل . ثم حصل له تـابوت ونـدم وإقلاع عما سلف منـه ، وجعل يكثر من البكاء ويخرج إلى الجبانة فيبكي حتى يبل الثرى بدموعه فنودى ذات يوم من الجبانة : أن يـا طـالوت .. قتلتنا ونحن أحياء وآذيتنا ونحن أموات . فازداد لذلك بكاؤه وخوفه واشتـد وجلـه ثم جعل يسأل عن عالم يسأل عن أمره وهل له من توبة ، فقيل له : وهل أبقيت عالماً ؟! حتى دل على امرأة من العابدات فأخذته فذهبت به إلى قبر يوشع عليه السلام . قالوا : فدعت الله فقام يوشع من قبره فقال : أقامت القيامة ؟ فقالت : لا ، ولكن هذا طالوت يسألك : هل له من توبة ؟ فقال : نعم ينخلع من الملك ويذهب فيقاتل في سبيل الله حتى يقتل . ثم عاد ميتاً .

فترك الملك لداود عليه السلام وذهب ومعه ثلاثة عشر من أولاده فقاتلوا في سبيل الله حتى قتلوا . قالوا : فذلك قوله : « وآتاهُ اللهُ المُلْكَ والحِكْمَةَ وعلَّمهُ مِمَّا يَشاءُ » .

هكـذا ذكره ابن جرير في تـاريخه من طريـق السـدي بـإسنـاده . وفي بعض هـذا نظر ونكارة .. والله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق : النبي الذي بعث فأخبر طالوت بتوبته هو اليسع بن أخطوب . حكاه ابن جرير أيضاً .

وذكر الثعلبي أنها أتت به إلى قبر شمويل فعاتبه على ما صنع بعده من الأمور ، وهذا أنسب . ولعله إنما في النوم لا أنه قام من القبر حياً ، فإن هذا إنما يكون معجزة لنبي ، وتلك المرأة لم تكن نبية .. والله أعلم . قال ابن جرير : وزعم أهل التوراة أن مدة ملك طالوت إلى أن قتل مع أولاده أربعون سنة .. فالله أعلم .



قصة داود عليه السلام

هو داود بن إيشا بن عويد بن عابر بن مسلمون بن نحشون بن عويناداب بن إرم بن حصرون بن فرص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عبد الله ونبيه وخليفته في أرض بيت المقدس .

قال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه : كان داود عليه السلام قصيراً أزرق العينين قليل الشعر طاهر القلب ونقيه .

تقدم أنه لما قتل جالوت وكان قتله له فيما ذكر ابن عساكر عند قصر أم حكيم بقرب مرج الصفر ، فأحبته بنو إسرائيل ومالوا إليه وإلى ملكه عليهم ، فكان من أمر طالوت ما كان وصار الملك إلى داود عليه السلام ، وجمع الله له بين الملك والنبوة ، بين خير الدنيا والآخرة ، وكان الملك يكون في سبط والنبوة في آخر فاجتمعا في داود هذا .

وهذا كما قال تعالى : ﴿ وقتَل دَاوُدُ جالُوتَ وآتاهُ اللهُ المُلْكَ والحِكْمَةَ وعلَّمَهُ مِمَّا يَشاءُ ، ولَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بعْضَهُم بِبعْضٍ لَفَسدت الأَرْضُ ولكنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ علَى العَالَمين ﴾ [1] أي لولا إقامة الملوك حكاماً على الناس لأكل قوى الناس ضعيفهم . ولهذا جاء في بعض الأمثلة « السلطان ظل الله في أرضه » . وقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان : « إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن » .

وقد ذكر ابن جرير في تاريخه أن جالوت لما بارز طالوت فقال له : اخرج إلي وأخرج إليك ، فندب طالوت الناس فانتدب داود فقتل جالوت .

قال وهب بن منبه : فمال الناس إلى داود حتى لم يكن لطالوت ذكر ، وخلعوا طالوت وولوا عليهم داود . وقيل إن ذلك عن أمر شمويل حتى قال بعضهم إنه ولاه قبل الوقعة .

---

(١) سورة البقرة الآية ٥

قال ابن جرير : والذي عليه الجمهور أنه إنما ولي ذلك بعد قتل جالوت .. والله أعلم ، وروى ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز : أن قتله جالوت كان عند قصر أم حكيم وأن النهر الذي هناك هو المذكور في الآية .. فالله أعلم .

وقال تعالى : ﴿ ولَقَد آتَيْنا دَاوُدَ منّا فَضْلاً ، ياجِبالُ أَوِّبِي مَعهُ والطَّيْر ، وأَلَنَّا لَه الحَديدَ * أن اعْمَل سَابِغاتٍ وقَدِّر في السَّرْدِ ، واعْمَلُوا صالحاً ، إنِّي بِمَا تَعْمَلُون بَصيرٌ ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ وسَخَّرنا مَعَ دَاوُدَ الجِبالَ يُسبِّحْنَ والطَّيْر ، وكنَّا فَاعِلِين * وعلَّمناهُ صَنْعةَ لَبُوسٍ لَكُم لِتحْصِنكُم مِنْ بأْسِكُم ، فَهلْ أنتُمْ شاكِرُونَ ﴾ [2] .

أعانه الله على عمل الدروع من الحديد ليحصن المقاتلة من الأعداء وأرشده إلى صنعتها وكيفيتها فقال : ﴿ وقَدِّر في السَّرْدِ ﴾ أي لا تدق المسمار فيفلق ولا تغلظه فيفصم . قاله مجاهد وقتادة والحكم وعكرمة .

قال الحسن البصري وقتادة والأعمش : كان الله قد ألان له الحديد حتى كان يفتله بيده لا يحتاج إلى نار ولا مطرقة . قال قتادة : فكان أول من عمل الدروع من زرد وإنما كانت قبل ذلك من صفائح . قال ابن شوذب : كان يعمل كل يوم درعاً يبيعها بستة آلاف درهم .

وقد ثبت في الحديث أن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وأن نبي الله داود كان يأكل من كسب يده .

وقال تعالى : ﴿ واذْكُر عَبْدنا دَاوُدَ ذَا الأيد إنَّهُ أَوَّابٌ * إنَّا سَخَّرنا الجِبالَ مَعهُ يُسبِّحنْ بالعَشِيِّ والإشْراق * والطَّيْر مَحْشُورَة ، كلٌّ لهُ أَوَّابٌ * وشَدَدْنا مُلْكه وآتَيْناه الحِكْمةَ وفَصْل الخِطَاب ﴾ [3] .

قال ابن عباس ومجاهد : الأيد القوة في الطاعة . يعني ذا قوة في العبادة والعمل الصالح .

---

(1) سبأ الآيات ١٠ ، ١١

(2) الأنبياء الآيات ٧٩ ، ٨٠ .

(3) ص الآيات ١٧ ـ ٢٠

قـال قتـادة : أعطى قوة في العبـادة وفقهـا في إسلام قـال : وقـد ذكر لنـا أنـه كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر .

وقـد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قـال : « أحب الصلاة إلى الله صـلاة داود ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينـام سـدسـه ، وكان يصوم يومـاً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى » .

وقوله : ﴿ إنَّا سَخَّرنَا الجِبَال مَعهُ يُسبِّحْنَ بـالعَشِيِّ والإشْراق * والطَّيْر مَحْشُورَة ، كلٌّ لـهُ أوَّابٌ ﴾ كما قال : ﴿ يا جِبالُ أوِّبِي مَعهُ والطَّيْر ﴾ أي سبحي معه . قالـه ابن عبـاس ومجـاهـد وغير واحد في تفسير هذه الآية ﴿ إنَّا سَخَّرنا الجِبالَ مَعهُ يُسبِّحن بالعَشِيِّ والإشْراقِ ﴾ أي عنـد آخر النهار وأوله ، وذلك أنه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحـد بحيث إنه كان إذا ترنم بقراءة كتـابـه يقف الطير في الهواء يرجع بترجيعـه ويسبح بتسبيحـه وكـذلـك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشياً ، صلوات الله وسلامه عليه .

وقال الأوزاعي : حدثني عبد الله بن عامر قال : أعطى داود من حسن الصوت ما لم يعـط أحـد قـط ، حتى إن كان الطير والوحش ينعكف حـولـه حتى يموت عطشـاً وجـوعـاً وحتى إن الأنهار لتقف ! وقال وهب ابن منبه : كان لا يسمعه أحد إلا حجل كهيئـة الرقص ، وكان يقرأ الزبور بصـوت لم تسمع الآذان بمثلـه ، فيعكف الجن والإنس والطير والـدواب على صـوتـه حتى يهلك بعضها جوعاً . وقال أبو عوانة الأسفراييني : حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، حـدثنـا محمـد ابن منصور الطوسي سمعت صبيحـاً أبـا تراب رحمـه الله قـال أبو عـوانـة : حـدثني أبـو العبـاس المدني ، حدثنا بن محمد بن صالح العدوي ، حدثنا سيار هو ابن حـاتم عن جعفر ، عن مـالـك ، قال : كان داود عليه السلام إذا أخذ في قراءة الزبور تفتقت العذارى .. وهذا غريـب .

وقال عبد الرزاق عن ابن جريج ، سألت عطـاء عن القراءة على الغنـاء فقـال : ومـا بـأس بذلـك ؟ سمعت عبيـد بن عمر يقول : كان داود عليـه السلام يـأخـذ المعزفـة فيضرب بهـا فيقرأ عليها فترد عليه صوته يريد بذلك أن يبكي وتبكي .

وقال الإمـام أحمـد : حـدثنـا عبـد الرزاق ، حـدثنـا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : سمع رسول الله ﷺ صوت أبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقـال : « لقـد أوتي أبي موسى من مزامير آل داود » .

وهذا على شرط الشيخين ولم يخرجاه من هذا الوجه .

وقال أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا حمادة بن سلمة ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لقد أعطى أبو موسى من مزامير داود » . على شرط مسلم .

وقد روينا عن أبي عثمان النهدي أنه قال : لقد سمعت البربط والمزمار ، فما سمعت صوتاً أحسن من صوت أبي موسى الأشعري .

وقد كان مع هذا الصوت الرخيم سريع القراءة لكتابة الزبور ، كما قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا عمر ، عن همام عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « خفف على داود القراءة ، فكان يأمر بدابته فتسرج فكان يقرأ القرآن من قبل أن تسرج دابته ، وكان لا يأكل إلا من عمل يديه » .

وكذلك رواه البخاري منفرداً به عن عبد الله بن محمد ، عن عبد الرزاق به . ولفظه : « خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه ، ولا يأكل إلا من عمل يديه » .

ثم قال البخاري : ورواه موسى بن عقبة ، عن صفوان ، هو ابن سليم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .

وقد أسنده ابن عساكر في ترجمة داود عليه السلام في تاريخه من طرق عن إبراهيم بن طهمان ، عن موسى بن عقبة ، ومن طرق أبي عاصم عن أبي بكر السبري ، عن صفوان بن سليم به .

والمراد بالقرآن ها هنا الزبور الذي أنزله الله عليه وأوحاه إليه ، وذكر رواية أشبه أن يكون محفوظاً فإنه كان ملكاً له أتباع ، فكان يقرأ الزبور بمقدار ما تسرج الدواب ، وهذا أمر سريع مع التدبر والترنم والتغني به على وجه التخشع ، صلوات الله وسلامه عليه .

وقد قال الله تعالى : ﴿ وآتَيْنا دَاوُدَ زَبُوراً ﴾ [1] والزبور كتاب مشهور وذكرنا في التفسير الحديث الذي رواه أحمد وغيره أنه أنزل في شهر رمضان ، وفيه من المواعظ والحكم ما هو

---

(١) سورة النساء الآية ١٦٣ ، و الإسراء الآية ٥٥ .

معروف لمن نظر فيه .

وقوله : ﴿ وشَدَدْنا مُلْكهُ وآتَيْناهُ الحِكْمةَ وفَصْلَ الخِطَابِ ﴾ أي أعطيناه ملكاً عظيماً وحكماً نافذاً .

روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن رجلين تداعيا إلى داود عليه السلام في بقر ادعى أحدهما على الآخر أنه اغتصبها منه . فأنكر المدعى عليه فأرجأ أمرهما إلى الليل ، فلما كان الليل أوحى الله إليه أن يقتل المدعى ، فلما أصبح قال له داود : إن الله قد أوحى إليّ أن أقتلك فأنا قاتلك لا محالة ، فما خبرك فيما ادعيته على هذا ؟ قال : والله يانبي الله إني لمحق فيما ادعيت عليه ، ولكني كنت اغتلت أباه قبل هذا . فأمر به داود فقتل . فعظم أمر داود في بني إسرائيل جدا وخضعوا له خضوعاً عظيماً . قال ابن عباس : وهو قوله تعالى : ﴿ وشَدَدْنا مُلْكهُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وآتَيْناهُ الحِكْمةَ ﴾ أي النبوة ﴿ وفَصْلَ الخِطَابِ ﴾ قال شريح والشعبي وقتادة وأبو عبد الرحمن السلمي وغيرهم : فصل الخطاب الشهود والأيمان يعنون بذلك : « البينة على المدعى واليمين على من أنكر » وقال مجاهد : والسدي : هو إصابة القضاء وفهمه . وقال مجاهد : وهو الفصل في الكلام وفي الحكم . واختاره ابن جرير .

وهذا لا ينافي ما روى عن أبي موسى أنه قول : « أما بعد » .

وقال وهب بن منبه : لما كثر الشر وشهادات الزور في بني إسرائيل أعطى داود سلسلة لفصل القضاء . فكانت ممدودة من السماء إلى صخرة بيت المقدس ، وكانت من ذهب ، فإذا تشاجر الرجلان في حق فأيهما كان محقاً نالها والآخر لا يصل إليها . فلم تزل كذلك حتى أودع رجلاً لؤلؤة فجحدها منه وأخذ عكازاً وأودعها فيه ، فلما حضرا عند الصخرة تناولها المدعى فلما قيل للآخر خذها بيدك عمد إلى العكاز فأعطاه المدعى وفيه تلك اللؤلؤة ، وقال : اللهم إنك تعلم أني دفعتها إليه . ثم تناول السلسلة فنالها . فأشكل أمرها على بني إسرائيل . ثم رفعت سريعاً من بينهم .

ذكره بمعناه غير واحد من المفسرين . وقد رواه إسحاق بن بشر عن إدريس بن سنان عن وهب به بمعناه .

﴿ وهَلْ أتاكَ نَبأُ الخَصْمِ إذْ تَسوَّرُوا المِحْرابَ * إذ دَخلُوا علَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنهُمْ قالُوا لا

تَخَفْ ، خَصْمانِ بَغَى بَعْضُنا عَلَى بَعضٍ فاحْكُم بيْنَنا بالحَقّ ولا تُشْطِطْ واهْدِنا إلَى سَواءِ الصِّراطِ * إنَّ هٰذا أخِي لَهُ تِسْعٌ وتِسْعُونَ نَعجَةً وليَ نَعْجةٌ واحِدةٌ فَقالَ أكْفِلْنِيها وعَزَّنِي في الخِطابِ * قالَ لَقدْ ظَلَمكَ بِسُؤالِ نَعْجتِكَ إلَى نِعاجِهِ ، وإنَّ كثيراً مِنَ الخُلَطاءِ لَيَبْغِي بَعضُهُم عَلَى بَعضٍ إلاّ الّذِينَ آمنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وقَليلٌ مَّا هُمْ ، وظَنَّ دَاوُدُ أنَّما فَتَنّاهُ فاسْتَغفَر ربَّهُ وخَرَّ راكِعاً وأنابَ * فَغفَرْنا لَهُ ذٰلكَ ، وإنَّ لهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وحُسْنَ مآبٍ ﴾ (1) .

وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف هاهنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيليات ومنها ما هو مكذوب لا محالة . تركنا إيرادها في كتابنا قصداً اكتفاء واقتصاراً على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

وقد اختلف الأئمة في سجدة « صٓ » : هل هي من عزائم السجود أو إنما هي سجدة شكر ليست من عزائم السجود ؟ على قولين :

قال البخاري : حدثنا محمد بن عبد الله ، حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن العوام ، قال : سألت مجاهداً في سجدة « صٓ » فقال : سألت ابن عباس من أين سجدت ؟ قال : أو ماتقرأ : ﴿ ومِنْ ذُرِّيتهِ دَاوُدَ وسُلَيْمان ﴾ (2) ﴿ أولٰئكَ الذينَ هَدَى اللهُ ، فَبِهداهِم اقْتَدِهِ ﴾ (3) فكان داود ممن أمر نبيكم ﷺ أن يقتدي به فسجدها داود عليه السلام فسجدها رسول الله ﷺ .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ـ هو ابن علية ـ عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : في السجود في « صٓ » ليست من عزائم السجود . وقد رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها .

وكذا رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أيوب وقال الترمذي : حسن صحيح . وقال النسائي أخبرني إبراهيم ابن الحسن المقسمي ، حدثنا حجاج بن محمد ، عن عمر ابن ذر ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أن النبي ﷺ سجد في « صٓ » وقال : سجدها داود توبة ونسجدها شكراً . تفرد به أحمد ورجاله ثقات .

وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن عياض بن عبد الله بن سعيد بن أبي سرح ، عن أبي سعيد الخدري ،

---

(1) سورة صٓ الآية ٢١ ـ ٢٥ .
(2) سورة الأنعام الآية ٨٤ .
(3) سورة الأنعام الآية ٩٠

قال : قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر « ص » فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد معه الناس فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشزن الناس للسجود فقال : « إنما هي توبة نبي ولكن رأيتكم تشزنتم » فنزل وسجد . تفرد به أبو داود وإسناده على شرط الصحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا حميد ، حدثنا بكر ، هو ابن عمر ، وأبو الصديق الناجي ، أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري رأى رؤيا أنه يكتب « صٓ » فلما بلغ إلى التي يسجد بها رأى الدواة والقلم وكل شيء بحضرته انقلب ساجداً . قال فقصها على النبي ﷺ ، فلم يزل يسجد بها بعد . تفرد به أحمد .

وروى الترمذي وابن ماجه من حديث محمد بن يزيد بن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد ، قال : قال لي ابن جريج : حدثني جدك عبيد الله بن أبي يزيد ، عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله .. إني رأيت فيما يرى النائم كأني أصلي خلف شجرة ، فقرأتَ السجدة فسجدت الشجرة بسجودي ، فسمعتها تقول وهي ساجدة : « اللهم اكتب لي بها عندك أجراً واجعلها عندك ذخراً وضع عني بها وزراً ، واقبلها مني كما قبلت من عبدك داود » .

قال ابن عباس : فرأيت النبي ﷺ قام فقرأ السجدة ثم سجد فسمعته يقول وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة . ثم قال الترمذي : غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه .

وقد ذكر بعض المفسرين أنه عليه السلام مكث ساجداً أربعين يوماً وقاله مجاهد والحسن وغيرهما وورد في ذلك حديث مرفوع ، لكنه من رواية يزيد الرقاشي وهو ضعيف متروك الرواية .

قال الله تعالى : ﴿ فَغَفَرنا لَهُ ذلكَ ، وإنَّ له عِندَنا لَزُلفَى وحُسْنَ مآبٍ ﴾ أي إن له يوم القيامة لزلفى ، وهي القربة التي يقربه الله بها ويدنيه من حظيرة قدسه بسببها ، كما ثبت في حديث : « المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذين يقسطون في أهليهم وحكمهم وما ولوا » .

وقال الإمام أحمد في مسنده : حدثنا يحي بن آدم ، حدثنا فضيل عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلساً إمام عادل ، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذاباً إمام جائر » .

وهكذا رواه الترمذي من حديث فضيل بن مرزوق الأغر به ، وقال : لانعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد الله بن أبي زياد ، حدثنا سيار ، حدثنا جعفر بن سليمان ، سمعت مالك بن دينار في قوله : ﴿ وإنَّ لَه عِنْدَنا لَزُلفَى وحُسْنَ مآبٍ ﴾ قال : يقوم داود عليه السلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول الله : ياداود .. مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني في الدنيا ، فيقول : وكيف وقد سلبته . فيقول : إني أرده عليك اليوم . قال : فيرفع داود بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان .

﴿ يا دَاودُ إنَّا جَعلْناكَ خَليفَةً في الأرْضِ فاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بالحَقِّ ولا تَتَّبعِ الهَوَى فَيضلكَ عَنْ سَبيلِ اللهِ ، إن الذِين يَضلُّونَ عَنْ سَبيلِ اللهِ لَهمْ عَذابٌ شَديدٌ بمَا نَسُوا يَوْم الحِسَابِ ﴾ هذا خطاب من الله تعالى مع داود ، والمراد ولاة الأمور وحكام الناس ، وأمرهم بالعدل واتباع الحق المنزل من الله ، لا ما سواه من الآراء والأهواء ، وتوعد من سلك غير ذلك وحكم بغير ذلك ، وقد كان داود عليه السلام هو المقتدى به في ذلك الزمان في العدل ، وكثرة العبادة ، وأنواع القربات ، حتى إنه كان لايمضي ساعة من آناء الليل وأطراف النهار إلا وأهل بيته في عبادة ليلاً ونهاراً كما قال تعالى : ﴿ اعْمَلوا آلَ دَاوُدَ شُكراً ، وقَليلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُور ﴾ [1] .

قال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن بسام ، حدثنا صالح المرى ، عن أبي عمران الجولي ، عن أبي الجلد ، قال : قرأت في مسألة داود عليه السلام أنه قال : يارب .. كيف لي أن أشكرك وأنا لاأصل إلى شكرك إلا بنعمتك ؟ قال : فأتاه الوحي : « أن ياداود ألست تعلم أن الذي بك من النعم مني ؟ قال : بلى يارب . قال : فإني أرضي بذلك منك » .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو بكر بن بالويه ، حدثنا محمد بن يونس القرشي ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنى عبد الله بن لاحق ، عن ابن شهاب قال : قال داود : « الحمد لله كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله ، فأوحى الله إليه : إنك أتعبت الحفظة ياداود » !

ورواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن على بن الجعد ، عن الثوري مثله .

وقال عبد الله بن المبارك في كتاب « الزهد » أنبأنا سفيان الثوري ، عن رجل ، عن وهب

---

(١) سبأ الآية ١٣

ابن منبه قال : إن في حكمة آل داود : حق على العاقل ألا يغفل عن أربع ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذي يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه ، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها فيا يحل ويجمل فإن هذه الساعة عون على هذه الساعات وإجمام للقلوب ، وحق على العاقل أن يعرف زمانه ويحفظ لسانه ويقبل على شأنه ، وحق على العاقل ألا يظعن إلا في إحدي ثلاث : زاد لمعاده ومرمة لمعاشه ، ولذة في غير محرم .

وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا ، عن أبي بكر بن أبي خيثمة ، عن ابن مهدي عن سفيان ، عن أبي الأغر ، عن وهب بن منبه ، فذكره .. ورواه أيضاً عن على بن الجعد ، عن عمر بن الهيثم الرقاشي عن أبي الأغر ، عن وهب بن منبه فذكره ، وأبو الأغر هذا هو الذي أبهمه ابن المبارك في روايته . قاله ابن عساكر .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا بشر بن رافع ، حدثنا شيخ من أهل صنعاء يقال له : أبو عبد الله ، قال : سمعت وهب بن منبه : فذكر مثله ، وقد أورد الحافظ بن عساكر في ترجمة داود عليه السلام أشياء كثيرة مليحة منها قوله : كن لليتيم كالأب الرحيم ، واعلم أنك كما تزرع كذلك تحصد .

وروى بسند غريب مرفوعاً قال داود : يازارع السيئات أنت تحصد شوكها وحسكها .

وعن داود عليه السلام أنه قال : مثل الخطيب الأحمق في نادي القوم كمثل المغني عند رأس الميت . وقال أيضاً : ما أقبح الفقر بعد الغني وأقبح من ذلك الضلالة بعد الهدي . وقال : انظر ماتكره أن يذكر عنك في نادي القوم فلا تفعله إذا خلوت .

وقال : لاتعدن أخاك بما لا تنجزه له فإن ذلك عداوة بينك وبينه .

وقال محمد بن سعد : أنبأنا محمد بن عمر الواقدي ، حدثني هشام بن سعيد ، عن عمر مولي عفرة ، قال : قالت يهود ، لما رأت رسول الله ﷺ يتزوج النساء ! انظروا إلى هذا الذي لايشبع من الطعام ولا والله ماله همة إلا إلى النساء : حسدوه لكثرة نسائه وعابوه بذلك فقالوا : لو كان نبيًّا مارغب في النساء . وكان أشدهم في ذلك حي بن أخطب فأكذبهم الله وأخبرهم بفضل الله وسعته على نبيه صلوات الله وسلامه عليه فقال : ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ** ﴾ يعنى بالناس رسول الله ﷺ ﴿ **فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ**

والحكمة وآتيناهم مُلكاً عظيماً ﴾ يعنى ما آتي الله سليمان بن داود كانت له ألف امرأة . سبعمائة مهرية وثلاثمائة سرية ، وكانت لداود عليه السلام مائة امرأة منهن امرأة أوريا أم سليمان بن داود التي تزوجها بعد الفتنة هذا أكثر مما لمحمد ﷺ . وقد ذكر الكلبي نحو هذا وأنه كان لداود عليه السلام مائة امرأة ولسليمان ألف امرأة منهن ثلاثمائة سرية .

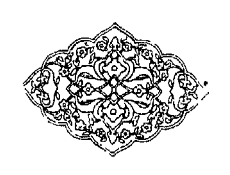
وروى الحافظ في تاريخه في ترجمة صدقة الدمشقي الذي يروى عن ابن عباس من طريق الفرج بن فضالة الحمصي ، عن أبي هريرة الحمصي عن صدقة الدمشق ، أن رجلاً سأل ابن عباس عن الصيام فقال : لأحدثنك بحديث كان عندي في البحث مخزوناً ، إن شئت أنبأتك بصوم داود فإن كان صوّاماً قوّاماً وكان شجاعاً لايفر إذا لاقي ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وقال رسول الله ﷺ : « أفضل الصيام صيام داود » وكان يقرأ الزبور بسبعين صوتاً يُكوِّن فيها ، وكانت له ركعة من الليل يبكي فيها نفسه ويبكي ببكائه كل شيء ويصرف بصوته المهموم والمحموم .

وإن شئت أنبأتك بصوم ابنه سليمان فإنه كان يصوم من أول الشهر ثلاثة أيام ، ومن وسطه ثلاثة أيام ومن آخرة ثلاثة أيام يستفتح الشهر بصيام ووسطه بصيام ويختمه بصيام .

وإن شئت أنبأتك بصوم ابن العذراء البتول عيسى ابن مريم ، فإنه كان يصوم الدهر ويأكل الشعير ويلبس الشعر ، ويأكل ما وجد ولا يسأل عما فقد ، ليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ، وكان أينما أدركه الليل صف بين قدميه وقام يصلي حتي يصبح ، وكان رامياً لايفوته صيد يريده ، وكان يمر بمجالس بني إسرائيل فيقضي لهم حوائجهم .

وإن شئت أنبأتك بصوم أمه مريم بنت عمران ، فإنها كانت تصوم يوماً وتفطر يومين .

وإن شئت أنبأتك بصوم النبي العربي الأمي محمد ﷺ فإنه كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ويقول : إن ذلك صوم الدهر وقد روى الإمام أحمد عن أبي النضر ، عن فرج بن فضالة ، عن أبي هرم عن صدقة عن ابن عباس مرفوعاً في صوم داود .



حياته ووفاته

قد تقدم في ذكر الأحاديث الواردة في خلق آدم أن الله لما استخرج ذريته من ظهره فرأى فيهم الأنبياء عليهم السلام ورأى فيهم رجلاً يزهر فقال : أي رب .. من هذا ؟ قال : هذا ابنك داود . قال : أي رب .. كم عمره ؟ قال : ستون عاماً . قال : أي رب .. زد في عمره . قال : لا ، إلا أن أزيده من عمرك . وكان عمر آدم ألف عام فزاده أربعين عاماً فلما انقضي عمر آدم جاءه ملك الموت فقال : بقي من عمرى أربعون سنة ونسى آدم ما كان وهبه لولده داود فأتمها الله لآدم ألف سنة ولداود مائة سنة .

رواه أحمد عن ابن عباس ، والترمذي وصححه عن أبي هريرة ، وابن خزيمة وابن حبان . وقال الحاكم : على شرط مسلم . وقد تقدم ذكر طرقه وألفاظه في قصة آدم .

قال ابن جرير ، وقد زعم أهل الكتاب أن عمر داود كان سبعاً وسبعين سنة . قلت : هذا غلط مردود عليهم ، قالوا : وكانت مدة ملكه أربعين سنة ، وهذا قد يقبل نقله لأنه ليس عندنا ماينافيه ولا ما يقتضيه .

وأما وفاته عليه السلام فقال الإمام أحمد في مسنده : حدثنا قبيصة . حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عمرو بن أبي عمرو ، عن المطلب ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : كان داود عليه السلام فيه غَيْرة شديدة فكان إذا خرج أغلق الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع . قال : فخرج ذات يوم وغلقت الدار فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار فإذا رجل قائم وسط الدار فقالت لمن في البيت : من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة ، والله لنفضحن بداود . فجاء داود فإذا الرجل قائم في وسط الدار فقال له داود : من أنت ؟ فقال : أنا الذي لا أهاب الملوك و لاأمنع من الحجاب ، فقال داود : أنت والله إذن ملك الموت مرحباً بأمر الله : ثم مكث حتى قبضت روحه فلما غسل وكفن وفرغ من شأنه طلعت عليه الشمس ، فقال سليمان للطير : أظلي على داود ، فأظلته الطير حتى أظلمت عليه الأرض ، فقال سليمان للطير : اقبضي جناحاً . قال أبو هريرة : فطفق رسول الله ﷺ يرينا كيف فعلت الطير ، وقبض رسول الله ﷺ بيده ، وغلبت عليه يومئذ المضرحية .

انفرد بإخراجه الإمام أحمد وإسناده جيد قوي رجاله ثقات ، ومعنى قوله : وغلبت عليه

يومئـذ المضرحيـة » أي وغلبت على التظليـل عليـه المضرحيـة وهي الصقـوع الطـوال الأجنحـة واحدها مضرحي ، قال الجوهري : هو الصقر الطويل الجناح .

وقال السدي عن أبي مالك ، عن ابن مالك ، عن ابن عبـاس قـال مـات داود عليـه السلام فجاء وكان بسبت ، وكانت الطير تظله . وقـال السـدي أيضـاً ، عن أبي مـالـك وعن سعيـد بن جبير قال : مات داود عليه السلام يوم السبت فجأة .

وقال إسحاق بن بشر ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة عن الحسن ، قال : مات داود عليه السلام وهو ابن مائة سنة ومات يوم الأربعاء فجأةً. وقـال أبو السكن الهجري : مـات إبراهيم الخليل فجأة وداود فجأة وابنه سليـان فجـأة صلوات الله وسلامـه عليهم أجمعين. رواه ابن عسـاكر.

وروى عن بعضهم أن ملـك المـوت جـاءه وهـو نـازل من محرابـه فقـال لـه : دعني أنـزل أو أصعد ، فقال : يانبي الله .. قد نفدت السنون والشهور والآثار والأرزاق ، قال : فخر ساجـداً على مرقاة من تلك المراقي فقبضه وهو ساجد .

وقـال إسحـاق بن بشر : أنبـأنـا وافر بن سليـان ، عن أبي سلمـان الفلسطيني عن وهب بن منبه قال : إن الناس حضروا جنازة داود عليه السلام فجلسوا في الشمس في يوم صـائف قـال : وكان قـد شيع جنـازتـه يومئـذ أربعون ألف راهب عليهم البرانس سوى غيرهم من النـاس ، ولم يمت في بني إسرائيل بعـد موسى وهـارون أحـد كانت بنو إسرائيل أشـد جـزعـاً عليـه منهم على داود . قال : فآذاهم الحر فنادوا سليمان عليـه السلام أن يعمل لهم وقـايـة لما أصـابهم من الحر ، فحرج سليمان فنادى الطير فأجابت فأمرهـا أن تظل النـاس ، فتراص بعضهـا إلى بعض من كل وجه ، حتى استمسكت الريح فكاد النـاس أن يهلكوا غمـا فصـاحوا إلى سليـان عليـه السـلام من الغم ، فخرج سليمان فنادى الطير أن أظلي الناس من ناحية الشمس وتنحي عن نـاحي الريح . ففعلت فكان الناس في ظل تهب عليهم الريح ، فكان ذلك أول مارأواه من ملك سليمان .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو همام الوليـد بن شجـاع ، حـدثني الوليـد بن مسلم ، عن الهيثم بن حميـد ، عن الـوضين بن عطـاء ، عن نصر بن علقمـة ، عن جبير بن نفير ، عن أبي الدرداء . قال : قال رسول الله ﷺ : لقد قبض الله داود من بين أصحابـه مـافتنوا ولا بـدلوا ، ولقد مكث أصحاب الميسح على سننه وهديه مائتي سنة .

هـذا حـديث غريب وفي رفعـه نظر ، والوضين بن عطـاء كان ضعيفـاً في الحديث .. والله أعلم .

قصة سليمان وداود عليهما السلام

قال الحافظ ابن عساكر : وهو سليمان بن داود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عمينا أداب بن إرم بنحصرون ابن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبي الربيع نبي الله بن نبي الله .

جاء في بعض الآثار أنه دخل دمشق . قال ابن ماكولا : فارص بالصاد المهملة ،وذكر نسبه قريباً مما ذكره ابن عساكر .

قال الله تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وقالَ ياأيُّها النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، إنَّ هٰذا لَهُوَ الفَضْلُ المبِينُ ﴾ [1] أي ورثه في النبوة والملك ، وليس المراد ورثه في المال ، لأنه قد كان له بنون غيره ، فما كان ليخص بالمال دونهم ، ولأنه قد ثبت في الصحاح من غيروجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال : « لانورث ما تركنا فهو صدقة » وفي لفظة : « نحن معاشر الأنبياء لانورث » فأخبر الصادق المصدوق أن الأنبياء لاتورث أموالهم عنهم كما يورث غيرهم ، بل تكون أموالهم صدقة من بعدهم على الفقراء والمحاويج لايخصون بها أقرباؤهم ، لأن الدنيا كان أهون عليهم وأحقر عندهم من ذلك كما هي عند الذي أرسلهم واصطفاهم وفضلهم . وقال : ﴿ يا أيُّها النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يعنى أنه عليه السلام كان يعرف مايتخاطب به الطيور بلغاتها ويعبر للناس عن مقاصدها وإرادتها .

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا على بن حشاد ، حدثنا إسماعيل بن قتيبة ، حدثنا على بن قدامة ، حدثنا أبو جعفر الأسواني ، يعني محمد بن عبد الرحمن : عن أبي يعقوب العمي ، حدثني أبو مالك ، قال : مر سليمان بن داود بعصفور يدور حول عصفورة فقال لأصحابه : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : وما يقول يانبي الله ؟ قال : يخطبها إلى نفسه ويقول زوجيني أسكنك أي غرف دمشق شئت ! قال سليمان عليه السلام : لأن غرف

(١) النمل الآية ١٦

دمشق مبنية بالصخر لايقدر أن يسكنها أحد ولكن كل خاطب كذاب !

رواه ابن عساكر عن أبي القاسم زاهر بن طاهر ، عن البيهقي به وكذلك ماعداها من الحيوانات وسائر صنوف المخلوقات ، والدليل على هذه قوله بعد هذا من الآيات : ﴿ وأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي من كل مايحتاج الملك إليه من العدد والآلات والجنود والجيوش والجماعاوالجماعات من الجن والإنس والطيور والوحوش والشياطين السارحات والعلوم والفهوم والتعبير عن ضمائر المخلوقات من الناطقات والصامتات ثم قال : ﴿ إنَّ هٰذا لَهوَ الفَضْلُ المبينُ ﴾ أي من بارئ البريات وخالق الأرض والسموات كما قال تعالى : ﴿ وحُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنودُهُ مِنَ الجنِّ والإنْسِ والطَّيْرِ فَهُم يُوزَعونَ * حتَّى إذا أتوْا عَلَى وادِي النَّمْلِ قالتْ نَمْلَةٌ يا أيُّها النَّمْلُ ادْخلُوا مَسَاكِنَكُم لايَحْطِمنَّكُم سُلَيْمانُ وجنُودُه وهُمْ لايشْعُرونَ * فَتَبسَّم ضاحِكاً مِنْ قَولِهَا وقالَ ربِّ أوْزِعنِي أنْ أشْكُرَ نِعْمتَكَ الَّتِي أنْعمتَ عليَّ وعَلَى والِديَّ وأنْ أعْملَ صالحاً تَرْضاهُ وأدْخِلْني برَحْمتِك في عِبادِكَ الصَّالحِينَ ﴾ [1] .

يخبر تعالى عن عبده ونبيه وابن نبيه سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أنه ركب يوماً في جيشه جميعه من الجن والإنس والطير ، فالجن والإنس يسيرون معه والطير سائرة معه تظله بأجنحتها من الحر وغيره وعلى كل من هذه الجيوش الثلاثة وزعة ـ أي نقباء ـ يردون أوله على آخره . فلا يتقدم أحد عن موضعه الذي يسير فيه ولا يتأخر عنه قال الله تعالى : ﴿ حتَّى إذَا أتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قالَتْ نَملةٌ يا أيُّها النَّملُ ادْخلُوا مَسَاكِنكمْ لايَحْطِمنَّكُمْ سُلَيْمانُ وجنُودهُ وهُمْ لايشْعرونَ ﴾ فأمرت وحذرت واعتذرت عن سليمان وجنوده بعدم الشعور ، وقد ذكر وهب أنه مر وهو على البساط بواد بالطائف وأن هذه النملة كان اسمها جرسا ، وكانت من قبيلة يقال لها بنو الشيصبان وكانت عرجاء وكانت بقدر الذئب .

وذي هذا كله نظر ، بل في هذه السياق دليل على أنه كان في موكبه راكباً في خيوله وفرسانه ، لاكما زعم بعضهم من أنه كان إذا ذاك على البساط لأنه لو كان كذلك لم ينل النمل منه شيء ولا وطء ، لأن البساط كان عليه جميع مايحتاجون إليه من الجيوش والخيول والجمال والأثقال والخيام والأنعام والطير من فوق ذلك كله ، كما سنبينه بعد ذلك إن شاء الله تعالى .

والمقصود أن سليمان عليه السلام فهم ما خاطبت به تلك النملة لأمتها من الرأس السديد

---

(١) النمل الآيات ١٧ ـ ١٩

والأمر الحميد ، وتبسم من ذلك على وجه الاستبشار والفرح والسرور بما أطلعه الله عليه دون غيره ، وليس كما يقوله بعض الجهلة من أن الدواب كانت تنطق قبل سليمان وتخاطب الناس حتي أخذ عليهم سليمان بن داود العهد وألجمها فلم تتكلم مع الناس بعد ذلك ، فإن هذا لايقوله إلا الذين لايعلمون ، ولو كان هذا هكذا لم يكن لسليمان في فهم مقالها مزية على غيره إذ قد كان الناس كلهم يفهمون ذلك ولو كان قد أخذ عليها العهد ألا تتكلم مع غيره وكان هو يفهمها لم يكن في هذا أيضاً فائدة يعول عليها ولهذا قال : ﴿ ربِّ أَوْزِعنِي ﴾ أي ألهمنى وأرشدني ﴿ **أنْ أشْكُر نِعْمتَكَ الَّتِي أَنْعَمتَ عَليَّ وعَلَى والِديَّ وأنْ أعْمَل صالِحاً تَرْضاهُ وأدْخِلنِي برحْمتِكَ في عِبادِكَ الصَّالِحِينَ** ﴾ فطلب من الله أن يقيضه للشكر على ما أنعم به عليه وعلى ماخصه به من المزية على غيره وأن ييسر عليه العمل الصالح وأن يحشره إذا توفاه مع عباده الصالحين وقد استجاب الله تعالى له .

والمراد بوالديه داود عليه السلام وأمه ، وكانت من العابدات الصالحات كما قال سنيد بن داود ، عن يوسف بن محمد بن المنكدر ، عن أبيه ، عن جابر ، عن النبي ﷺ قال : « قالت أم سليمان بن داود : يابني .. لاتكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تدع العبد فقيراً يوم القيامة » . رواه ابن ماجه عن أربعة من مشايخه عنه به نحوه .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، أن سليمان بن داود عليه السلام خرج هو وأصحابه يستسقون فرأى نملة قائمة رافعة إحدى قوائمها تستسقي ، فقال لأصحابه : ارجعوا فقد سقيتم ، إن هذه النملة استسقت فاستجيب لها .

قال ابن عساكر : وقد روى مرفوعاً ولم يذكر فيه سليمان ، ثم ساقه من طريق محمد بن عزيز ، عن سلامة بن روح بن خالد ، عن عقيل ، عن ابن شهاب حدثني أبو سلمة ، عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « خرج نبي من الأنبياء بالناس يستسقون الله فإذا هم بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء فقال النبي : ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل هذه النملة » .

وقال السدي : أصاب الناس قحط على عهد سليمان عليه السلام . فأمر الناس فخرجوا فإذا بنملة قائمة على رجليها باسطة يديها وهي تقول : « اللهم أنا خلق من خلقك ولا غناء بنا عن فضلك » . قال : فصب الله عليهم المطر .

وقال الله تعالى : ﴿ وتَفقَّدَ الطَّيْر فَقالَ مالِي لاَ أرى الهُدْهدَ أمْ كانَ مِنَ الغائِبينَ * لأُعذِّبنّـه عَذاباً شَديداً أوْ لأذْبحنَّه أوْ لَيأْتِينِّي بسلْطانٍ مُبينٍ * فمَكَثَ غيْرَ بَعيدٍ فَقالَ أحَطْت بمَا لَمْ تُحِطْ بهِ وجئْتُكَ مِنْ سَبأٍ بنبأٍ يَقينٍ * إنّي وجَدْتُ امْرأةً تَمْلِكهُم وأُوتِيتْ مِنْ كلِّ شَيْءٍ ولَها عَرْشٌ عَظيمٌ * وجدْتُها وقَومُها يسْجُدونَ للشَّمسِ مِنْ دُونِ اللهِ وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أعْمالَهم فصدَّهُمْ عَنِ السَّبيلِ فَهُم لا يَهْتَدُونَ * ألاَّ يسْجدُوا للهِ الَّذي يُخْرِجُ الخَبْءَ في السَّمٰواتِ والأرْضِ ويعْلَم ما تُخفُون وما تُعْلِنُونَ * الله لا إله إلاَّ هُوَ ربُّ العَرْشِ العَظِيمِ * قالَ سنَنْظرُ أصَدقْتَ أمْ كُنْتَ مِنَ الكاذِبينَ * اذْهَب بِكِتابِي هٰذَا فألْقِه إليْهِم ثمَّ تَولَّ عَنْهُم فانْظُر ماذا يرْجِعُونَ * قالَتْ يا أيُّها الملأُ إنِّي أُلقِيَ إليَّ كِتابٌ كَرِيمٌ * إنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وإنهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ * ألاَّ تعْلُوا عليَّ وأْتونِي مسْلِمينَ * قالَتْ يا أيُّها الملأُ أفتُونِي في أمْرِي ما كنْتُ قاطِعةً أمراً حتَّى تَشْهدُونَ * قالُوا نَحنُ أُولُوا قُوةٍ وأُولوا بأْسٍ شَديدٍ والأمْرُ إليكِ فانْظُرِي ماذا تأْمرِينَ * قالَتْ إنَّ الملُوكَ إذَا دَخلُوا قَريةً أفْسدُوها وجَعلُوا أعِزَّةَ أهْلِها أذِلَّةً ، وكذٰلكَ يفْعَلونَ * وإنِّي مُرْسِلةٌ إليْهِم بهديَّةٍ فَنَاظِرةٌ بمَ يرْجعُ المرْسَلونَ * فلمَّا جاءَ سُليْمانُ قالَ أتُمدُّونَنِ بمَالٍ فمَا أتانِيَ اللهُ خيرٌ مِمَّا آتاكُمْ بَلْ أنْتُم بِهديَّتِكمْ تَفْرحونَ * ارْجعْ إليْهم فَلَنأْتِينهمْ بجُنُودٍ لاقِبَلَ لَهمْ بِها ولَنُخرِجنَّهمْ مِنْها أذِلةً وهُمْ صاغِرُونَ ﴾ [1] .

يذكر تعالي ما كان من أمر سليمان والهدهد ، وذلك أن الطيور كان على كل صنف منها مقدمون يقدمون بما يطلب منهم ويحضرون عنده بالنوبة كما هي عادة الجنود مع الملوك ، وكانت وظيفة الهدهد على ماذكره ابن عباس وغيره أنهم. كانوا إذا أعوزوا الماء في القفار في حال الأسفار يجيء فينظر لهم هل بهذه البقاع من ماء ، وفيه من القوة التي أودعها الله تعالى فيه أن ينظر إلى الماء تحت تخوم الأرض ، فإذا دلهم عليه حفروا عنه واستنبطوه وأخرجوه واستعملوه لحاجتهم ، فلما تطلبه سليمان عليه السلام ذات يوم فقده ولم يجده في موضعه من محل خدمته ﴿ فَقالَ مَالِي لاَ أرَى الهُدْهُد أمْ كانَ مِنَ الغَائِبينَ ﴾ أي ماله مفقود من هاهنا ، أو قد غاب عن بصري فلا أراه بحضرتي ﴿ لأُعَذّبنَّه عَذاباً شَديداً ﴾ توعده بنوع من العذاب اختلف المفسرون فيه ، والمقصود حاصل على تقدير ﴿ أوْ لأذْبحنَّهُ أوْ لَيأْتِينِّي بسُلْطانٍ مُبينٍ ﴾ أي بحجة تنجيه من هذه الورطة .

قال الله تعالى : ﴿ فَمكَثَ غَيرَ بَعيدٍ ﴾ أي فغاب الهدهد غيبة ليست بطويلة ثم قدم منها

---

(1) سورة النمل آيات ٢٠ ـ ٣٧ .

« فقالَ » لسليمان : « أحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بهِ » أي اطلعت على ما لم تطلع عليه « وجِئْتك مِنْ سَبأ بِنَبأ يَقينٍ » أي بخبر صادق « إنّي وَجدْتُ امْرأةً تَمْلِكُهُمْ وأُوتِيتْ مِنْ كلِّ شيْءٍ ولَها عَرشٌ عَظيمٌ » يذكر ما كان عليه ملوك سبأ في بلاد اليمن من المملكة العظيمة والتبابعة المتوجين ، وكان الملك قد آل في ذلك الزمان إلى امرأة منهم ابنة ملكهم لم يخلف غيرها فملكوها عليهم .

وذكر الثعلبي وغيره أن قومها ملكوا عليها بعد أبيها رجلاً فعم به الفساد ، فأرسلت إليه تخطبه فتزوجها فلما دخلت عليه سقته خمراً ثم حزت رأسه ونصبته على بابها ، فأقبل الناس عليها وملكوها عليهم وهي بلقيس بنت السيرح وهو الهدهاد . وقيل سراحيل بن ذي جدن بن السيرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وكان أبوها من أكابر الملوك وكان قد تأبى أن يتزوج من أهل اليمن ، فيقال إنه تزوج بامرأة من الجن اسمها ريحانة بنت السكن ، فولدت له هذه المرأة واسمها تلقمة ويقال لها بلقيس .

وقد روى الثعلبي من طريق سعيد بن بشير عن قتادة ، عن النضر بن أنس ، عن بشير بن نهيك ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ أنه قال : كان أحد أبوى بلقيس جنياً ، وهذا حديث غريب وفي سنده ضعف .

وقال الثعلبي : أخبرني أبو عبد الله بن قبحونة ، حدثنا أبو بكر بن حرجة ، حدثنا ابن أبي الليث ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ، عن أبي بكرة ، قال ذكرت بلقيس عند رسول الله ﷺ فقال : « لايفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » إسماعيل بن مسلم هذا هو المكي الضعيف .

وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث عوف ، عن الحسن عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ لما بلغه أن أهل فارس ملكوا عليهم ابنة كسرى قال : « لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة » .

ورواه الترمذي والنسائي من حديث حميد ، عن الحسن ، عن أبي بكرة ، عن النبي ﷺ بمثله وقال الترمذي : حسن صحيح . وقوله : « وأُوتِيتْ مِنْ كلِّ شَيْءٍ » أي مما من شأنه أن تؤتاه الملوك « ولَها عَرشٌ عَظيمٌ » يعني سرير مملكتها كان مزخرفاً بأنواع الجواهر واللآلئ والذهب والحلي الباهر .

ثم ذكر كفرهم بالله ، وعبادتهم الشمس من دون الله ، وإضلال الشيطان لهم ، وصده إياهم عن عبادة الله تعالى وحده لاشريك له ، الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم

مايخفون وما يعلنون ، أي يعلم السرائر والظواهر من المحسوسات والمعنويات : ﴿ اللهَ لاَ إِلٰـهَ إِلاَّ هُوَ ربُّ العَرْشِ العَظِيمِ ﴾ أي له العرش العظيم الذي لاأعظم منه في المخلوقات .

فعند ذلك بعث سليمان عليه السلام كتابه يتضمن دعوته لهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله والإنابة والإدعان إلى الدخول في الخضوع لملكه وسلطانه ولهذا قال لهم : ﴿ ألاَّ تعْلُوا عَليَّ ﴾ أي لاتستكبروا عن طاعتين وامتثال أوامري ﴿ وأْتونِي مُسْلِمِينَ ﴾ أي واقدموا على سامعين مطيعين بلا معاودة ولا مراودة ، فلما جاءها الكتاب مع الطير ، ومن ثم اتخذ الناس البطائق ، ولكن أين الثريا من الثرى ، تلك البطاقة كانت مع سائر سامع مطيع فاهم عالم بما يقول ويقال له ، فذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم أن الهدهد حمل الكتاب وجاء إلى قصرها فألقاه إليها وهي في خلوة لها ثم وقف ناحية ينتظر ما يكون من جوابها عن كتابها ، فجمعت أمراءها ووزراءها وأكابر دولتها إلى مشورتها ﴿ قالَتْ يـاأيُّهـا المَلأُ إنّي أُلقِيَ إليَّ كِتـابٌ كَريمٌ ﴾ ثم قرأت عليهم عنوانه أولاً ﴿ إنَّهُ مِنْ سُليمـانَ ﴾ ثم قرأته ﴿ وإنهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * ألاَّ تعْلُوا عَليَّ وأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ ثم شاورتهم في أمرها وما قد حل بها وتأدبت معهم وخاطبتهم وهم يسمعون : ﴿ قالتْ يا أيُّها المَلأُ أفْتونِي في أمْرِي ما كُنتُ قاطِعةً أمراً حتَّى تَشْهَدون ﴾ تعني ما كنت لأبت أمراً إلا وأنتم حاضرون ﴿ قالُوا نَحن أُولُوا قُوَّةٍ وأُولُوا بأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ يعنون لنا قوة وقدرة على الجلاد والقتال ومقاومة الأبطال ، فإن أردت منا ذلك فإنا عليه من القادرين ﴿ و ﴾ مع هذا ﴿ الأمْرُ إليْكِ فانْظُرِي مَاذَا تأْمرِينَ ﴾ فبذلوا لها السمع والطاعة ، وأخبروها بما عندهم من الاستطاعة ، وفوضوا إليها في ذلك الأمر لترى فيه ما هو الأرشد لها ولهم .

فكان رأيها أتم وأشد من رأيهم ، وعلمت أن صاحب هذا الكتاب لايغالب ولا يمانع ولا يخالف ولايخادع ﴿ قالَتْ إنَّ المُلوكَ إذَا دَخلُوا قَريةً أفْسَدُوهَا وجَعلُوا أعِزَّةَ أهْلِها أذِلَّةً ، وكذٰلكَ يفْعَلونَ ﴾ تقول برأيها السديد : إن هذا الملك لو قد غلب على هذه المملكة لم يخلص الأمر من بينكم إلا إليّ ولم تكن الحدة والشدة والسطوة البليغة إلا عليّ ﴿ وإنّي مُرْسلَةٌ إلَيهِم بهَديَّةٍ فَناظِرةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ ﴾ أرادت أن تصانع عن نفسها . وأهل مملكتها بهدية ترسلها وتحف تبعثها . ولم تعلم أن سليمان عليه السلام لايقبل منهم والحالة هذه صرفاً ولا عدلاً ، لأنهم كافرون ، وهو وجنوده عليهم قادرون .

ولهذا : ﴿ لمَّا جاءَ سُليمانَ قالَ أتُمدُّونَنِ بمالٍ فَما آتانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِّـا آتـاكُم بَلْ أنتُمْ بِهَديَّتِكُم

تَفْرحُونَ ﴾ [1] هذا وقد كانت تلك الهدايا مشتملة على أمور عظيمة ، ذكره المفسرون .

ثم قال لرسولها إليه ووافدها الذي قدم عليه والناس حاضرون يسمعون : ﴿ ارْجِعْ إليْهِم فلنأْتِينَّهُم بجُنودٍ لا قِبلَ لَهُم بها ولنُخْرِجنَّهمْ مِنْها أذلةً وهُم صاغِرُونَ ﴾ يقول ارجع بهديتك التي قدمت بها إلى من قد مَنَّ بها فإن عندي مما قد أنعم الله علي وأسداه إلي من الأموال والتحف والرجال ما هو أضعاف هذا وخير من هذا الذي أنتم تفرحون به وتفخرون على أبناء جنسكم بسببه ﴿ فلنأْتِينَّهُم بجُنُودٍ لاقِبَلَ لَهمْ بهَا ﴾ أي فلأبعثن إليهم بجنود لايستطيعون دفاعهم ولا نزالهم ولا ممانعتهم ولا قتالهم ، ولأخرجنهم من بلادهم وحوزتهم ومعاملتهم ودولتهم أذلة ﴿ وهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ عليهم الصغار والعار والدمار .

فلما بلغهم ذلك عن نبي الله لم يكن لهم بد من السمع والطاعة ، فبادروا إلى إجابته في تلك الساعة وأقبلوا صحبة الملكة أجمعين سامعين مطيعين خاطعين . فلما سمع بقدومهم عليه ووفودهم إليه قال لمن بين يديه ممن هو مسخر له من الجان ماقصه الله عنه في القرآن : ﴿ قالَ يا أيُّها الملأُ أيُّكُم يأْتِينِي بعَرْشِها قَبْل أنْ يَأْتوني مُسْلِمِينَ * قالَ عِفريتٌ مِنَ الجِنِّ أنَا آتيكَ بهِ قَبلَ أنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ ، وإنِّي عليْهِ لَقويٌّ أمينٌ * قالَ الَّذِي عِندهُ عِلمٌ مِنَ الكِتابِ أنَا آتِيكَ بهِ قَبْل أنْ يَرْتدَّ إليكَ طرْفكَ ، فلَمَّا رآهُ مُسْتقرًّا عِندَه قالَ هٰذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيبْلُونِي أأشْكُرُ أمْ أكْفُر ، ومَنْ شكَر فإنَّما يشْكرُ لِنفْسهِ ، ومَنْ كفَرَ فإنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ * قالَ نَكِّرُوا لَها عَرْشَها ننْظُر أتَهْتَدِي أمْ تَكونُ مِنَ الذينَ لايَهْتَدُونَ * فلمَّا جاءَتْ قِيلَ أهٰكذا عرْشُكِ ، قَالَتْ كأنَّهُ هُو ، وأُوتِينَا العِلْم مِنْ قَبْلِهَا وكنَّا مُسْلِمِينَ * وصدَّها ما كانَتْ تعْبُد مِنْ دُونِ اللهِ ، إنَّها كانَتْ مِنْ قَوم كافِرِينَ * قِيلَ لَها ادْخُلِي الصَّرحَ ، فلَمَّا رأتْهُ حَسِبتْهُ لجَّةً وكشَفَتْ عَنْ سَاقَيْها ، قالَ إنهُ صَرْحٌ مُمرَّدٌ مِنْ قَوارِيرَ ، قالَتْ ربِّ إنِّي ظلَمْتُ نَفْسِي وأسْلمتُ مَعَ سُليْمانَ للهِ ربِّ العَالَمين ﴾ [1] .

لما طلب سليمان من الجان أن يحضروا له عرش بلقيس ، وهو سرير مملكتها التي تجلس عليه وقت حكمها ، قبل قدومها عليه ﴿ قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الجِنِّ أنَا آتِيكَ بهِ قَبْل أنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ ﴾ يعنى قبل أن ينقضي مجلس حكمك ، وكان فيما يقال من أول النهار إلى قريب الزوال يتصدى لمهات بني إسرائيل وما لهم من الأشغال ﴿ وإنِّي عَليْهِ لَقويٌّ أمِينٌ ﴾ أي وإني لذو قدرة على إحضاره إليه وأمانة على مافيه من الجواهر النفسية لديك ﴿ قالَ الَّذِي عِنْدهُ عِلمٌ مِن

---

(١) سورة النمل الآية ٣٦ . (٢) سورة النمل آيات ٣٨ ـ ٤٤ .

الكتاب ﴾ المشهور أنه آصف بن برخيا وهو ابن خالة سليمان . وقيل هو رجل من مؤمني الجان ، كان فيا يقال يحفظ الاسم الأعظم . وقيل رجل من بني إسرائيل من علمائهم وقيل : إنه سليمان ، وهذا غريب جدًّا . وضعفه السهيلي بأنه لايصح في سياق الكلام . قال : وقد قيل فيه قول رابع وهو : جبريل : ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ قيل معناه قبل أن تبعث رسولاً إلى أقصى ماينتهي إليه طرفك من الأرض ثم يعود إليك . وقيل قبل أن يصل إليك أبعد من تراه من الناس . وقيل قبل أن يكل طرفك إذا أدمت النظر به قبل أن تطبق جفنك . وقيل قبل أن يرجع إليك طرفك إذا نظرت به إلى أبعد غاية منك ثم أغمضته . وهذا أقرب ما قيل .

﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ﴾ أي فلما رأى عرش بلقيقرًّا عنده في هذه المدة القريبة من بلاد اليمن إلى بيت المقدس في طرفة عين ﴿ قَالَ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ أي هذا من فضل الله علي وفضله على عبيده ليختبرهم على الشكر أو خلافه ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ أي إنما يعود نفع ذلك عليه ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ أي غني عن شكر الشاكرين ولا يتضرر بكفر الكافرين .

ثم أمر سليمان عليه السلام أن يغير حلي هذا العرش وينكر لها لتختبر فهمها وعقلها ولهذا قال : ﴿ نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ، قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ وهذا من فطنتها وغزارة فهمها ، لأنها استبعدت أن يكون عرشها لأنها خلفته وراءها بأرض اليمن ، ولم تكن تعلم أن أحداً يقدر على هذا الصنع العجيب الغريب ، قال الله تعالى إخباراً عن سليمان وقومه : ﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ أي ومنعها عبادة الشمس التي كانت تسجد لها هي وقومها من دون الله اتباعاً لدين آبائهم وأسلافهم لا لدليل قادهم إلى ذلك ولا حادهم على ذلك .

وكان سليمان قد أمر ببناء صح من زجاج وعمل في ممره ماء ، وجعل عليه سقفاً من زجاج ، وجعل فيه السمك وغيرها من داوب الماء ، وأمرت بدخول الصرح وسليمان جالس على سريره فيه ﴿ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ، قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ، قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وقد قيل إن الجن أرادوا أن يبشعوا منظرها عند سليمان وأن تبدى عن ساقيها ليرى ماعليها من الشعر فينفره ذلك

منها ،وخشوا أن يتزوجها لأن أمها من الجان فتتسلط عليهم معه . وذكر بعضهم أن حافرها كان كحافر الدابة وهذا ضعيف وفي الأول نظر .. والله أعلم .

إلا أن سليمان قيل إنه لما أراد إزالته حين عزم على تزوجها سأل الإنس عن زواله فذكروا له الموسى ، فامتنعت من ذلك فسأل الجان فصنعوا له النورة ، ووضعوا له الحمام ، فكان أول من دخل الحمام ، فلما وجد مسه قال : أوه من عذاب أوه أوه قبل أن لاينفع أوه .

وقد ذكر الثعلبي وغيره أن سليمان لما تزوجها أقرها على مملكة اليمن وردها إليه ، كان يزورها في كل شهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام ثم يعود على البساط ، وأمر الجان فبنوا له ثلاثة قصور باليمن : غمدان وسالحين وبيتون .. فالله أعلم .

وقد روى ابن إسحاق عن بعض أهل اعلم عن وهب بن منبه أن سليمان لم يتزوجها بل زوجها بملك همدان وأقرها على ملك اليمن وسخر زوبعة ملك اليمن فبني لها القصور الثلاثة التي ذكرناها باليمن ، والأول أشهر وأظهر .. والله أعلم .

وقال تعالى في سورة ص : ﴿ ووَهبْنا لِداوُدَ سُليْمانَ ، نِعْمَ العَبدُ إنَّهُ أوَّابٌ * إذْ عُرِضَ عَليهِ بالعَشِيِّ الصَّافِناتُ الجِيادُ * فَقالَ إنِّي أحْببْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ، حتَّى تَوارَتْ بالحِجابِ * رُدُّوهَا عليَّ ، فَطَفِقَ مَسْحاً بالسُّوقِ والأعْناقِ * ولَقَدْ فَتنَّا سُليْمانَ وألْقَينا عَلَى كُرْسيِّهِ جَسَداً ثمَّ أنابَ * قالَ ربِّ اغفِرْ لِي وهَبْ لِي مُلْكاً لاينْبَغِي لأحَدٍ مِنْ بَعْدي ، إنَّكَ أنْتَ الوَهَّابُ * فَسخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأمْرِهِ رُخاءً حيثُ أصَابَ * والشَّياطِينَ كلَّ بنَّاءٍ وغوَّاصٍ * وآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ في الأصْفادِ * هٰذا عَطاؤُنا فامنُنْ أوْ أمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ * وإنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفَى وحُسْنَ مآبٍ ﴾ (١) .

يذكر تعالى أنه وهب لداود سليمان عليهما السلام ، ثم أثني الله تعالى عليه فقال : ﴿ نِعْمَ العَبدُ ، إنَّهُ أوَّابٌ ﴾ أي رجاع مطيع لله ، ثم ذكر تعالى ما كان من أمره في الخيل الصافنات وهي التي تقف على ثلاثة وطرف حافر الرابعة ، الجياد وهي المضمرة السراع .

﴿ فَقالَ إنِّي أحْبَبتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ ربِّي ، حتَّى تَوارَتْ بالحِجَابِ ﴾ يعني الشمس . وقيل الخيل على ما سنذكره من القولين ﴿ رُدُّوها عَليَّ ، فَطفِقَ مَسْحاً بالسُّوقِ والأعْناقِ ﴾ قيل

(١) سورة ص آيات ٣٠ ـ ٤٠ .

مسح عراقيبها وأعناقها بالسيوف . وقيل مسح عنها العرق لما أجراها وسابق بينها بين يديه على القول الآخر .

والذي عليه أكثر السلف الأول ، فقالوا اشتغل بعرض تلك الخيول حتي خرج وقت العصر وغربت الشمس . وروى هذا عن علي بن أبي طالب وغيره . والذي يقطع به أنه لم يترك الصلاة عمداً من غير عذر ، اللهم إلا أن يقال إنه كان سائغاً في شريعتهم ، فأخر الصلاة لأجل أسباب الجهاد وعرض الخيل من ذلك .

وقد ادعي طائفة من العلماء في تأخير النبي ﷺ صلاة العصر يوم الخندق أن هذا كان مشروعاً إذ ذاك حتى نسخ بصلاة الخوف ، قاله الشافعي وغيره . وقال مكحول والأوزاعي : بل هو حكم محكم إلى اليوم أنه يجوز تأخيرها بعذر القتال الشديد ، كما ذكرنا تقرير ذلك في سورة النساء عند صلاة الخوف . وقال آخرون : بل كان تأخير النبي ﷺ صلاة العصر يوم الخندق نسياناً وعلى هذا فيحمل فعل سليمان عليه السلام على هذا .. والله أعلم .

وأما من قال : الضمير في قوله : ﴿ حَتَّى تَوارَتْ بالحِجَابِ ﴾ عائد على الخيل وأنه لم تنته وقت صلاة وأن المراد بقوله : ﴿ رَدُّوهـا عليَّ ، فَطفِقَ مَسْحاً بـالسُّوقِ والأعْنَـاقِ ﴾ يعنى مسح العرق عن عراقيبها وأعناقها ، فهذا القول اختاره ابن جرير ، ورواه الوالبي عن ابن عباس في مسح العرق . ووجه هذا القول ابن جرير بأنه ما كان ليعذب الحيوان بالعرقبة ويهلك مالا بلا سبب ولا ذنب لها ، وهذا الذي قاله فيه نظرلأنه قد يكون هذا سائغاً في ملتهم وقد ذهب بعض علمائنا إلى أنه إذا خاف المسلمون أن يظفر الكفار على شيء من الحيوانات من أغنام ونحوها جاز ذبحها وإهلاكها لئلا يتقووا بها ، وعليه حمل صنيع جعفر بن أبي طالب يوم عقر فرسه بمؤتة . وقد قيل إنها كانت خيلاً عظيمة . قيل كانت عشرة آلاف فرس . وقيل كانت عشرين ألف فرس . وقيل كان فيها عشرون فرساً من ذوات الأجنحة .

وقد روي أبو داود في سننه : حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، أنبأنا يحي ابن أيوب ، حدثني عمارة بن غزية ، أن محمد بن إبراهيم حدثه عن محمد بن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة قالت : قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر ، فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب فقال : « ماهذا ياعائشة » ؟ فقالت : بناتي . ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع . فقال : « ماهذا الذي أرى

وسطهن » ؟ قالت : فرس . قال : « وما الذي عليه هذا » ؟ قالت : جناحان . قال : « فرس له جناحان » ؟ قالت : أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة ؟ قالت : فضحك حتى رأيت نواجذه ﷺ .

قال بعض العلماء : لما ترك الخيل لله عوضه الله عنها بما هو خير له منها ، وهو الريح التي كانت غدوها شهر ورواحها شهر ، كما سيأتي الكلام عليها .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، عن أبي قتادة وأبي الدهماء ،وكانا يكثران السفر نحو البيت قالا : أتينا على رجل من أهل البادية فقال البدوي : أخذ بيدي رسول الله ﷺ فعل يعلمني مما علمه الله عز وجل وقال : « إنك لاتدع شيئاً اتقاء الله عز وجل إلا أعطاك الله خيراً منه » .

وقوله تعالى : ﴿ ولَقدْ فَتنَّا سُلَيمانَ وَأَلْقيْنَا علَى كُرسِيِّه جَسداً ثُمَّ أَنابَ ﴾ .

ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من المفسرين هاهنا آثاراً كثيرة عن جماعة من السلف ، وأكثرها أو كلها متلقاة من الإسرائيليات ، وفي كثير منها نكارة شديدة ، وقد نبهنا على ذلك في كتابنا التفسير واقتصرنا هاهنا على مجرد التلاوة .

ومضمون ماذكره أن سليمان عليه السلام غاب عن سريره أربعين يوماً ثم عاد إليه ، ولما عاد أمر ببناء بيت المقدس فبناه بناء محكماً ، وقد قدمنا أنه جدده وأن أول من جعله مسجداً إسرائيل عليه السلام ، كما ذكرنا ذلك عند قول أبي ذر . قلت : يارسول الله .. أي مسجد وضع أول ؟ قال : « المسجد الحرام » قلت : ثم أي ؟ قال : « مسجد بيت المقدس » ، قلت : كم بينهما ؟ قال : « أربعون سنة » .

ومعلوم أن بين إبراهيم الذي بنى المسجد الحرام وبين سليمان بن داود عليهما السلام أزيد من ألف سنة دع أربعين سنة ، وكان سؤاله الملك الذي لاينبغي لأحد من بعده بعد إكماله البيت المقدس ؟ قال الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم بأسانيدهم عن عبد الله بن فيروز الديلمي ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ان سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خلالاً ثلاثاً ، فأعطاه اثنتين ، ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة : سأله حكماً يصادف حكمه ، فأعطاه إياه ، وسأله ملكاً لاينبغي لأحد من

بعده فأعطاه إياه ، وسأله أيما رجل خرج من بيته لايريد إلا الصلاة في هذه المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه . فنحن نرجو أن يكون الله قد أعطانا إياها » .

فأما الحكم الذي يوافق حكم الله تعالى فقدأثني الله تعالى عليه وعلى أبيه في قوله : ﴿ وداوُد وسُلَيْمانَ إذْ يَحْكُمانِ في الحَرْثِ إذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ وكنّا لِحُكْمِهِم شاهِدينَ * فَفَهَّمناهَا سُلَيْمان ، وكلاً آتَيْنا حُكْماً وعِلْماً ﴾ [1] وقد ذكر شريح القاضي وغير واحد من السلف أن هؤلاء القوم كان لهم كرم فنفشت فيه غنم قوم آخرين ، أي رعته بالليل فأكلت شجرة فأكلت ، فتحاكموا إلى داود عليه السلام فحكم لأصحاب الكرم بقيمته فلما خرجوا على سليمان قال : بم حكم لك نبي الله ؟ فقالوا : بكذا وكذا ، فقال : أما لو كنت أنا لما حكمت إلا بتسليم الغنم إلى أصحاب الكرم فيستغلونها نتاجاً ودراً حتى يصلح أصحاب الغنم كرم أولئك ويردوه إلى ما كان عليه ، ثم يتسلموا غنمهم ، فبلغ داود عليه السلام ذلك فحكم به .

وقريب من هذا ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي الزناد ، عن الأعراج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « بينما امرأتان معهما ابناهما إذ عدا الذئب فاخذ ابن إحداهما فتنازعتا في الآخر فقالت الكبرى : إنما ذهب بابنك . وقالت الصغرى : بل إنما ذهب بابنك . فتحاكتا إلى داود فحكم به للكبرى ، فخرجتا على سليمان فقال : آتوني بالسكين أشقه نصفين لكل واحدة منكما نصفه . فقالت الصغرى : يرحمك الله هو ابنها . فقضى به لها » .

ولعل كل من الحكمين كان سائغاً في شريعتهم ، ولكن ما قاله سليمان أرجح ، ولهذا أثنى الله عليه بما ألهمه إياه بعد ذلك إياه فقال : ﴿ وكلاً آتَيْنا حُكْماً وعِلْماً ، وسَخَّرنا مَعَ دَاوُد الجِبالَ يُسبِّحْن والطَّيْر ، وكنّا فاعِلِينَ * وعلَّمناهُ صَنْعَةَ لَبوسٍ لَكُم لِتُحْصِنَكُم مِنْ بأْسِكُم ، فَهلْ أَنْتُم شاكِرُونَ ﴾ [2] .

ثم قال : ﴿ ولِسُلَيْمان الرِّيحَ عاصِفَةً ﴾ [3] أي وسخرنا لسليمان الريح عاصفة ﴿ تَجْرِي بأمْرِه إلَى الأرْضِ التِي بَارَكْنا فِيها ، وكنّا بِكلِّ شَيءٍ عالِمِينَ * ومِنَ الشَّياطِينَ مَنْ يغُوصُونَ لَهُ ويعْمَلونَ عَملاً دُونَ ذٰلكَ ، وكُنّا لَهُم حافِظِينَ ﴾ [4] .

وقال في صورة ص : ﴿ فَسخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بأمْرِهِ رُخاءً حَيثُ أَصابَ * والشَّياطِينَ

(١) سورة الأنبياء أيتا ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) الأنبياء الآيات ٧٩ ، ٨٠ .

(٣) الأنبياء الآية ٨١ .

(٤) الأنبياء الآية ٨٢ .

كلَّ بنَّاءٍ وغوَّاصٍ * وآخرِينَ مُقرَّنينَ في الأصْفَادِ * هٰذا عَطاؤُنا فامْنُن أوْ أمْسِك بِغيرِ حسابٍ * وإنَّ لهُ عِنْدَنا لزُلْفَى وحُسْنَ مَآبٍ * [1] .

لما ترك الخيل ابتغاء وجه الله عوضه الله منْها الريح التي هي أسْرع سيراً وأقوى وأعظم ولا كلفة عليه لها « تَجْري بِأمْرِه رُخاءً حيثُ أصَابَ » أي حيث أراد من أي البلاد ، كان له بساط مركب من أخشاب بحيث إنه يسع جميع ما يحتاج إليه من الدور المبنية والقصور والخيام والأمتعة والخيول والجمال والأثقال والرجال من الإنس والجان ، وغير ذلك من الحيوانات والطيور فإذا أراد سفراً أو مستنزهاً أو قتال ملك أو أعداء من أي بلاد الله شاء ، فإذا حمل هذه الأمور المذكورة على البساط أمر الريح فدخلت تحته فرفعته فإذا استقل بين السماء والأرض أمر الرخاء فسارت به ، فإن أراد أسرع من ذلك أمر العاصفة فحملته أسرع ما يكون فوضعته في أي مكان شاء ، بحيث إنه كان يرتحل في أول النهار من بيت المقدس فتغدو به الريح فتضعه بإصطخر مسيرة شهر فيقيم هناك إلى آخر النهار ، ثم يروح من آخره فترده إلى بيت المقدس .

كما قال تعالى : ﴿ ولِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدوُّها شَهْرٌ ورَواحُها شهرٌ ، وأسَلْنا لَه عَيْنَ القِطْرِ ، ومنَ الجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بيْنَ يَديْه بإذْنِ ربِّه ، ومَنْ يَزِغْ مِنْهُم عَنْ أمْرِنا نُذِقْهُ مِن عَذَابِ السَّعيرِ * يعْمَلونَ لَهُ مَا يشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وتَماثِيلَ وجِفانٍ كالجَوابِ وقُدُورٍ رَاسِياتٍ ، اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكراً ، وقَليلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [2] .

قال الحسن البصري : كان يغدو من دمشق فينزل بإصطخر فيتغدى بها ويذهب رائحاً منها فيبيت بكابل وبين دمشق وبين اصطخر مسيرة شهر وبين اصطخر وكابل مسيرة شهر .

قلت : قد ذكر المتكلمون على العمران والبلدان أن اصطخر بنتها الجان لسليمان وكان فيها قرار مملكة الترك قديماً وكذلك غيرها من بلدان شتى كتدمر وبيت المقدس وباب جيرون وباب البريد اللذان بدمشق على أحد الأقوال .

وأما القطر فقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغير واحد : هو النحاس . قال قتادة

---

(١) ص الآيات ٣٦ ـ ٤٠

(٢) سبأ الآيات ١٢ ، ١٣

وكانت باليمن أنبعها الله له . قال السدي : ثلاثة أيام فقط أخذ منها جميع ما يحتاج إليه للبنايات وغيرها .

وقوله : ﴿ ومِنَ الجنِّ مَنْ يَعْمَل بيْنَ يَديْه بإذْن ربّه ، ومَنْ يَزِغْ منْهُم عَنْ أمْرِنَا نُذقْه مِنْ عذَابِ السَّعيرِ ﴾ أي وسخر الله له من الجن عمالاً يعملون له ما يشاء لا يفترون ولا يخرجون عن طاعته ومن خرج منهم عن الأمر عذبه ونكل به ﴿ يعْملونَ لَه ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ ﴾ وهي الأماكن الحسنة وصدور المجالس ﴿ وتَماثِيلَ ﴾ وهي الصور في الجدران ، وكان هذا سائغاً في شريعتهم وملتهم ﴿ وجِفانٍ كالجَوابِ ﴾ قال ابن عباس : الجفنة كالجوبة من الأرض ، وعنه كالحياض . وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم . وعلى هذه الرواية يكون الجواب جمع جابية وهي الحوض إلذي يجبى فيه الماء ، قال الأعشى :

تروح على ال المحلــق جفنــة كجابيـة الشيـخ العراقي تفهـق

وأما القدور الراسيات فقال عكرمة : أثافيها منها ، يعني أنهن ثوابت لا يزلن عن أماكنهن ، وهكذا قال مجاهد وغير واحد .

ولما كان هذا بصدد إطعام الطعام والإحسان إلى الخلق من إنسان وحيوان قال تعالى : « اعْملُوا آلَ دَاوُد شُكْراً ، وقَليلٌ مِنْ عبادِي الشَّكورُ ﴾ .

وقال تعالى : « والشَّياطِين كلَّ بنَّاءٍ وغَوَّاصٍ * وآخَرِينَ مُقَرَّنينَ في الأصْفَادِ » [1] أي قد عصوا فقيدوا مقرنين اثنين اثنين في الأصفاد وهي القيود ، وهذا كله من جملة ما هيأه الله وسخر له من الأشياء التي هي من تمام الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده ولم يكن أيضاً لمن كان قبله .

وقد قال البخاري : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن محمد ابن زياد ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن عفريتا من الجن تفلت عليَّ البارحة ليقطع على صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان : ﴿ رَبِّ اغْفِر لِي وهَبْ لي مُلْكاً لا ينبَغي لأحدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ ، فردته خاسئاً » .

---

(٢) سورة ص آيتا ٣٧ ـ ٣٨ .

وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة .

وقال مسلم : حدثنا محمد بن سلمة المرادي ، حدثنا عبد الله بن وهب عن معاوية بن صالح ، حدثني ربيعة بن يزيد ، عن أبي إدريس يصلي فسمعناه يقول : « أعوذ بالله منك .. ألعنك بلعنة الله » ثلاثاً ، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً ، فلما فرغ من الصلاة قلنا : يارسول الله .. قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك قال : « إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت : أعوذ بالله منك ثلاث مرات ، ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة . فلم يستأخر ثلاث مرات ، ثم أردت أخذه ، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة » .

وكذا رواه النسائي عن محمد بن سلمة به .

وقال أحمد : حدثنا أبو أحمد ، حدثنا مرة بن معبد ، حدثنا أبو عبيد حاجب سليمان قال : رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائماً يصلي ، فذهبت أمر بين يديه فردني ثم قال : حدثني أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قام فصلى صلاة الصبح وهو خلفه فقرأ فالتبست عليه القراءة . فلما فرغ من صلاته قال : « لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين الإبهام والتي تليها ، ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة ، فمن استطاع منكم ألا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل » .

روى أبو داود منه « فمن استطاع » إلى آخره عن أحمد بن سريج عن أحمد الزبيري به .

وقد ذكر غير واحد من السلف أنه كانت لسليمان من النساء ألف امرأة سبعمائة بمهور وثلاثمائة سراری . وقيل بالعكس ثلاثمائة حرائر وسبعمائة من الإماء ، وقد كان يطيق من التمتع بالنساء أمراً عظيماً جداً .

قال البخاري : حدثنا خالد بن مخلد ، حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه : إن شاء الله . فلم يقل فلم تحمل شيئاً إلا واحداً ساقطاً أحد شقيه » . فقال النبي ﷺ : « لو قالها لجاهدوا في سبيل الله » .

وقال شعيب وابن أبي الزناد : تسعين وهو أصح . تفرد به البخاري من هذا الوجه .

وقال أبو يعلي : حدثنا زهير ، حدثنا يزيد ، أنبأنا هشام بن حسان عن محمد ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة على مائة امرأة كل امرأة منهن تلد غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله . ولم يقل إن شاء الله ، فطاف تلك الليلة على مائة امرأة فلم تلد منهن امرأة إلا امرأة ولدت نصف إنسان » فقال رسول الله ﷺ : « لو قال إن شاء الله لولدت كل امرأة منهن غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله عز وحل » .

إسناده على شرط الصحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم ، حدثنا هشام ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل واحدة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله ، ولم يستثن . فما ولدت إلا واحدة منهن بشق إنسان . قال : رسول الله ﷺ : « لو استثنى لولد له مائة غلام كلهم يقاتل في سبيل الله عز وجل » . تفرد به أحمد أيضاً .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله ، قال : ونسي أن يقول إن شاء الله ، فأطاف بهن . قال : فلم تلد منهن امرأة إلا واحدة نصف إنسان» . فقال رسولُ الله ﷺ : « لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركاً لحاجته » .

وهكذا أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به مثله .

قال إسحاق بن بشر : أنبأنا مقاتل ، عن أبي الزناد ، وابن أبي الزناد عن أبيه ، عن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، أن سليمان بن داود كان له أربعمائة امرأة وستمائة سرية فقال يوماً : لأطوفن الليلة على ألف امرأة فتحمل كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله . ولم يستثن ، فطاف عليهن فلم تحمل واحدة منهن إلا امرأة واحدة منهن جاءت بشق إنسان .

فقال النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده لو استثنى فقال إن شاء الله لولد له ما قال فرسان ولجاهدوا في سبيل الله عز وجل » .

وهذا إسناد ضعيف لحال إسحاق بن بشر ، فإنه منكر الحديث ولا سيما وقد خالف الروايات الصحاح ..

وقد كان له عليه السلام من أمور الملك واتساع الدولة وكثرة الجنود وتنوعها ما لم يكن لأحد قبله ، ولا يعطيه الله أحداً بعده كما قال : ﴿ وأُوتِينَا مِنْ كلِّ شَيءٍ ﴾ [1] ، و ﴿ قالَ ربِّ اغْفِر لِي وَهبْ لِي مُلْكاً لا ينبَغي لأحَدٍ مِنْ بَعْدي ، إنَّكَ أنتَ الوَهَّابُ ﴾ [2] وقد أعطاه الله ذلك بنص الصادق المصدوق .

ولما ذكر تعالى ما أنعم به عليه وأسداه من النعم الكاملة العظيمة إليه قال : ﴿ هذا عَطاؤُنا فامنُنْ أوْ أمْسِكْ بِغَيرِ حِسابٍ ﴾ أي أعط من شئت واحرم من شئت ، فلا حساب عليك أي تصرف في المال كيف شئت فإن الله قد سوغ لك ما تفعله من ذلك ولا يحاسبك على ذلك ، وهذا شأن النبي الملك بخلاف العبد الرسول ، فإن من شأنه ألا يعطي أحداً إلا بإذن الله له في ذلك .

وقد خير نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه بين هذين المقامين فاختار أن يكون عبداً رسولاً . وفي بعض الروايات أنه استشار جبريل في ذلك فأشار إليه أن تواضع . فاختار أن يكون عبداً رسولاً صلوات الله وسلامه عليه وقد جعل الله الخلافة والملك من بعده في أمته إلى يوم القيامة فلا تزال طائفة من أمته ظاهرين حتى تقوم الساعة .. فلله الحمد والمنة .

ولما ذكر تعالى ما وهبه لنبيه سليمان عليه السلام منَ خير الدنيا نبه على ما أعده له في الآخرة من الثواب الجزيل والأجر الجميل والقربة التي تقربه إليه والفوز العظيم والإكرام بين يديه ، وذلك يوم المعاد والحساب حيث يقول تعالى : ﴿ وإنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلفَى وحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [2] .

حياته ووفاته

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلمَّا قَضيْنَا عليْهِ الموْتَ ما دَلَّهمْ علَى مَوْتهِ إلاَّ دَابَّةُ الأرْضِ تأكُلُ مِنْسَأتَهُ ، فلمَّا خَرَّ تَبيَّنتِ الجنُّ أنْ لَوْ كانُوا يعْلمُونَ الغَيْب ما لَبثُوا في العَذابِ المهِينِ ﴾ [3] .

---

(١) سورة النمل الآية ١٦ .

(٢) سورة ص الآية ٣٥

(٣) سورة سبأ الآية ١٤ .

روى ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من حديث إبراهيم ابن طهمان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « كان سليمان نبي الله عليه السلام إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه يقول لها : ما اسمك ؟ فتقول كذا . فيقول : لأي شيء أنت ؟ فإن كانت لغرس غرست وإن كانت لدواء أنبتت . فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : الخروب . قال : لأى شيء أنت ؟ قالت : لخراب هذا البيت . فقال سليمان : اللهم عمّ على الجن موتى حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب . فنحتها عصاً فتوكأ عليها حولا والجن تعمل ، فأكلتها الأرضة فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين . قال : ـ وكان ابن عباس يقرؤها كذلك ـ فشكرت الجن للأرَضَة فكانت تأتيها بالماء » .

لفظ ابن جرير . وعطاء الخرساني في حديثه نكارة .

وقد رواه الحافظ ابن عساكر من طريق سلمة بن كهيل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس موقوفاً . وهو أشبه بالصواب .. والله أعلم .

وقال السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن أناس من الصحابة : كان سليمان عليه السلام يتجرد في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل طعامه وشرابه . فأدخله في المرة التي توفى فيها فكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه إلا نبتت في بيت المقدس شجرة فيأتيها فيسألها ما اسمك ؟ فتقول الشجرة : اسمي كذا وكذا . فيجعلها كذلك حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة ، فسألها ما اسمك ؟ فقالت : أنا الخروبة . فقال : ولأي شيء نبت ؟ فقالت : نبت لخراب هذا المسجد ، فقال سليمان : ما كان الله ليخربه وأنا حي ، أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس . فنزعها وغرسها في حائط له . ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئاً على عصاه فمات ولم تعلم به الشياطين . وهم في ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم ، وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب ، وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه . فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول : ألست جليداً إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب . فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر . فدخل شيطان من أولئك فمر ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان عليه السلام وهو في المحراب إلا احترق ، فلم يسمع صوت سليمان ، ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع في البيت ولم يحترق ونظر إلى سليمان عليه السلام قد سقط ميتاً ، فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ،

ففتحوا عنه فأخرجوه ووجدوا منسأته ـ وهي العصا بلسان الحبشة ـ قد أكلتها الأَرَضَة ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الأرَضة على العصا فأكلت منها يوماً وليلة ، ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة ، وهي قراءة ابن مسعود : فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولا كاملاً فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبون ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له ذلك ، وذلك قول الله عز وجل : ﴿ ما دَلَّهُم علَى مَوْتِه إلاَّ دابَّةُ الأرْضِ تأْكُل مِنْسَأَتَهُ ، فلمَّا خَرَّ تَبيَّنتِ الجنُّ أنْ لَوْ كانُوا يعْلمُونَ الغَيْب ما لَبثُوا في العَذابِ المهِينِ ﴾ يقول : تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم ، ثم إن الشياطين قالوا للأَرَضة : لو كنت تأكلين الطعام لأتيناك بأطيب الطعام ، ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ، ولكنا سننقل إليك الماء والطين . قال : فإنهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت . قال : ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشب فهو ما يأتيها به الشيطان تشكراً لها .

وهذا فيه من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب .

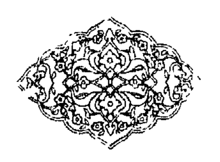
وقال أبو داود في كتاب القدر : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا قبيصة ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، قال : قال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت : إذا أردت أن تقبض روحي فأعلمني ، قال : ما أنا أعلم بذلك منك إنما هي كتب يلقي إلي فيها تسمية من يموت .

وقال أصبغ بن الفرج وعبد الله بن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : قال سليمان لملك الموت : إذا أمرت بي فأعلمني ، فأتاه فقال : ياسليمان .. قد أمرت بك قد بقيت لك سويعة . فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس له باب ، فقام يصلي فاتكأ على عصاه قال : فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متوكئ على عصاه ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت . قال والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حي ، قال : فبعث الله دابة الأرض ـ يعني إلى مِنْسأته ـ فأكلتها حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر فلما رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا . قال : فذلك قوله : ﴿ ما دَلَّهُم عَلى مَوْتِه إلاَّ دَابَّة الأرْضِ تأْكُل مِنْسَأَتَهُ ، فلمَّا خَرَّ تَبيَّنتِ الجنُّ أنْ لَو كانُوا يعْلمُون الغَيْب ما لَبثُوا في العَذابِ المهِينِ ﴾ .

قال أصبغ : وبلغني عن غيره أنها مكثت سنة تأكل من منسأته حتى خر . وقد روى نحو هذا عن جماعة من السلف وغيرهم .. والله تعالى أعلم .

قال إسحاق بن بشر عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري وغيره أن سليمان عليه السلام عاش اثنتين وخمسين سنة وكان ملكه أربعين سنة . وقال إسحاق : أنبأنا أبو روق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن ملكه كان عشرين سنة .. والله أعلم . وقال ابن جرير : فكان جميع عمر سليمان ابن داود عليهما السلام نيفاً وخمسين سنة . .

وفي سنة أربع من ملكه ابتداء ببناء المقدس فيما ذكر ثم ملك بعده ابنه رحبعام مدة سبع عشرة سنة فيما ذكره ابن جرير . وقال : ثم تفرقت بعده مملكة بني إسرائيل .



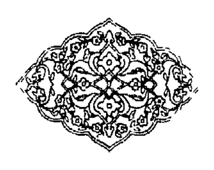
أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام
بعد داود عليه السلام

فمنهم شعيا بن أمصيا . قال محمد بن إسحاق : وكان قبل زكريا ويحيى وهو ممن بشر بعيسى ومحمد عليهما السلام . وكان في زمانه ملك اسمه حزقيا على بني إسرائيل ببلاد بيت المقدس ، وكان سامعاً مطيعاً لشعيا فيما يأمره به وينهاه عنه من المصالح ، وكانت الأحداث قد عظمت في بني إسرائيل ، فمرض الملك وخرجت في رجله قرحة ، وقصد بيت المقدس ملك بابل في ذلك الزمان وهو سنحاريب . قال ابن إسحاق : في ستمائة ألف راية .

وفزع الناس فزعاً عظيماً شديداً . وقال الملك للنبي شعيا : ماذا أوحى الله إليك في أمر سنحاريب وجنوده ؟ فقال : لم يوح إليّ فيهم شيء بعد ، ثم نزل عليه الوحي بالأمر للملك حزقيا بأن يوصي ويستخلف على ملكه يشاء ، فإنه قد اقترب أجله . فلما أخبره بذلك أقبل الملك على القبلة فصلى وسبح ودعا وبكى فقال وهو يبكي ويتضرع إلى الله عز وجل بقلب مخلص وتوكل وصبر : اللهم رب الأرباب وإله الآلهة يارحمن يارحيم ، يامن لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرني بعملي وفعلي وحسن قضائي على بني إسرائيل وذلك كله كان منك فأنت أعلم به من نفسي ، سري وإعلاني لك .

قال : فاستجاب الله له ورحمه وأوحى الله إلى شعيا أن يبشره بأنه قد رحم بكاءه وقد أخر في أجله خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنحاريب فلما قال له ذلك ذهب منه الوجع وانقطع عنه الشر والحزن وخر ساجداً وقال في سجوده : اللهم أنت الذي تعطي الملك من تشاء ، وتنزعه ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، عالم الغيب والشهادة ، فأنت الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين .

فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيا أن يأمره أن يأخذ ماء التين فيجعله على قرحته فيشفى



ويصبح قد برئ . ففعل ذلك فشفي .

وأرسل الله على جيش سنحاريب الموت فأصبحوا وقد هلكوا كلهم سوى سنحاريب وخمسة من أصحابه منهم بختنصر أرسل ملك بني إسرائيل فجاء بهم فجعلهم في الأغلال وطاف بهم البلاد على وجه التنكيل بهم والإهانة لهم سبعين يوماً ، ويطعم كل واحد منهم كل يوم رغيفين من شعير ، ثم أودعهم السجن وأوحى الله تعالى إلى شعيا أن يأمر الملك بإرسالهم إلى بلادهم لينذروا قومهم ما قد حل بهم ، فلما رجعوا جمع سنحاريب قومه وأخبرهم بما قد كان من أمرهم فقال له السحرة والكهنة : إنا أخبرناك عن شأن ربهم وأنبيائهم فلم تطعنا ، وهي أمة لا يستطيعها أحد من ربهم فكان أمر سنحاريب مما خوفهم الله به . ثم مات سنحاريب بعد سبع سنين .

قال ابن إسحاق : ثم لما مات حزقيا ملك بني إسرائيل مرج أمرهم واختلطت أحداثهم ، وكثر شرهم ، فأوحى الله تعالى إلى شعيا فقام فيهم فوعظهم وذكرهم وأخبرهم عن الله بما هو أهله وأنذرهم بأسه وعقابه إن خالفوه وكذبوه . فلما فرغ من مقالته عدوا عليه وطلبوه ليقتلوه ، فهرب منهم فمر بشجرة فانفلتت له فدخل فيها وأدركه الشيطان فأخذ بهدبة ثوبه فأبرزها فلما رأوا ذلك جاءوا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها ونشروه معها ، فإنا لله وإنا إليه راجعون [1] .

أرميا بن حلقيا

وقد قيل إنه الخضر . رواه الضحاك عن ابن عباس . وهو غريب وليس بصحيح .

قال ابن عسكر : جاء في بعض الآثار أنه وقف على دم يحي بن زكريا وهو يفوز بدمشق فقال : أيها الدم .. فتنت الناس فاسكن . فسكن ورسب حتى غاب .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني علي بن أبي مريم ، عن أحمد بن حباب ، عن عبد الله ابن عبد الرحمن قال : قال أرميا : أي رب .. أي عبادك أحب إليك ؟ قال : أكثرهم لي ذكراً ، الذين يشتغلون بذكرى عن ذكر الخلائق ، الذي لا تعرض لهم وساوس الفناء ، ولا يحدثون أنفسهم بالبقاء ، الذين إذا عرض لهم عيش الدنيا قلوْهُ وإذا زوى عنهم سروا بذلك ، أولئك أنحلهم محبتي وأعطيهم فوق غاياتهم .

وقوله تعالى : ﴿ وآتَيْنا مُوسَى الكِتابَ وجَعلْناهُ هُدًى لبنِي إسْرائِيلَ ألاّ تتّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكيلاً * ذُرِّيةَ مَنْ حَملْنا مَعَ نُوحٍ ، إنّه كَانَ عَبْداً شَكُوراً * وقَضَيْنا إلى بَنِي إسْرائيلَ في الكِتابِ لتُفْسدنّ في الأرْضِ مرّتَيْن ولتَعلُنّ عُلوّاًكَبيراً * فإذا جاءَ وَعْد أُولاهُما بَعثْنا عَليْكُم عِباداً لَنا أُولِي بأْسٍ شَديدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ ، وكانَ وعْداً مفْعُولا * ثمّ رَددْنا لَكُم الكَرّةَ عليْهِم وأمْدَدناكُمْ بأمْوال وَبنِينَ وجَعلْناكُم أكْثَر نَفيراً * إنْ أحْسَنتُم أحْسَنتُم لأنْفُسِكُم ، وإنْ أسَأْتُمْ فَلهَا ، فإذا جاءَ وَعْد الآخِرةِ ليَسُوءُوا وُجُوهكُم وليَدْخلُوا المسْجِدَ كَما دَخلُوهُ أوّلَ مرّةٍ وليُتَبّروا ما عَلوْا تتْبيراً * عَسَى ربُّكُم أنْ يَرحَمَكُم ، وإنْ عُدْتُم عُدْنا وجَعَلنا جَهنّم للكَافِرِينَ حَصِيراً ﴾ [١] .

وقال وهب بن منبه : أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له أرميا حين ظهرت فيهم المعاصي : أن قم بين ظهراني قومك فأخبرهم أنّ لهم قلوباً ولا يفقهون ، وأعيناً ولا يبصرون وآذاناً ولا يسمعون ، وإني تذكرت صلاح آبائهم فعطفني ذلك على أبنائهم . فسلهم كيف وجدوا غب طاعتي ، وهل سعد أحد ممن عصاني بمعصيتي ، وهل شقي أحد ممن أطاعني بطاعتي ؟ إن الدواب تذكر أوطانها فتنزع إليها وإن هؤلاء القوم تركوا الأمر الذي أكرمت عليه آباءهم والتمسوا الكرامة من غير وجهها ، أما أحبارهم فأنكروا حقي ، وأما قراؤهم فعبدوا غيري ، وأما نُسّاكهم فلم ينتفعوا بما علموا ، وأما ولاتهم فكذبوا عليّ وعلى رسلي ، خزنوا المكر في قلوبهم وعودوا الكذب ألسنتهم ، وإني أقسم بجلالي وعزتي لأهيجن عليهم جيوشاً لايفقهون ألسنتهم ، ولا يعرفون وجوههم ولا يرحمون بكاءهم ، ولأبعثن فيهم ملكاً جباراً قاسياً له عساكر كقطع السحاب ، ومواكب كأمثال الفجاج ، كأن خفقان راياته طيران النسور ، وكأن حمل فرسانه كر العقبان ، يعيدون العمران خراباً ويتركون القرى وحشة ، فياويل إليا وسكانها كيف أذللهم للقتل ، وأسلط عليهم السبا ، وأعيد بعد لجب الأعراس صراخاً ، وبعد صهيل الخيل عواء الذئاب ، وبعد شرفات القصور مساكن السباع ، وبعد ضوء السرج وهج العجاج ، وبالعز الذب وبالنعمة العبودية وأبدلن نساءهم بعد الطيب التراب ، وبالمشي على الزرابي الخبب ، ولأجعلن أجسادهم زبلا للأرض ، وعظامهم ضاحية للشمس ، ولأدوسنهم بألوان العذاب ، ثم

---

(١) سورة الإسراء الآيات ٢ ـ ٨ .

لآمرن السماء فتكون طبقاً من حديد ، والأرض سبيكة من نحاس ، فإن أمطرت لم تنبت الأرض ، وإن أنبتت شيئاً في خلال ذلك فبرحمتي للبهائم ، ثم أحبسه في زمان الزرع وأرسله في زمان الحصاد ، فإن زرعوا في خلال ذلك شيئاً سلطت عليه الآفة ، فإن خلص منه شيء نزعت منه البركة ، فإن دعوني لم أجبهم ، وإن سألوا لم أعطهم ، وإن بكوا لم أرحمهم ، وإن تضرعوا صرفت وجهي عنهم . رواه ابن عساكر بهذا اللفظ .

وقال إسحاق بن بشر : أنبأنا إدريس ، عن وهب بن منبه ، قال : إن الله تعالى لما بعث أرمياً إلى بني إسرائيل ، وذلك حين عظمت الأحداث فيهم فعملوا بالمعاصي ، وقتلوا الأنبياء ، طمع بختنصر فيهم وقذف الله في قلبه وحدث نفسه بالمسير إليهم لما أراد الله أن ينتقم به منهم ، فأوحى الله إلى أرميا : إني مهلك بني إسرائيل ومنتقم منهم ، فقم على صخرة بيت المقدس يأتيك أمري ووحيي . فقام أرميا فشق ثيابه وجعل الرماد على رأسه وخر ساجداً وقال يارب .. وددت لو أن أمي لم تلدني حين جعلتني آخر أنبياء بني إسرائيل فيكون خراب بيت المقدس وبوار بني إسرائيل من أجلي ، فقال له : ارفع رأسك . فرفع رأسه فبكى ثم قال : يارب .. من تسلط عليهم ؟ فقال : عبدة النيران لا يخافون عقابي ، ولا يرجون ثوابي ، قم ياأرميا فاستمع وحيي أخبرك خبرك وخبر بني إسرائيل : من قبل أن أخلقك اخترتك ، ومن قبل أن أصورك في رحم أمك قدستك ، ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ، ومن قبل أن تبلغ نبأتك ، ومن قبل أن تبلغ الأشد اخترتك ولأمر عظيم اجتنبتك ، فقم من الملك تسدده وترشده .

فكان مع الملك يسدده ويأتيه الوحي من الله حتى عظمت الأحداث ، ونسوا ما نجاهم الله به من عدوهم سنحاريب وجنوده ، فأوحى الله إلى أرميا : قم فاقصص عليهم ما آمرك به ، وذكرهم نعمتي عليهم ، وعرفهم أحداثهم . فقال أرميا : يارب .. إني ضعيف إن لم تقوني ، عاجز إن لم تبلغني ، مخطئ إن لم تسددني ، مخذول إن لم تنصرني ، ذليل إن لم تعزني ، فقال الله تعالى : أو لم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتي ، وأن الخلق والأمر كله لي ، وأن القلوب والألسنة كلها بيدي فأقلّبها كيف شئت فتطيعني ، فأنا الله الذي ليس شيء مثلي ، قامت السموات والأرض وما فيهن بكلمتي ، وأنه لا يخلص التوحيد ، ولم تتم القدرة إلا لي ، ولا يعلم ما عندي غيري ، وأنا الذي كلمت البحار ففهمت قولي ، وأمرتها ففعلت أمري ، وحددت عليها حدوداً فلا تعدو حدي ، وتأتي بأموال كالجبال فإذا بلغت حدي ألبستها مذلة لطاعتي وخوفاً واعترافاً لأمري ، وإني معك ولن يصل إليك شيء معي ، وإني بعثتك إلى خلق عظيم من

خلقي لتبلغهم رسالاتي فتستوجب بذلك أجر من اتبعك ، ولا ينقص ذلك من أحورهم شيئاً

انطلق إلى قومك فقم فيهم وقل لهم : إن الله قد ذكركم بصلاح آبائكم فلذلك استبقاكم ، يامعشر أبناء الأنبياء ، وكيف وجد آباؤكم مغبة طاعتي وكيف وجدتم مغبة معصيتي ، وهل وجدوا أحداً عصاني فسعد بمعصيتي وهل علموا أحداً أطاعني فشقى بطاعتي ؟ إن الدواب إذا ذكرت أوطانها الصالحة نزعت إليها ، وإن هؤلاء القوم رتعوا في مروج الهلكة وتركوا الأمر الذي أكرمت به آباءهم ، وابتغوا الكرامة من غير وجهها . فأما أحبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادي خولاً يتعبدونهم ، ويعملون فيهم بغير كتابي حتى أجهلوهم أمري وأنسوهم ذكري وسنتي وغروهم عني ، فدان لهم عبادي بالطاعة التي لا تنبغي إلا لي ، فهم يطيعونهم في معصيتي .

وأما ملوكهم وأمراؤهم فبطروا نعمتي ، وأمنوا مكري ، وغرتهم الدنيا حتى نبذوا كتابي ونسوا عهدي ، فهم يحرفون كتابي ، ويفترون على رسلي جرأة منهم عليَّ وغرة بي ، فسبحان جلالي وعلو مكاني وعظمة شأني ، هل ينبغي أن يكون لي شريك في ملكي ؟ وهل ينبغي لبشر أن يطاع في معصيتي ؟ وهل ينبغي لي أن أخلق عباداً أجعلهم أرباباً من دوني ، أو آذن لأحد بالطاعة لأحد وهي لا تنبغي إلا لي ؟!

وأما قراؤهم وفقهاؤهم فيدرسون ما يتخيرون ، فينقادون للملوك فيتابعونهم على البدع التي يبتدعون في ديني ، ويطيعونهم في معصيتي ، ويوفون لهم بالعهود الناقضة لعهدي ، فهم جهلة بما يعلمون لا ينتفعون بشيك مما علموا من كتابي .

وأما أولاد النبيين فمقهورون ومفتونون ، يخوضون مع الخائضين يتمنون مثل نصرى آباءهم والكرامة التي أكرمتهم بها ، ويزعمون أنه لا أحد أولى بذلك منهم بغير صدق منهم ولا تفكر ، ولا يذكرون كيف كان صبر آبائهم وكيف كان جهدهم في أمري حين اغتر المغترون ، وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم فصبروا وصدقوا حتى عز أمري وظهر ديني . فتأنيت هؤلاء القوم لعلهم يستحيون مني ويرجعون ، فتطولت عليهم وصفحت عنهم فأكثرت ومددت لهم في العمر وأعذرت لهم لعلهم يتذكرون . وكل ذلك أمطر عليهم السماء وأنبت لهم الأرض وألبسهم العافية وأظهرهم على العدو ولا يزدادون إلا طغياناً وبعداً مني فحتى متى هذا ؟ أبي يسخرون أم بي يتحرشون أم إياي يخادعون أم علي يجترئون .

فإني أقسم بعزتي لأتيحن عليهم فتنة يتحير فيها الحليم ويضل فيها رأي ذوى الرأي وحكمة الحكيم ، ثم لأسلطن عليهم جباراً قاسياً عاتياً ألبسه الهيبة وأنزع من قلبه الرأفة والرحمة وآليت

أن يتبعه عدد وسواد مثل الليل المظلم ، له فيه عساكر مثل قطع السحاب ومواكب مثل العجاج ، وكأن خفيق راياته طيران النسور وحمل فرسانه كريد العقبان ، يعيدون العمران خراباً والقرى وحشاً ويعيثون في الأرض فساداً ويتبرون ما علو تتبيراً ، قاسية قلوبهم لا يكترثون ولا يرقبون ، ولا يرحمون ولا يبصرون ، ولا يسمعون ، يجولون في الأسواق بأصوات مرتفعة مثل زئير الأسد تقشعر من هيبتها الجلود ، وتطيش من سمعها الأحلال بألسنة لا يفقهونها ، ووجوه ظاهر عليها المنكر لا يعرفونها فوعزتي لأعطلن بيوتهم من كتبي وقدسي ، ولأخلين مجالسهم من حديثها ودروسها ، ولأوحشن مساجدهم من عمارها وزوارها الذين كانوا يتزينون بعمارتها لغيري ، ويتهجدون فيها ويتعبدون لكسب الدنيا بالدين ، ويتفقهون فيها لغير الدين ، ويتعلمون فيها لغير العمل ، لأبدلن ملوكها بالعز الذل ، وبالأمن الخوف ، وبالغنى الفقر ، وبالنعمة الجوع ، وبطول العافية والرخاء ألوان البلاء ، وبلباس الديباج والحرير مدارع الوبر والعباء ، وبالأرواح الطيبة والأدهان جيف القتلى ، وبلباس التيجان أطواق الحديد والسلاسل والأغلال ، ثم لأعيدن فيهم بعد القصور الواسعة والحصون الحصينة الخراب ، وبعد البروج المشيدة مساكن السباع وبعد صهيل الخيل عواء الذئاب ، وبعد ضوء السراج دخان الحريق ، وبعد الأنس الوحشة والقفار .

ثم لأبدلن نساءها بالأسورة الأغلال ، وبقلائد الدر والياقوت سلاسل الحديد ، وبألوان الطيب والأدهان النقع والغبار ، وبالمشي على الزرابي عبور الأسواق والأنهار ، والخبب إلى الليل في بطون الأسواق ، والخدور والستور الحسور عن الوجوه والسوق والأسفار والأرواح السموم ثم لأدوسنهم بأنواع العذاب حتى لو كان الكائن منهم في حالق لوصل ذلك إليه ، إني إنما أكرم من أكرمني ، وإنما أهين من هان عليه أمري . ثم لآمرن السماء خلال ذلك فلتكونن عليهم طبقاً من حديد ، ولآمرن الأرض فلتكون سبيكة من نحاس ، فلا سماء تمطر ، ولا أرض تنبت ، فإن أمطرت خلال ذلك شيئاً سلطت عليهم الآفة ، فإن خلص منه شيء نزعت منه البركة ، وإن دعوني لم أجبهم ، وإن سألوني لم أعطهم ، وإن بكوا لم أرحمهم ، وإن تضرعوا إلي صرفت وجهي عنهم ، وإن قالوا : اللهم أنتَ الذي ابتدأتنا وآباءنا من قبلنا برحمتك وكرامتك ، وذلك بأنك اخترتنا لنفسك وجعلت فينا نبوتك وكتابك ومساجدك ، ثم مكنت لنا في البلاد واستخلفتنا فيها وربيتنا وآباءنا من قبلنا بنعمتك صغراً ، وحفظتنا وإياهم برحمتك كباراً فأنت أوفى المنعمين وإن غيرنا ، ولا تبدل وإن بدلنا وأن تتم فضلك ومنّك وطولك وإحسانك . فإن قالوا ذلك قلت لهم : إني أبتدئ عبادي برحمتي ونعمتي ، فإن قبلوا أتممت ، وإن استزادوا زدت ،

وإن شكروا ضاعفت ، وإن غيروا غيرت ، وإذا غيروا غضبت ، وإذا غضبت عذبت وليس يقوم شيء بغضبي .

قال كعب : فقال أرميا : بوجهك أصبحت أتعلم بين يديك ، وهل ينبغي ذلك لي وأنا أذل وأضعف من أن ينبغي لي أن أتكلم بين يديك ، ولكن برحمتك أبقيتني لهذا اليوم ، وليس أحد أحق أن يخاف هذا العذاب وهذا الوعيد مني بما رضيت به مني طولاً ، والإقامة في دار الخاطئين وهم يعصونك حولي بغير نكر ولا تغيير مني ، فإن تعذبني فبذنبي ، وإن ترحمني فذلك ظني بك .

ثم قال : يارب .. سبحانك وبحمدك ، وتباركت ربنا وتعاليت ، أتهلك هذه القرية وما حولها وهي مساكن أنبيائك ومنزل وحيك ، يارب .. سبحانك وبحمدك وتباركت ربنا وتعاليت لخرب هذا المسجد ، وما حوله من المساجد ، ومن البيوت التي رفعت لذكرك ، يارب .. سبحانك وبحمدك ، وتباركت وتعاليت لمقتل هذه الأمة ، وعذابك إياهم وهم من ولد إبراهيم خليلك ، وأمة موسى نجيك وقوم داود صفيك ، يارب .. أي القرى تأمن عقوبتك بعد . وأي العباد يأمنون سطوتك بعد ولد خليلك إبراهيم ، وأمة نجيك موسى ، وقوم خليفتك داود ، تسلط عليهم عبدة النيران ؟ قال الله تعالى : ياأرميا .. من عصاني فلا يستنكر نقمتي ، فإني إنما أكرمت هؤلاء القوم على طاعتي ، ولو أنهم عصوني لأنزلتهم دار العاصين ، إلا أن أتداركهم برحمتي .

قال أرميا : يارب .. اتخذت إبراهيم خليلاً وحفظتنا به ، وموسى قربته نجياً فنسألك أن تحفظنا ولا تتخطفنا ولا تسلط علينا عدونا . فأوحى الله إليه : ياأرميا .. إني قدستك في بطن أمك ، وأخرتك إلى هذا اليوم ، فلو أن قومك حفظوا اليتامى والأرامل والمساكين وابن السبيل ، لكنت الداعم لهم ، وكانوا عندي بمنزلة جنة ناعم شجرها ، طاهر ماؤها ، ولا يغور ماؤها ولا تبور ثمارها ولا تنقطع ، ولكن سأشكو إليك بني إسرائيل : إني كنت لهم بمنزلة الراعي الشفيق ، أجنبهم كل قحط وكل عسرة ، وأتبع بهم الخصب حتى صاروا كباشاً ينطح بعضها بعضاً ، فياويلهم ثم ياويلهم ، إنما أكرم من أكرمني ، وأهين من هان عليه أمري ، إن من كان قبل هؤلاء من القرون يستخفون بمعصيتي ، وإن هؤلاء القوم يتبرعون بمعصيتي تبرعاً فيظهرونها في المساجد والأسواق ، وعلى رءوس الجبال وظلال الأشجار ، حتى عجت السماء إلي منهم ، وعجت الأرض والجبال نفرت منها الوحوش بأطراف الأرض وأقاصيها ، وفي كل ذلك لا

ينتهون ولا ينتفعون بما علموا من الكتاب .

قال : فلما بلغهم أرميا رسالة ربهم وسمعوا ما فيها من الوعيد والعذاب عصوه وكذبوه واتهموه وقالوا : كذبت وأعظمت على الله الفرية فتزعم أن الله معطل أرضه ومساجده من كتابه وعبادته وتوحيده ؟، فمن يعبده حين لا يبقى له في الأرض عابد ولا مسجد ولا كتاب ؟! لقد أعظمت الفرية على الله واعتراك الجنون . فأخذوه وقيدوه وسجنوه ، فعند ذلك بعث الله عليهم بختنصر فأقبل يسير بجنوده حتى نزل بساحتهم ثم حاصرهم فكان كما قال تعالى : ﴿ **فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ** ﴾ قال : فلما طال بهم الحصر نزلوا على حكمه ، ففتحوا الأبواب وتخللوا الأزقة وذلك قوله : ﴿ **فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ** ﴾ وحكم فيهم حكم الجاهلية وبطش الجبارين ، فقتل منهم الثلث وسبي الثلث ،وترك الزمني والشيوخ والعجائز ، ثم وطئهم بالخيل وهدم بيت المقدس ، وساق الصبيان وأوقف النساء في الأسواق حاسرات ، وقتل المقاتلة وخرب الحصون وهدم المساجد وحرق التوراة ، وسأل عن دانيال الذي كان قد كتب له الكتاب فوجدوه قد مات ، وأخرج أهل بيته الكتاب إليه ، وكان فيهم دانيال بن حزقيل الأصغر ، وميشائيل وعزرائيل وميخائيل ، فأمضى لهم ذلك الكتاب .

وكان دانيال بن حزقيل خلفاً من دانيال الأكبر ، ودخل بختنصر بجنوده بيت المقدس ووطئ الشام كلها وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم ، فلما فرغ منها انصرف راجعاً وحمل الأموال التي كانت بها ، وساق السبايا فبلغ معه عدة صبيانهم من أبناء الأحبار والملوك تسعين ألف غلام ، وقذف الكناسات في بيت المقدس وذبح فيه الخنازير ، وكان الغلمان سبعة آلاف غلام من بيت داود ، وأحد عشر ألفاً من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين ، وثمانية آلاف من سبط ايشي بن يعقوب ، وأربعة عشر ألفاً من سبط زبالون ونفتالي ابني يعقوب ، وأربعة عشر ألفاً من سبط دان بن يعقوب ، وثمانية آلاف من سبط يستاخر بن يعقوب ، وألفين من سبط زيكون بن يعقوب ، وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوي ، واثني عشر ألفاً من سائر بني إسرائيل . وانطلق حتى قدم أرض بابل .

قال إسحاق بن بشر : قال وهب بن منبه : فلما فعل ما فعل قيل له : كان لهم صاحب يحذرهم ما أصابهم ويصفك وخبرك لهم ويخبرهم أنك تقتل مقاتلتهم وتسبي ذراريهم وتهدم مساجدهم وتحرق كنائسهم ، فكذبوه واتهموه وضربوه وقيدوه وحبسوه . فأمر بختنصر فأخرج أرميا من السجن فقال له : أكنت تحذر هؤلاء القوم ما أصابهم ؟ قال : نعم . قال : فإني علمت ذلك ، قال : أرسلني الله إليهم فكذبوني . قال : كذبوك وضربوك وسجنوك ؟ قال : نعم .

قال : بئس القوم قوم كذبوا نبيهم وكذبوا رسالة ربهم ، فهل لك أن تلحق بي فأكرمك وأواسيك ، وإن أحببت أن تقيم في بلادك فقد أمنتك . قال له أرميا : إني لم أزل في أمان الله منذ كنت لم أخرج منه ساعة قط ، ولو أن بني إسرائيل لم يخرجوا منه لم يخافوك ولا غيرك ولم يكن لك عليهم سلطان . فلما سمع بختنصر هذا القول منه تركه فأقام أرميا مكانه بأرض إيليا .

وهذا سياق غريب ، وفيه حكم ومواعظ وأشياء مليحة ، وفيه من جهة التعريف غرابة .

وقال هشام بن محمد بن السائب الكلبي : كان بختنصر أصفهبذا لما بين الأهواز إلى الروم للملك علىالفرس وهو لهراسب ، وكان قد بني مدينة بلخ التي تلقب بالخنساء ، وقاتل الترك وألجأهم إلى أضيق الأماكن وبعث بختنصر لقتال بني إسرائيل بالشام فلما قدم الشام صالحه أهل دمشق ، وقد قيل إن الذي بعث بختنصر إنما هو بهمن ملك الفرس بعد بشتاسب بن لهراسب ،وذلك لتعدي بني إسرائيل على رسله إليهم .

وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب عن سليمان بن بلال ، عن يحي بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيب ، أن بختنصر لما قدم دمشق وجد بها دماً يغلي على كبا - يعني القمامة - فسألهم : ماهذا الدم ؟ فقالوا : أدركنا آباءنا على هذا وكلما ظهر عليه الكبا ظهر . قال : فقتل على ذلك سبعين ألفاً من المسلمين وغيرهم فسكن .

وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب ،وقد تقدم من كلام الحافظ ابن عساكر مايدل على أن هذا دم يحي بن زكريا ،وهذا لايصح لأن يحي بن زكريا بعد بختنصر بمدة ، والظاهر أن هذا دم نبي متقدم أو دم لبعض الصالحين أو لمن شاء الله ممن الله أعلم به .

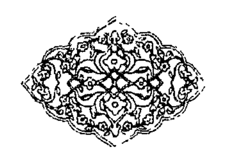
قال هشام بن الكلبي : قدم بختنصر بيت المقدس فصالحه ملكها وكان من آل داود وصانعه عن بني إسرائيل وأخذ منه بختنصر رهائن ورجع ، فلما بلغ طبرية بلغه أن بين إسرائيل ثاروا على ملكهم فقتلوه لأجل أنه صالحه ، فضرب رقاب من معه من الرهائن ورجع إليهم فأخذ المدينة عنوة ،وقتل المقاتلة وسبي الذرية .

قال : وبلغنا أنه وجد في السجن أرميا النبي فأخرجه وقص عليه ماكان من أمره إياهم وتحذيره لهم عن ذلك فكذبوه وسجنوه فقال بختنصر : بئس القوم قوم عصوا رسول الله وخلى سبيله وأحسن إليه وأجمع إليه من بقي من ضعفاء بني إسرائيل فقالوا : إنا قد أسأنا وظلمنا ونحن نتوب إلى الله عز وجل مما صنعنا ، فادع الله أن يقبل توبتنا ، فدعا ربه فأوحي الله إليه

أنه غير فاعل ، فإن كانوا صادقين فليقيموا معك بهذه البلدة . فأخبرهم ما أمره الله تعالى به ، فقالوا : كيف نقيم بهذه البلدة وقد خربت وقد غضب الله على أهلها ؟ فأبوا أن يقيموا .

قال ابن الكلبي : ومن ذلك الزمان تفرقت بنو إسرائيل في البلاد فنزلت طائفة منهم الحجاز وطائفة يثرب وطائفة وادي القرى ، وذهبت شرذمة منهم إلى مصر ، فكتب بختنصر إلى ملكها يطلب منه من شرد منهم إليه فأبي عليه ، فركب في جيشه فقاتله وقهره وغلبه وسبى ذراريهم ثم ركب إلى بلاد المغرب حتى بلغ أقصى تلك الناحية . قال : ثم انصرف بسبي كثير من أرض المغرب ومصر وأهل بيت المقدس وأرض فلسطين والأردن وفي السبي دانيال .

قلت : والظاهر أنه دانيال بن حزقيل الأصغر لا الأكبر . على ما ذكره وهب بن منبه .. والله أعلم .



قصـــة دانيال عليه السلام

قال ابن أبي الدنيا : حدثنا أحمد بن عبد الأعلى الشيباني قال : إن لم أكن سمعته من شعيب ابن صفوان فحدثني بعض أصحابنا عنه ، عن الأجلح الكنـدي ، عن عبـد الله بن أبي الهـذيل ، قال : ضرا بختنصر أسدين فألقاهما في جب ، وجاء بدانيال فألقاه عليهما فلم يهيجـاه ، فمكث مـا شاء الله ثم اشتهى ما يشتهي الآدميون من الطعام والشراب فأوحى الله إلى أرميا وهو بالشـام : أن اعدد طعاماً وشراباً لدانيال ، فقال : يارب .. أنا بالأرض المقدسة ودانيـال بـأرض بـابل من أرض العراق . فأوحي الله إليه : أن أعدد ما أمرنـاك بـه فـإنـا سنرسل من يحملـك ويحمل مـا أعددت . ففعل وأرسل إليه من حمله وحمل ما أعـده حتي وقف على رأس الجب فقـال دانيـال : من هذا ؟ قال : أنا أرميا . فقال : مـاجـاء بـك ؟ فقـال : أرسلني إليـك ربـك . قـال : وقـد ذكرني ربي ؟ قال : نعم . فقـال دانيـال : الحمـد لله الـذي لاينسى من ذكره . والحمـد لله الـذي يجيب من رجاه ، والحمد لله الذي من وثق به لم يكله إلى غيره ، والحمـد لله الـذي يجزي بـالصبر نجاه ، والحمد لله الذي هو يكشف ضرنا بعـد كربنـا ، والحمـد لله الـذي يقينـا حين يسوء ظننـا بأعمالنا ، والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن أبي خالد بن دينار ، حدثنا أبو العالية قـال : لما افتتحنـا تستر وجـدنـا في مـال بيت الهرمزان سريراً عليـه رجل ميت عنـد رأسـه مصحف ، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب فدعا له كعباً فنسخه بالعربيـة ، فـأنـا أول رجل من العرب قرأه ، قرأته مثل ما أقرأ القرآن هـذاً . فقلت لأبي العـاليـة ، مـا كان فيـه ؟ قـال : سيركم وأموركم ولحون كلامكم ومـا هـو كائن بعـد ، قلت : فما صنعتم بـالرجـل ؟ قـال : حفرنـا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة ، فلما كان بالليل دفناه وسوينـا القبور كلهـا لنعميـه على النـاس فـلا ينبشـونـه . قلت : فما يرجـون منـه ، قـال : كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون . قلت : من كنتم تظنون الرجـل : قـال : رجـل يقـال لـه دانيـال . قلت : منـذ كم وجدتموه قد مات ؟ قال : منذ ثلاثمائة سنة . قلت : ماتغير منـه شيء ؟ قـال : إلا شعرات من قفاه ، إن لحوم الأنبياء لاتبليها الأرض ولا تأكلها السباع .

وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية ، ولكن إن كان تاريخ وفاتـه محفوظـاً من ثلاثمـائـة سنـة فليس بنبي بل هو رجل صالح ، لأن عيسى ابن مريم ليس بينه وبين رسول الله ﷺ نبي بنص

الحديث الذي في البخاري ، والفترة التي كانت بينها أربعمائة سنة ، وقيل ستمائة وقيل ستمائة وعشرون سنة ،وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة وهو قريب من وقت دانيال ، إن كان كونه دانيال هو المطابق لما في نفس الأمر ، فإنه قد يكون رجلا آخر إما من الأنبياء أو الصالحين ، ولكن قربت الظنون أنه دانيال لأن دانيال كان قد أخذه ملك الفرس فأقام عنده مسجونا كما تقدم .

وقد روى بإسناد صحيح إلى أبي العالية أن طول أنفه شبر ، وعن أنس بن مالك بإسناد جيد أن طول أنفه ذراع ، فيحتمل على هذا أن يكون رجلاً من الأنبياء الأقدمين قبل هذه المدد .. والله تعالى أعلم .

وقد قال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب « أحكام القبور » : حدثنا أبو بلال محمد بن الحارث بن عبد الله بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري حدثنا أبو محمد القاسم بن عبد الله ، عن أبي الأشعث الأحمري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن دانيال دعا ربه عز وجل أن تدفنه أمة محمد » فلما افتتح أبو موسى الأشعري تستر وجده في تابوت تضرب عروقه ووريده ،وقد كان رسول الله ﷺ قال : « من دل على دانيال فبشروه بالجنة » . فكان الذي دل عليه رجل يقال له حرقوص فكتب أبو موسى إلى عمر بخبره فكتب إليه عمر : أن ادفنه وابعث إلى حرقوص فإن النبي ﷺ بشره بالجنة .

وهذا مرسل من هذا الوجه وفي كونه محفوظاً نظر .. والله أعلم .

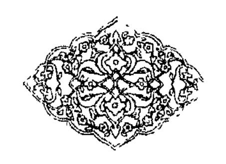
ثم قال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو بلال ، حدثنا قاسم بن عبد الله عن عنبسة بن سعيد - وكان عالماً - قال : وجد أبو موسى مع دانيال مصحفاً وجرة فيها ودك ودراهم وخاتمه ، فكتب أبو موسى بذلك إلي عمر فكتب إليه عمر : أما المصحف فابعث به إليها ، وأما الودك فابعث إليه منه ومر من قبلك من المسلمين يستشفون به وأقسم الدراهم بينهم ، وأما الخاتم فقد نفلناكه .

وروى ابن أبي الدنيا من غير وجه : أن أبا موسى لما وجده وذكروا له أنه دانيال التزمه وعانقه وقبله ، وكتب إلى عمر يذكر له أمره وأنه وجده عند مالا موضوعاً قريباً من عشرة آلاف درهم ، وكان من جاء اقترض منها فإن ردها وإلا مرض وإن عنده ربعة ، فأمر عمر بأن يغسل بماء وسدر ويكفن ويدفن ويخفي قبره فلا يعلم به أحد ، وأمر بالمال أن يرد إلى

بيت المال وبالربعة فتحمل إليه ونفله خاتمه .

وروى عن أبي موسى أنه أمر أربعة من الأسراء فسكروا نهراً وحفروا في وسطه قبراً فدفنه فيه ، ثم قدم الأربعة الأسراء فضرب أعناقهم فلم يعلم موضع قبره غير أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني إبراهيم بن عبد الله ، حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح ، حدثنا ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه قال : رأيت في يد ابن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري خاتما نقش فصه أسدان بينهما رجل يلحسان ذلك الرجل ، قال أبو بردة : وهذا خاتم ذلك الرجل الميت الذي زعم أهل هذه البلدة أنه دانيال أخذه أبو موسى يوم دفنه ، قال أبو بردة : فسأل أبو موسى علماء تلك القرية عن نقش ذلك الخاتم فقالوا : إن الملك الذي كان دانيال في سلطانه جاءه المنجمون وأصحاب العلم فقالوا له : إنه يولد كذا وكذا غلام يغور ملكك ويفسهد ، فقال الملك : والله لايبقي تلك الليلة غلام إلا قتلته ، إلا أنهم أخذوا دانيال فألقوه في أجمة الأسد فبات الأسد ولبؤته يلحسانه ولم يضراه . فجاءت أمه فوجدتها يلحسانه فنجاه الله بذلك حتى بلغ ما بلغ قال أبو بردة : قال أبو موسى : قال علماء تلك القرية : فنقش دانيال صورته وصورة الأسدين يلحسانه في فص خاتمه لئلا ينسى نعمة الله عليه في ذلك . إسناد حسن .



عمارة بيت المقدس بعد خرابها

قال الله تعالى في كتابه المبين وهو أصدق القائلين : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ، قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ، قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ، وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ، وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

قال هشام بن الكلبي : ثم أوحي الله تعالى إلى أرميا عليه السلام فيا بلغني : إني عامر بيت المقدس فاخرج إليهم فانزلها . فخرج حتى قدمها وهي خراب ، قال في نفسه : سبحان الله .. أمرني الله أن أنزل هذه البلدة وأخبرني أنه عامرها فمتي يعمرها ومتي يحييها الله بعد موتها ؟!

ثم وضع رأسه فنام ومعه حماره وسة من طعام فمكث في نومه سبعين سنة حتي هلك بختنصر والملك الذي فوقه وهو لهراسب ، وكان ملكه مائة وعشرين سنة ،وقام بعده ولده بشتاسب بن لهراسب ،وكان موت بختنصر في دولته فبلغه عن بلاد الشام أنها خراب ، وأن السباع قد كثرت في أرض فلسطين فلم يبق بها من الإنس أحد ، فنادى في أرض بابل في بني إسرائيل : أن من شاء أن يرجع إلى الشام فليرجع . وملك عليهم رجلاً من آل داود وأمره أن يعمر بيت المقدس ويبني مسجدها فرجعوا فعمروها ، وفتح الله لأرميا عينيه فنظر إلى المدينة كيف تبني وكيف تعمر ،ومكث في نومه ذلك حتي تمت له مائة سنة . ثم بعثه الله وهو لايظن أنه نام أكثر من ساعة وقد عهد المدينة خراباً فلما نظر إليها عامرة آهلة قال : ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

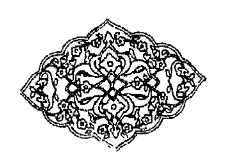
قال : فأقام بنو إسرائيل بها ورد الله عليهم أمرهم فمكثوا كذلك حتى غلبت عليهم الروم في زمن ملوك الطوائف ، ثم لم يكن لهم جماعة ولا سلطان يعني بعد ظهور النصاري عليهم . هكذا حكاه ابن جرير في تاريخه عنه ، وذكر ابن جرير أن لهراسب كان ملكاً عادلاً سائساً لمملكته قد دانت له العباد والبلاد والملوك والقواد وأنه كان ذا رأى جيد في عمارة الأمصار والأنهار

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٩ .

والمعاقل ، ثم لما ضعف عن تدبير المملكة بعد مائة سنة ونيف نزل عن الملك لولده بشتاسب ، فكان في زمانه ظهور دين المجوسية وذلك أن رجلاً اسمه زرادشت كان قد صحب أرميا عليه السلام فأغضبه فدعا عليه أرميا عليه السلام فبرص زرادشت فذهب فلحق بأرض أذربيجان وصحب بشتاسب فلقنه دين المجوسية الذي اخترعه من تلقاء نفسه فقبله منه بشتاسب ، وحمل الناس عليه وقهرهم وقتل منهم خلقاً كثيراً ممن أباه منهم .

ثم كان بعد بشتاسب بهمن بن بشتاسب وهو من ملوك الفرس المشهورين والأبطال المذكورين وقد ناب بختنصر لكل واحد من هؤلاء الثلاثة وعمر دهراً طويلاً قبحه الله .

والمقصود أن هذا الذي ذكره ابن جرير من أن هذا المار علي هذه القرية هو أرميا عليه السلام ، قاله وهب بن مُنه ، وعبد الله بن عبيد بن عمير وغيرهما . وهو قوي من حيث السياق المتقدم ، وقد روى عن علي وعبد الله بن سلام وابن عباس والحسن وقتادة والسدي وسليمان بن بردة وغيرهم أنه عزير . وهذا أشهر عند كثير من السلف والخلف .. والله أعلم .



قصـــة العـــزير

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر : هو عزير بن جروة ، ويقال ابن سوريق بن عديا بن أيوب بن درزنا عن عدي بن تقي بن أسبوع بن فنحاص بن العاذر بن هارون بن عمران . ويقال : عزير بن سروخا جاء في بعض الآثار أن قبره بدمشق . ثم ساق من طريق أبي القاسم البغوي عن داود بن عمرو ، عن حبان بن على ، عن محمد بن كريب ، عن أبيه ، عن ابن عباس مرفوعاً : لا أدري العزير بيع أم لا ، ولا أدري أعزير كان نبيًّا أم لا .

ثم رواه من حديث مؤمل بن الحسن ، عن محمد بن إسحاق السجزي ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن أبي ذئب ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة مرفوعاً نحوه .

ثم روى من طريق إسحاق بن بشر ، وهو متروك عن جويبر ومقاتل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : أن عزيراً كان ممن سباه بختنصر وهو غلام حدث ، فلما بلغ أربعين سنة أعطاه الله الحكمة . قال : ولم يكن أحد أحفظ ولا أعلم بالتوراة منه . قال : وكان يذكر مع الأنبياء حتى محا الله اسمه من ذلك حين سأله ربه عن القدر .

وهذا ضعيف ومنقطع ومنكر .. والله أعلم .

وقال إسحاق بن بشر ، عن سعيد ، عن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن عبد الله ابن سلام ، أن عزيراً هو العبد الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه .

وقال إسحاق بن بشر : أنبأنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن كعب وسعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ومقاتل وجويبر عن الضحاك ، عن ابن عباس وعبد الله بن إسماعيل السدي عن أبيه ، عن مجاهد ، عن ابن عباس وإدريس ، عن جده وهب بن منبه ، قال إسحاق : كل هؤلاء حدثوني عن حديث عزير ، وزاد بعضهم على بعض قالوا بإسنادهم : إن عزيراً كان عبداً صالحاً حكيماً خرج ذات يوم إلى ضيعة له يتعاهدها ، فلما انصرف أتي إلى خربة حين قامت الظهيرة وأصابه الحر ، ودخل الخربة وهو على حماره فنزل عن حماره ومعه سلة فيها تين وسلة فيها عنب ، فنزل في ظل الخربة وأخرج قصعة معه فاعتصر من العنب الذي كان معه في القصعة ثم أخرج خبزاً يابساً معه فألقاه في تلك القصعة في العصير ليبتل ليأكله ، ثم استلقي على قفاه وأسند رجليه إلى الحائط فنظر سقف تلك البيوت ورأى مافيها وهي قائمة على

عروشها وقد باد أهلها ورأى عظاماً بالية فقال : ﴿ أنّى يُحْيِي هٰذِهِ اللهُ بَعدَ موْتِهَا ﴾ فلم يشك أن الله يحييها ولكن قالها تعجباً فبعث الله ملك الموت فقبض روحه ، فأماته الله مائة عام .

فلما أتت عليه مائة عام ، وكانت فيا بين ذلك في بني إسرائيل أمور وأحداث . قال : فبعث الله إلى عزير ملكاً فخلق قلبه ليعقل به وعينيه لينظر بهما فيعقل كيف يحي الله الموتي . ثم ركب خلقه وهو ينظر ، ثم كسى عظامه اللحم والشعر والجلد ثم نفخ فهي الروح ، كل ذلك وهو يرى ويعقل ، فاستوي جالساً فقال له الملك : كم لبثت ؟ قال : لبثت يوماً أو بعض يوم ، وذلك أنه كان لبث صدر النهار عند الظهيرة وبعث في آخر النهار والشمس لم تغب ، فقال : أو بعض يوم ولم يتم لي يوم . فقال له الملك : بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك ، يعني الطعام الخبز اليابس ، وشرابه العصير الذي كان اعتصره في القصعة ، فإذا هما على حالها لم يتغير العصير والخبز يابس ، فذلك قوله : ﴿ لَمْ يتَسَنَّه ﴾ يعني لم يتغير ، وكذلك التين والعنب غض لم يتغير شيء من حالها ، فكأنه أنكر في قلبه فقال له الملك : أنكرت ماقلت لك ؟ فانظر إلى حمارك . فنظر إلى حماره قد بليت عظامه وصارت نخرة . فنادى الملك عظام الحمار فأجابت وأقبلت من كل ناحية حتى ركبه الملك وعزير ينظر إليه ثم ألبسها العروق والعصب ، ثم كساها اللحم ثم أنبت عليها الجلد والشعر ، ثم نفخ فيه الملك فقام الحمار رافعاً رأسه وأذنيه إلى السماء ناهقاً يظن القيامة قد قامت . فذلك قوله : ﴿ وانْظُر إلَى حِمارِكَ ولِنجْعلَكَ آيةً للنّاسِ ، وانْظُر إلَى العِظامِ كيْفَ نُنْشِزُها ثمّ نكْسُوها لَحْماً ﴾ يعنى وانظر إلى عظام حمارك كيف يركب بعضها بعضاً في أوصالها حتي إذا صارت عظاماً مصوراً حماراً بلا لحم ، ثم انظر كيف نكسوها لحماً : ﴿ فلمّا تَبيّن لهُ قالَ أَعْلَمُ أنّ اللهَ عَلَى كلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ من إحياء الموتي وغيره .

قال : فركب حماره حتي أتي محلته فأنكره الناس وأنكر الناس ، وأنكر منزله ، فانطلق على وهم منه حتى أتي منزله ، فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة كانت أمة لهم ، فخرج عنهم عزير وهي بنت عشرين سنة كانت عرفته وعقلته ، فلما أصابها الكبر أصابها الزمانه ، فقال لها عزير : ياهذه .. أهذا منزل عزير ؟ قالت : نعم هذا منزل عزير . فبكت وقالت : مارأيت أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيراً وقد نسيه الناس . قال : فإني أنا عزير كان الله أماتني مائة سنة ثم بعثني . قالت : سبحان الله ! فإن عزيراً قد فقدناه منذ مائة سنة فلم نسمع له بذكر . قال : فإني أنا عزير . قالت : فإن عزيراً رجل مستجاب الدعوة يدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية والشفاء ، فادع الله أن يرد على بصري حتي أراك فإن

كنت عزيراً عرفتك .

قال : فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحتا وأخذ بيدها وقال : قومي بإذن الله . فأطلق الله رجليها فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال . فنظرت فقالت : أشهد أنك عزير .

وانطلقت إلى محلة بني إسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم ، وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثماني عشر سنة وبني بنيه شيوخ في المجلس ، فنادتهم فقالت : هذا عزير قد جاءكم . فكذبوها . فقالت أنا فلانة مولاتكم دعا لي ربه فرد عليَّ بصري وأطلق رجلي وزعم أن الله أماته مائة سنة ثم بعثه . قال : فنهض الناس فأقبلوا إليه فنظروا إليه فقال ابنه : كان لأبي شامة سوداء بين كتفيه ، فكشف عن كتفيه فإذا هو عزير ، فقالت بنو إسرائيل : فإنه لم يكن فينا أحد حفظ التوراة فيما حدثنا غير عزير ، وقد حرق بختنصر التوراة ولم يبق منها شيء إلا ماحفظت الرجال ، فاكتبها لنا وكان أبوه سروخا قد دفن التوراة أيام بختنصر في موضع لم يعرفه أحد غير عزير ، فانطلق بهم إلى ذلك الموضع فحفره فاستخرج التوراة وكان قد عفن الورق ودرس الكتاب .

قال : وجلس في ظل شجرة وبنو إسرائيل حوله فجدد لهم التوراة ونزل من السماء شهابان حتى دخلا جوفه ، فتذكر التوراة فجددها لبني إسرائيل ، فمن ثم قالت اليهود : عزير ابن الله ، للذي كان من أمر الشهابين وتجديده التوراة وقيامه بأمر بني إسرائيل ،وكان جدد لهم التوراة بأرض السواد بدير حزقيل ،والقرية التي مات فيها يقال لها سايراباذ .

قال ابن عباس : فكان كما قال الله تعالى : ﴿ ولنَجْعلَكَ آيةً للنَّاسِ ﴾ يعني لبني إسرائيل ، وذلك أنه كان يجلس مع بنيه وهم شيوخ وهو شاب لأنه مات وهو ابن الأربعين سنة ، فبعثه الله شاباً كهيئته يوم مات . قال ابن عباس : بعث بعد بختنصر وكذلك قال الحسن .

وقد أنشد أبو حاتم السجستاني في معنى ما قاله ابن عباس :

أسود رأس شاب من قبله ابنه	ومن قبله ابن ابنه فهو أكبر
يرى ابنه شيخاً يدب على العصا	ولحيته سوداء والرأس أشقر
وما لابنه حيل ولا فضل قوة	يقوم كما يمشي الصبي فيعثر
يعد ابنه في الناس تسعين حجة	وعشرين لايجري ولا يتبختر
وعمر أبيه أربعون أمرها	ولابن ابنه تسعون في الناس غبر
فما هو في المعقول إن كنت دارياً	وإن كنت لاتدري فبالجهل تعذر

والمشهور أن عزيراً نبي من أنبياء بني إسرائيل ، وأنه كان فيما بين داود وسلمان وبين زكريا ويحيى ، وأنه لما لم يبق في بني إسرائيل من يحفظ التوراة ألهمه الله حفظها فسردها على بني إسرائيل ، كما قال وهب بن منبه : أمر الله ملكاً فنزل بمغرفة من نور فقذفها في عزير فنسخ التوراة حرفاً بحرف حتي فرغ منها .

وروى ابن عساكر عن ابن عباس أنه سأل عبد الله بن سلام عن قول الله تعالى : ﴿ **وقالَتِ اليَهودُ عُزَيرٌ ابْنُ اللهِ** ﴾ [1] لم قالوا ذلك ؟ فذكر له ابن سلام ما كتبه لبني إسرائيل التوراة من حفظه ؟ وقول بني إسرائيل : لم يستطع موسى أن يأتينا بالتوراة إلا في كتاب وإن عزيراً قد جاءنا بها من غير كتاب . فرماه طوائف منهم وقالوا : عزير ابن الله .

ولهذا يقول كثير من العلماء : إن تواتر التوراة انقطع في زمن العزير .

وهذا متجه جداً إذا كان العزير غير نبي كما قاله عطاء بن أبي رباح والحسن والبصري . وفيما رواه إسحاق بن بشر عن مقاتل بن سليمان ، عن عطاء ، وعن عثمان بن عطاء الخرساني عن أبيه ، ومقاتل عن عطاء ابن أبي رباح قال : كان في الفترة تسعة أشياء : بختنصر وجنة صنعاء وجنة سبأ وأصحاب الأخدود وأمر حاصورا وأصحاب الكهف وأصحاب الفيل ومدينة أنطاكية وأمر تبع .

وقال إسحاق بن بشر : أنبأنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن قال : كان أمر عزير وبختنصر في الفترة .

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « إن أولي الناس بابن مريم لأنا ، إنه ليس بيني وبينه نبي » .

وقال وهب بن منبه : كان فيما بين سليمان وعيسى عليهما السلام .

وقد روى ابن عساكر عن أنس بن مالك وعطاء بن السائب أن عزيراً كان في زمن موسى

---

(١) التوبة الآية ٣٠

ابن عمران ، وأنه استأذن عليه فلم يأذن له ، يعني لمّا كان من سؤاله عن القدر ، وأنه انصرف وهو يقول : مائة موتة أهون من ذل ساعة .

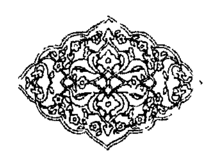
وفي معنى قول عزير : مائة موتة أهون من ذل ساعة . قول بعض الشعراء :

قد يصبر الحر على السيف	ويأنف الصبر على الحيف
ويؤثر الموت على حالة	يعجز فيها عن قرى الضيف

فأما ماروى ابن عساكر وغيره عن ابن عباس ونوف البكالي وسفيان الثوري وغيرهم ، من أنه سأل عن القدر فمحي اسمه من ذكر الأنبياء ، فهو منكر وفي صحته نظر ، وكأنه مأخوذ من الإسرائليات .

وقد روى عبد الرزاق وقتيبة بن سعيد ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجوني ، عن نوف البكالي قال : قال عزير فيما يناجي به : يارب .. تخلق خلقاً فتضل من تشاء وتهدي من تشاء ؟ فقيل له : أعرض عن هذا . فعاد فقيل له : لتعرضن عن هذا أو لأمحون اسمك من الأنبياء إني لا أُسأل عما أفعل وهم يُسْألون . وهذا يقتضي وقوع ما توعد عليه لما عاد فما محى .

وقد روى الجماعة سوى الترمذي من حديث يونس عن يزيد ، عن سعيد وأبي سلمة ، عن أبي هريرة ، وكذلك رواه شعيب عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة فأمر بجهازه فأخرج من تحتها ثم أمر بها فأحرقت بالنار ، فأوحي الله إليه : فهلا نملة واحدة » فروى إسحاق بن بشر عن ابن جريج ، عن عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه : أنه عزير ، وكذا روى عن ابن عباس والحسن البصري أنه عزير .. والله أعلم .



قصـــة زكريا ويحيى عليهما السلام

قال الله تعالى في كتابه العزيز : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ، وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً * قَالَ رَبِّ اجْعَل لِي آيَةً ، قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ، وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [١]

وقال تعالى : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ، كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً ، قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هٰذَا ، قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ، قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ رَبِّ أَنَّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ، قَالَ كَذَٰلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ * قَالَ رَبِّ اجْعَل لِي آيَةً ، قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً ، وَاذْكُر رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾ [٢] .

وقال تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً ، وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [٣] .

---

(١) مريم الآيات ١ ـ ١٥ .

(٢) آل عمران الآيات ٣٧ ـ ٤١

(٣) الأنبياء الآيات ٨٩ ، ٩٠

وقال تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّا ويَحْيى وعِيسَى وإلياسَ ، كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [1] .

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في كتابه التاريخ المشهور الحافل : زكريا بن برخيا ويقال زكريا بن دان ، ويقال زكريا بن لدن بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخيا بن بلعطة بن ناحور بن شلوم بن بهفاشاط بن اينامن ابن رحيعام بن سليمان بن داود ، أبو يحي النبي عليه السلام من نبي إسرائيل .

دخل البثنة من أعمال دمشق في طلب ابنه يحي . وقيل إنه كان بدمشق حين قتل ابنه يحي .. والله أعلم . وقد قيل غير ذلك في نسبه . ويقال فيه زكريا بالمد والقصر ، ويقال زكري أيضاً .

والمقصود أن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يقص على الناس خبر زكريا عليه السلام وما كان من أمره حين وهبه الله ولداً على الكبر وكانت امرأته مع ذلك عاقراً في حال شبيبتها وقد أسنت أيضاً حتى لاييأس أحد من فضل الله ورحمته ولا يقنط من فضله تعالى : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ ربِّكَ عَبدَهُ زَكرِيَّا * إذْ نادَى ربَّهُ نِداءً خَفِيًّا ﴾ قال قتادة عند تفسيرها : إن الله يعلم القلب النقي ويسمع الصوت الخفي ، وقال بعض السلف : قام من الليل فنادى ربه مناداة أسرها عمن كان حاضراً عنده مخافته فقال : يارب يارب يارب .. فقال الله : لبيك لبيك لبيك . ﴿ قالَ ربِّ إنِّي وَهنَ العَظْم مِنِّي ﴾ أي ضعف وخار من الكبر ﴿ واشْتَعلَ الرَّأسُ شَيْباً ﴾ استعارة من اشتعال النار في الحطب أي غلب على سواد الشعر شيبه كما قال ابن دريد في مقصورته :

أمـا ترى رأسي حـاكي لـونـه	طرة صبح تحت أذيال الدجا
وأشتعـل المبيض في مسـوده	مثل اشتعال النار في جمر الغضا
وأض عـود اللهم يبسـاً ذاويـاً	من بعـد مـاقـد كان مجـاج الثرى

يذكر أن الضعف قد استحوذ عليه باطناً وظاهراً . وهكذا قال زكريا عليه السلام : ﴿ إنِّي وهَنَ العَظْمُ مِنِّي واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ﴾ .

وقوله : ﴿ ولَمْ أكُنْ بدُعائِكَ ربِّ شَقِيًّا ﴾ أي ماعودتني فيما أسألك إلا الإجابة وكان الباعث له على هذه المسألة أنه لما كفل مريم بنت عمران بن ماثان ، وكان كلما دخل عليها محرابها وجد عندها فاكهة في غير إبانها ولا في أوانها وهذه من كرامات الأولياء ، فعلم أن الرزاق للشيء في

---

(١) سورة الأنعام الاية ٨٥ .

غير أوانه قادر على أن يرزقه ولداً وإن كان قد طعن في سنه ﴿ هُنالِكَ دَعا زَكرِيَّا ربَّهُ ، قالَ ربِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنكَ ذُرِّيَّةً طيبةً ، إنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ ﴾ [1] وقوله : ﴿ وإنِّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وكانَتِ امْرأتِي عاقِراً ﴾ قيل المراد بالموالي العصبة ، وكأنه خاف من تصرفهم بعده في بني إسرائيل بما لايوافق شرع الله وطاعته فسأل وجود ولد من صلبه يكون برًّا تقيًّا مرضياً ولهذا قال : ﴿ فَهبْ لِي مِنْ لَدنْكَ ﴾ أي من عندك بحولك وقوتك ﴿ وَليًّا * يَرِثُنِي ﴾ أي في النبوة والحكم في بني إسرائيل ﴿ ويَرِثُ مِنْ آلِ يعْقُوبَ ، واجْعَلهُ ربِّ رَضِيًّا ﴾ يعني كما كان آباؤه وأسلافه من ذرية يعقوب أنبياء فاجعله مثلهم في الكرامة التي أكرمتهم بها من النبوة والوحي ، وليس المراد هاهنا وراثة المال كما زعم ذلك من عزمه من الشيعة ووافقهم ابن جرير هاهنا وحكاه عن أبي صالح من السلف ، لوجوه :

أحدها : ما قدمناه عند قوله تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمانُ دَاوُدَ ﴾ [2] أي في النبوة والملك لما ذكرنا في الحديث المتفق عليه بين علماء الموري في الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها من طرق عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال : « لانورث ماتركنا فهو صدقة » فهذا نص على أن رسول الله ﷺ لايورث ، ولهذا منع الصديق أن يصرف ما كان يختص به في حياته إلي أحد من ورثته الذين لولا هذا النص لصرف إليهم ، وهم ابنته فاطمة وأزواجه التسع وعمه العباس رضي الله عنهم ، واحتج عليهم الصديق في منعه إياهم بهذا الحديث ، وقد وافقه على روايته عن رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وأبو هريرة وآخرون رضي الله عنهم .

والثاني : أن الترمذي رواه بلفظ يعم سائر الأنبياء : « نحن معاشر الأنبياء لانورث » وصححه .

الثالث : أن الدنيا كانت أحقر عند الأنبياء من أن يكنزوا لها أو يلتفتوا إليها أو يهمهم أمرها حتي يسألوا الأولاد ليحوزوها بعدهم ، فإن من لايصل إلى قريب من منازلهم في الزهادة لايهتم بهذا المقدار أن يسأل ولداً يكون وارثاً له فيها .

الرابع : أن زكريا عليه السلام كان نجاراً يعمل بيده ويأكل من كسبها ، كما كان داود عليه السلام يأكل من كسب يده ، والغالب ولا سيما من مثل حال الأنبياء أنه لايجهد نفسه في

---

(١) سورة ال عمران الاية ٣٨ .

(٢) سورة النمل الاية ١٦ .

العمل إجهاداً يستفضل منه مالاً يكون ذخيرة له ولمن يخلفه من بعده . وهذا أمر بين واضح لكل من تأمله وتدبره وتفهمه .. إن شاء الله .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، يعني ابن هارون ، أنبأنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « كان زكريا نجاراً » وهكذا رواه مسلم وابن ماجه من غير وجه ، عن حماد بن سلمة به .

وقوله : ﴿ يا زَكريّا إنّا نُبشّرك بِغلامٍ اسْمهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعلْ لَهُ مِنْ قَبلُ سَمِيًّا ﴾ وهذا مفسر بقوله : ﴿ فَنادَتهُ الملائكةُ وَهُو قائمٌ يُصلّي في المِحْراب أنّ اللهَ يُبشّركَ بيَحْيَى مُصدّقاً بكَلمةٍ مِنَ اللهِ وسيّداً وحَصُوراً ونَبيًّا مِنَ الصَّالِحينَ ﴾ [1] .

فلما بشر بالولد وتحقق البشارة شرع يستعلم على وجه التعجب وجود الولد له والحالة هذه ﴿ قالَ ربّ أنّي يكُونُ لِي غُلامٌ وكانَتِ امْرأتي عاقِراً وقدْ بَلَغتُ مِنَ الكِبَرِ عِتيًّا ﴾ أي كيف يوجد ولد من شيخ كبير ، قيل كان عمره إذا ذاك سبعاً وسبعين سنة ، والأشبة والله أعلم أنه كان أسد من ذلك ﴿ وكانَتِ امْرأتِي عاقِراً ﴾ يعنى وقد كانت امرأتي في حال شبيبتها عاقراً لاتلد .. والله أعلم .

كما قال الخليل : ﴿ أبشّرتُموني عَلَى أنْ مَسّنِيَ الكِبرُ فَبِمَ تُبشّرون ﴾ [2] وقالت سارة : ﴿ يَا ويْلَتَى أألدُ وأنَا عَجوزٌ وهٰذا بعْلِي شَيْخاً ، إنّ هٰذا لَشَيءٌ عَجيبٌ * قالُوا أتعْجَبينَ مِنْ أمْرِ اللهِ ، رحْمةُ اللهِ وبَركاتُه عَليْكُم أهْلَ البَيْت ، إنهُ حَميدٌ مجيدٌ ﴾ [3]

وهكذا أجيب زكريا عليه السلام قال له الملك الذي يوحي إليه بأمر ربه : ﴿ كذٰلكَ قالَ ربُّك هُوَ عَليَّ هَيِّنٌ ﴾ أي هذا سهل يسير عليه ﴿ وقدْ خَلقْتُك مِنْ قَبْلُ ولَمْ تَكُ شَيْئاً ﴾ أي قدرته ، أوجدتك بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً أفلا يوجد منك ولد وإن كنت شيئاً ؟!

وقال تعالى : ﴿ فاسْتَجبْنا لهُ ووَهَبْنا لهُ يَحْيَى وأصْلَحنا لَهُ زَوْجهُ ، إنّهمْ كانُوا يُسارِعُونَ في الخَيْراتِ ويدْعُونَنا رَغَباً ورهَباً ، وكانُوا لَنا خَاشِعينَ ﴾ [4] ومعنى إصلاح زوجته أنها كانت لاتحيض فحاضت . وقيل كان في لسانها شيء ، أي بذاءة .

---

(١) سورة آل عمران الآية ٣٩ .

(٢) سورة الحجر الآية ٥٤ .

(٣) سورة هود أيتا ٧٢ ـ ٧٤ □

(٤) سورة الأنبياء الآية ٩٠

﴿ قالَ ربِّ اجْعَلْ لِي آيةً ﴾ أي علامة على وقت تعلق مني المرأة بهذا الولد المبشر به ﴿ قالَ آيتُكَ ألاّ تُكلمَ النَّاسَ ثلاثَ لَيالٍ سَويًّا ﴾ يقول علامة ذلك أن يعتريك سكت لاتنطق معه ثلاثة أيام إلا رمزاً وأنت في ذلك سوى الخلق صحيح المزاج معتدل البنية ، وأمر بكثرة الذكر في هذه الحال بالقلب واستحضار ذلك بفؤاده بالعشي والإبكار ، فلما بشر بهذه البشارة خرج مسروراً بها على قومه من محرابه ﴿ فأوْحَى إليْهِمْ أنْ سَبِّحُوا بكْرةً وعَشيًّا ﴾ والوحي هاهنا هو الأمر الخفي إما بكتابة ، كما قاله مجاهد والسدي ، أو إشارة كما قاله مجاهد أيضاً ووهب وقتادة ، قال مجاهد وعكرمة ووهب والدني وقتادة : اعتقل لسانه من غير مرض . وقال ابن زيد : كان يقرأ ويسبح ولكن لايستطيع كلام أحد .

وقوله تعالى : ﴿ يا يَحْيَى خُذِ الكِتابَ بِقُوّةٍ ، وآتَيناهُ الحُكْم صَبِيًّا ﴾ يخبر تعالى عن وجود الولد.وفق البشارة الإلهية لأبيه زكريا عليه السلام وأن الله علمه الكتاب والحكمة وهو صغير في حال صباه .

قال عبد الله بن المبارك : قال معمر : قال الصبيان ليحي بن زكريا : اذهب بنا نلعب . فقال : ماللعب خلقنا . قال : وذلك قوله : ﴿ وآتَيناهُ الحُكْم صَبِيًّا ﴾ .

وأما قوله : ﴿ وحَناناً مِنْ لَدُنَّا ﴾ فروى ابن جرير عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : لا أدري ما الحنان . وعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك : ﴿ وحَناناً مِنْ لَدنَّا ﴾ أي رحمة من عندنا رحمنا بها زكريا فوهبنا له هذا الولد ، وعن عكرمة : ﴿ وحَناناً ﴾ أي محبة عليه ، ويحتمل أن يكون ذلك صفة لتحنن يحي على الناس ولا سيا على أبويه ، وهو محبتهما والشفقة عليهما وبره بهما.

وأما الزكاة فهو طهارة الخلق وسلامته من النقائص والرذائل . والتقوى طاعة الله بامتثال أوامره وترك زواجره .

ثم ذكر بره بوالديه وطاعته لهما أمراً ونهياً وترك عقوقهما قولاً وفعلاً فقال : ﴿ وبَرًّا بوَالِديْهِ ولَمْ يَكنْ جَبَّاراً عَصيًّا ﴾ ثم قال ﴿ وسَلامٌ عليْهِ يَومَ وُلِدَ ويَومَ يَموتُ ويَومَ يُبْعثُ حيًّا ﴾ هذه الأوقات الثلاثة أشد ماتكون على الإنسان ، فإنه ينتقل في كل منها من عالم إلى عالم آخر ، فيفقد الأول بعد ما كان ألفه وعرفه ، ويصير إلى الآخر ولا يدري مابين يديه

ولهذا يستهل صارخاً إذا خرج من بين الأحشاء وفارق لينها وضمها ، وينتقل إلى هذه الدار ليكابد همومها وغمها !

وكذلك إذا فارق هذه الدار وانتقل إلى عالم البرزخ بينهما وبين دار القرار ، وصار بعد الدور والصور إلىٰ عرصة الأموات سكان القبور ،وانتظر هناك النفخة في الصور ليوم البعث والنشور ، فمن مسرور ومحبور ومن محزون ومثبور ،وما بين جبير وكسير وفريق في الجنة وفريق في السعير ، ولقد أحسن بعض الشعراء حيث يقول :

ولدتك أمك باكياً مستصرخاً	والناس حولك يضحكون سرورا
فاحرص لنفسك أن تكون إذا بكوا	في يوم موتك ضاحكاً مسرورا

ولما كانت هذه المواطن الثلاثة أشق ما تكون على ابن آدم سلم الله على يحي في كل موطن منها فقال : ﴿ وسَلامٌ عَلَيْه يَومَ وُلدَ ويَومَ يَموتُ ويَومَ يُبْعثُ حَيًّا ﴾ .

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة أن الحسن قال : إن يحي وعيسى التقيا ، فقال له عيسى : استغفر لي أنت خير مني . فقال له الآخر : استغفر لي أنت خير منّي . فقال له عيسى : أنت خير مني سلمت على نفسي وسلم الله عليك . فعرف والله فضلهما .

وأما قوله في الآية الأخرى : ﴿ وسيِّداً وحَصُوراً ونَبيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [1] فقيل المراد بالحصور الذي لايأتي النساء ، وقيل غير ذلك، وهو أشبه لقوله : ﴿ هَبْ لِي مِنْ لَدنْكَ ذُرِّيةً طيِّبةً ﴾ [2]

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان : حدثنا حماد ، أنبأنا على بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة ليس يحي بن زكريا ، وما ينبغي لأحد يقول أنا خير من يونس بن متى » .

على بن زيد بن جدعان تكلم فيه غير واحد من الأئمة ، وهو منكر الحديث . وقد رواه ابن خزيمة والدارقطني مّن طريق أبي عاصم العباداني ، عن على بن زيد بن جدعان به مطولاً . ثم قال ابن خزيمة : وليس على شرطنا .

وقال ابن وهب : حدثني بن لهيعة ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : خرج رسول الله

---

(١) سورة ال عمران الاية ٣٩ .

(٢) سورة ال عمران الاية ٣٨ .

ﷺ على أصحابه يوماً وهم يتذاكرون فضل الأنبياء فقال قائل : موسى كليم الله . وقال قائل : عيسى روح الله وكلمته ، وقال قائل : إبراهيم خليل الله . وهم يذكرون ذلكَ فقال : « أين الشهيد بن الشهيد ، يلبس الوبر ويأكل الشجر مخافة الذنب » قال ابن وهب : يريد يحي بن زكريا .

وقد رواه محمد بن إسحاق وهو مدلس ، عن يحي بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيب ، حدثني ابن العاص ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « كل ابن آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ماكان من يحي بن زكريا » .

فهذا من رواية ابن إسحاق وهو من المدلسين وقد عنعن هاهنا .

ثم قال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب مرسلاً .

ثم رأيت ابن عساكر ساقه من طريق أبي أسامة ، عن يحي بن سعيد الأنصاري ، ثم رواه ابن عساكر من طريق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني خطيب دمشق : حدثنا محمد بن الأصبهاني ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن يحي بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الله ابن عمرو قال : ماأحد إلا يلقى الله بذنب إلا يحي بن زكرياً . ثم تلا ﴿ **وسيداً وحَصُوراً** ﴾ ثم رفع شيئاً من الأرض فقال : ما كان معه إلا مثل هذا ، ثم ذبح ذبحاً !

وهذا موقوف من هذا الطريق وكونه موقوفاً أصح من رفعه .. والله أعلم ، وأورده ابن عساكر من طرق عن معمر : من ذلك ما أورده من حديث إسحاق بن بشر ، وهو ضعيف ، عن عثمان بن سباج ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن معاذ عن النبي ﷺ بنحوه .

وروى عن طريق أبي داود الطيالسي وغيره ، عن الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، عن أبيه ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة يحي وعيسى عليهما السلام »[1] .

وقال أبو نعيم الحافظ الأصبهاني : حدثنا إسحاق بن أحمد . حدثنا إبراهيم بن يوسف ، حدثنا أحمد بن أبي الحواري ، سمعت أبا سليمان يقول : خرج عيسى ابن مريم ويحي بن زكريا

---

(١) الحديث رواه الترمذي

يتماشيان ، فصدم يحي امرأة فقال له عيسى : ياابن خالة .. لقد أصبت اليوم خطيئة ما أظن أنه يغفر لك أبداً . قال : وما هي يا ابن خالة ؟ قال : امرأة صدمتها . قال : والله ماشعرت بها . قال : سبحان الله .. بدنك معي فأين روحك ؟ قال : معلق بالعرش ولو أن قلبي اطمأن إلى جبريل لظننت أني ماعرفت الله طرفة عين . فيه غرابة وهو من الإسرائيليات .

وقال إسرائيل عن أبي حصين ، عن خيثمة ، قال : كان عيسى ابن مريم ويحي بن زكريا ابني خالة وكان عيسى يلبس الصوف وكان يحي يلبس الوبر ولم يكن لواحد منهما دينار ولا درهم ولا عبد ولا أمة ولا مأوي يأويان إليه ، أين ما جنهما الليل أويا ، فلما أرادا أن يتفرقا قال يحي : أوصني . قال : لاتغضب . قال : لا أستطيع إلا أن أغضب . قال : لا تقتن مالاً . قال : أما هذه فعسى .

وقد اختلفت الرواية عن وهب بن منبه : هل مات زكريا عليه السلام موتاً أو قتل قتلاً ؟ على روايتين فروى عبد المنعم بن إدريس بن سنان ، عن أبيه ، عن وهب بن منبه ، أنه قال : هرب من قومه فدخل شجرة فجاءوا فوضعوا المنشار عليها ، فلما وصل المنشار إلى أضلاعه أنّ ، فأوحي الله إليه : لئن لم يسكن أنينك لأقلبن الأرض ومن عليها . فسكن أنينه حتى قطع باثنتين .

وقد روى هذا في حديث مرفوع سنورده بعد إن شاء الله .

وروى إسحاق بن بشر ، عن إدريس بن سنان ، عن وهب أنه قال : الذي انصدعت له الشجرة هو شعيا ، فأما زكريا فمات موتاً .. فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، أنبأنا أبو خلف موسى بن خلف ، ـ وكان يعد من البدلاء ـ حدثنا يحي بن أبي كثير ، عن زيد بن سلام ، عن جده ممطور ، عن الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال : إن الله أمر يحي بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن ، فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن . فقال : يا أخي .. إني أخشي إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي . قال : فجمع يحي بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرف فحمد الله وأثني عليه ثم قال : إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركن أن تعملوا بهن . وأولهن أن تعبدوا الله لاتشركوا به شيئا ، فإن مثل ذلك

مثل من اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلبته إلى غير سيده ، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك ، وإن الله خلقكم ورزقكم فاعدوه ولا تشركوا به شيئاً .

آمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه قبل عبده مالم يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا .

وآمركم بالصيام فإن الله مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك ،وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .

وآمركم بالصدقة ، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال : هل لكم أن أفتدي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتي فك نفسه .

وآمركم بذكر الله عز وجل كثيراً ، فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في آثره فأتي حصناً حصيناً فتحصن فيه ، وإن العبد أحصن مايكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل .

قال : وقال رسول الله ﷺ : « وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن : بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله ، فإن من خرج عن الجماعة قيد شبر فقد خلق ربق الإسلام من عنقه إلا أن يرجع ، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من حتا جهنم » قال : يارسول الله .. وإن صام وصلي ؟ قال : « وإن صام وصلي وزعم أنه مسلم ، ادعوا المسلمين بأسمائهم بما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله عز وجل » .

وهكذار رواه أبو يعلى عن هدبة بن خالد ، عن أبان بن زيد ، عن يحي بن أبي كثير به . وكذلك رواه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي وموسى بن إسماعيل ،وكلاهما عن أبان بن يريد العطار به ، ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار ، عن محمد بن شعيب بن سابور ، عن معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام ، عن أبي سلام ، عن الحارث الأشعري به ، ورواه الحاكم من طريق مروان بن محمد الطاطري ، عن معاوية بن سلام ، عن أخيه به . ثم قال : تفرد به مروان الطاطري ، عن معاوية بن سلام .

قلت : وليس كما قال . ورواه الطبراني عن محمد بن عبدة ، عن أبي توبة الربيع بن نافع ، عن معاوية بن سلام ، عن أبي سلام ، عن الحارث الأشعري . فذكر نحوه فسقط ذكر زيد بن

سلام ، عن أبي سلام ، عن الحارث الأشعري فذكر نحو هذه الرواية .

ثم روي الحافظ ابن عساكر من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازي ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : ذكر لنا عن أصحاب رسول الله ﷺ فيما سمعوا من علماء بني إسرائيل أن يحي بن زكريا أرسل بخمس كلمات وذكر نحو ماتقدم .

وقد ذكروا أن يحي عليه السلام كان كثير الانفراد من الناس ، إنما كان يأنس إلى البراري ويأكل من ورق الأشجار ويرد ماء الأنهار ويتغذي بالجراد في بعض الأحيان ، ويقول : من أنعم منك يايحي ؟

وروى ابن عساكر أن أبويه خرجا في تطلبه فوجداه عند بحيرة الأردن فلما اجتمعا به أبكاهما بكاء شديداً لما هو فيه من العبادة والخوف من الله عز وجل .

وقال ابن وهب عن مالك ، عن حميد بن قيس عن مجاهد قال كان طعام يحي بن زكريا العشب ،وإنه كان ليبكي من خشية الله حتي لو كان القار على عينيه لخرقه .

وقال محمد بن يحي الذهلي : حدثنا الليث ، حدثني عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : جلست يوماً إلى أبي إدريس الخولاني وهو يقص فقال : ألا أخبركم بمن كان أطيب الناس طعاماً ؟ فلما رأى الناس قد نظروا إليه قال : إن يحي بن زكريا كان أطيب الناس طعاماً ؟ إنما كان يأكل مع الوحش كراهة أن يخالط الناس في معايشتهم .

وقال ابن المبارك عن وهيب بن الورد قال : فقد زكريا ابنه يحي ثلاثة أيام فخرج يلتمسه في البرية فإذا هو قد احتفر قبراً وأقام فيه يبكي على نفسه ، فقال : يابني .. أنا أطلبك من ثلاثة أيام وأنت في قبر احتفرته قائم تبكي فيه ؟ فقال : يا أبت .. ألست أنت أخبرتني أن بيت الجنة والنار مفازة لاتقطع إلا بدموع البكائين . فقال له : ابك يابني . فبكيا جميعاً . وهكذا حكاه وهب بن منبه ومجاهد بنحوه .

وروى ابن عساكر عنه أنه قال : إن أهل الجنة لاينامون للذة ما هم فيه من النعيم ، فكذا ينبغي للصديقين ألا يناموا لما في قلوبهم من نعيم المحبة لله عز وجل ثم قال : كم بين النعيمين وكم بينهما .

وذكروا أنه كان كثير البكاء حتي أثر البكاء في خديه من كثرة دموعه .

مقتل يحيى عليه السلام

وذكروا في قتله أسباباً من أشهرها أن بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق كان يريد أن يتزوج ببعض محارمه أو من لايحل له تزويجها ، فنهاه يحي عليه السلام عن ذلك فبقي في نفسها منه . فلما كان بينها وبين الملك ما يجب منها استوهبت منه دم يحي ، فوهبه لها فبعثت إليه من قتله وجاء برأسه ودمه في طست إلى عندها ، فيقال إنها هلكت من فورها وساعتها .

وقيل بل أحبته امرأة ذلك الملك وراسلته فأبي عليها ، فلما يئست منه تحيلت في أن استوهبته من الملك ، فتمنع عليها الملك ثم أجابها إلى ذلك فبعث من قتله وأحضر إليها رأسه ودمه في طست .

وقد ورد معناه في حديث رواه إسحاق بن بشر في كتابه « المبتدأ » حيث قال : أنبأنا يعقوب الكوفي ، عن عمرو بن ميمون ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به رأى زكريا في السماء فسلم عليه وقال له : يا أبا يحي .. خبرني عن قتلك كيف كان ولم قتلك بنو إسرائيل ؟ قال : يا محمد .. أخبرك أن يحي كان خير أهل زمانه ، وكان أجملهم وأصبحهم وجهاً ، وكان كما قال تعالى : ﴿ سَيِّداً وحَصُوراً ﴾ وكان لايحتاج إلى النساء فهويته امرأة ملك بني إسرائيل ،وكانت بغية ، فأرسلت إليه وعصمه الله وامتنع يحي وأبي عليها فأجمعت على قتل يحي ولهم عيد يجتمعون في كل عام ، وكانت سنة الملك أن يعد ولا يخلف ولا يكذب .

قال : فخرج الملك إلى العيد فقامت امرأته فشيعته ، وكان بها معجباً ولم تكن تفعله فيما مضي ، فلما أن شيعته قال الملك : سليني ، فما سألتني شيئاً إلا أعطيتك . قالت : أريد دم يحي ابن زكريا . قال لها : سليني غيره . قالت : هو ذاك : قال : هو لك . قال فبعثت جلاوزتها إلى يحي وهو في محرابه يصلي وأنا إلى جانبه أصلي ، قال : فذبح في طست وحمل رأسه ودمه إليها . قال : فقال رسول الله ﷺ : فما بلغ من صبرك ؟ قال : ما انفلت من صلاتي .

قال : فلما حمل رأسه إليها فوضع بين يديها فلما أمسوا خسف الله بالملك وأهل بيته وحشمه ، فلما أصبحوا قالت بنو إسرائيل : قد غضب إله زكريا لزكريا ، فتعالوا حتى نغضب لملكنا فنقتل زكريا . قال : فخرجوا في طلبي ليقتلوني وجاءني النذير ، فهربت منهم وإبليس أمامهم يدلهم على فلما تخوفت ألا أعجزهم عرضت لي شجرة فنادتني وقالت : إليَّ إليَّ . وانصدعت لي ودخلت فيها .

قال : وجاء إبليس حتى أخذ بطرف ردائي والتأمت الشجرة وبقي طرف ردائي خارجاً من الشجرة ، وجاءت بنو إسرائيل فقال إبليس : أما رأيتموه دخل هذه الشجرة ، هذا طرف ردائه دخلها بسحره . فقالوا : نحرق هذه الشجرة . فقال إبليس : شقوها بالمنشار شقاً . قال : فشقتت مع الشجرة بالمنشار .

قال له النبي ﷺ : هل وجدت له مسًّا أو وجعاً ؟ قال : لا ، إنما وجدت ذلك الشجرة التي جعل الله روحي فيها .

هذا سياق غريب جدًّا وحديث عجيب ورفعه منكر ،وفيه ماينكر على كل حال ، ولم ير في شيء من أحاديث الإسراء ذكر زكريا عليه السلام إلا في هذا الحديث ، وإنما المحفوظ في بعض ألفاظ الصحيح في حديث الإسراء : فمررت بابني الخالة يحي وعيسى وهما ابنا الخالة . فجاء على قول الجمهور كما هو ظاهر الحديث ، فإن أم يحي أشياع بنت عمران أخت مريم بنت عمران . وقيل بل أشياع وهي امرأة زكريا ، أم يحي هي أخت حنة امرأة عمران أم مريم ، فيكون يحي ابن خالة مريم .. فالله أعلم .

ثم اختلف في مقتل يحي بن زكريا هل كان في المسجد الأقصي أم بغيره على قولين : فقال الثوري عن الأعمش عن شملة بن عطية قال : قتل على الصخرة التي ببيت المقدس سبعون نبيًّا ، منهم يحي بن زكريا عليه السلام .

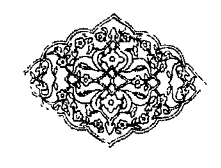
وقال أبو عبيدة القاسم بن سلام : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن يحي بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب قال : قدم بختنصر دمشق ، فإذا هو بدم يحي بن زكريا يغلي ، فسأل عنه فأخبروه ، فقتل على دمه سبعين ألفاً فسكن . وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب وهو يقتضي أنه قتل بدمشق وأن قصة بختنصر كانت بعد المسيح كما قاله عطاء والحسن البصري .. فالله أعلم .

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق الوليد بن مسلم . عن زيد بن واقد ، قال : رأيت رأس يحي بن زكريا حين أرادوا بناء مسجد دمشق أخرج من تحت ركن من أركان القبلة الذي يلي المحراب مما يلي الشرق ، فكانت البشرة والشعر على حاله لم يتغير . وفي رواية : كأنما قتل الساعة .

وذكر في بناء مسجد دمشق أنه جعل تحت العمود المعروف بعمود السكاسكة .. فالله أعلم .

وقد روى الحافظ ابن عساكر في « المستقصي في فضائل الأقصى » من طريق العباس بن صبح ، عن مروان ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن قاسم مولي معاوية ، قال : كان ملك هذه المدينة - يعني دمشق - هداد بن هدار ، وكان قد زوج ابنه بابنة أخيه أريل ملكة صيدا ، وقد كان من جملة أملاكها سوق الملوك بدمشق وهو الصاغة العتيقة ، وقال كان قد حلف بطلاقها ثلاثاً . ثم إنه أراد مراجعتها فاستفتى يحي بن زكريا فقال : لاتحل لك حتى تنكح زوجاً غيرك ، فحقدت عليه وسألت من الملك رأس يحي بن زكريا ، وذلك بإشارة أمها . فأبي عليها ثم أجباها إلى ذلك وبعث إليه وهو قائم يصلي بمسجد جبرون من أتاه برأسه في صينية ، فجعل الرأس يقول له : لاتحل له حتي تنكح زوجاً غيره ، فأخذت المرأة الطبق فحملته على رأسها وأتت به أمها وهو يقول كذلك ، فلما تمثلت بين يدي أمها خسف بها إلى قدميها ثم إلى حقويها ،وجعلت أمها تولول والجواري يصرخن ويلطمن وجوههن ، ثم خسف بها إلى منكبيها فأمرت أمها السياق أن يضرب عنقها لتتسلي برأسها ، ففعل فلفظت الأرض جثتها عند ذلك ، ووقعوا في الذل والفناء ، ولم يزل دم يحي يفور حتي قدم بختنصر فقتل عليه خمسة وسبعين ألفاً .

قال سعيد بن عبد العزيز : وهي دم كل نبي . ولم يزل يفور حتى وقف عنده أرميا عليه السلام فقال : أيها الدم .. أفنيت بني إسرائيل فاسكن بإذن الله . فسكن فرفع السيف وهرب من هرب من أهل دمشق إلى بيت المقدس فتبعهم إليها فقتل خلقاً كثيراً لايحصون كثرة وسبي منهم ثم رجع عنهم .



عيسى عليه السلام

قال الله تعالى في سورة آل عمران التي أنزل صدرها وهو ثلاث وثمانون آية منها في الرد على النصاري عليهم لعائن الله ، الذين زعموا أن لله ولداً ، وتعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً

وكان قد قدم وفد نجران منهم على رسول الله ﷺ فجعلوا يذكرون ما هم عليه من الباطل من التثليث في الأقانيم ويدعون بزعمهم أن الله ثالث ثلاثة وهم الذات المقدسة وعيسى ومريم ، على اختلاف فرقهم ، فأنزل الله عز وجل صدر هذه السورة بين فيها أن عيسى عبد من عباد الله خلقه وصوره في الرحم كما صور غيره من المخلوقات وأنه خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم ، وقال له كن فكان سبحانه وتعالى . وبين أصل ميلاد أمه مريم وكيف كان من أمرها وكيف حملت بولدها عيسى ،وكذلك بسط ذلك في سورة مريم كما سنتكلم على ذلك كله بعون الله وحسن توفيقه وهدايته .

فقال تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ إنّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ ونُوحاً وآلَ إبْراهِيمَ وآلَ عِمْرانَ علَى العَالَمينَ * ذُرّيةً بعْضُها مِنْ بَعضٍ ، واللهُ سَميعٌ عَليمٌ * إذْ قالت امْرأةُ عِمْرانَ ربِّ إنِّي نَذَرتُ لَكَ ما فِي بَطْنِي مُحَرراً فتَقبَّلْ مِنّي ، إنَّكَ أنْتَ السّميعُ العَليمُ * فلمّا وضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إنِّي وَضَعْتُها أُنْثَى واللهُ أعْلَم بمَا وضَعَتْ ولَيسَ الذّكَرُ كالأنْثَى ، وإنِّي سَمّيتُها مَرْيَمَ وإنِّي أُعِيذُها بِكَ وذُرِّيّتَها مِنَ الشّيْطانِ الرَّجيمِ * فتَقبّلَها ربُّها بقَبُولٍ حَسَنٍ وأنْبتَها نَباتاً حَسَناً وكَفلها زَكريّا ، كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْها زَكريّا المِحْرابَ وَجَد عِنْدَها رزْقاً ، قالَ يامَرْيمُ أنّى لكِ هَذا ، قالَتْ هُو مِنْ عِنْدِ اللهِ ، إنّ اللهَ يرْزُق مَنْ يَشاءُ بِغيرِ حِساب ﴾ [1] .

يذكر تعالى أنه اصطفى آدم عليه السلام والخلص من ذريته المتبعين شرعه الملازمين طاعته ، ثم خصص فقال : ﴿ وآلَ إبراهِيمَ ﴾ فدخل فيهم بنو إسماعيل ثم ذكر فضل هذا البيت الطاهر الطيب وهم آل عمران ، والمراد بعمران هذا والد مريم عليها السلام .

وقال محمد بن إسحاق : وهو عمران بن هاشم بن أمون بن ميشا بن حزقيا بن أحريق بن موثم بن عزازيا بن أمصيا بن ياوش بن أحريهو بن يازم بن يهفاشاط بن إيشا بن إيان بن رحبعام بن داود .

---

(١) سورة آل عمران آيات ٣٣ - ٣٧ .

وقال أبو القاسم بن عساكر : مريم بنت عمران بن ماثان بن العازر بن اليود بن أخنز بن صادوق بن عيازور بن الياقيم بن أيبود بن زرابابيل ابن شالتال بن يوحينا بن برشا بن أمون ابن ميشا بن حزقيا بن أحاز بن موثام بن عزريا بن يورام بن يوشافاط بن إيشا بن إيبا بن رحبعام بن سليمان بن داود عليه السلام . وفيه مخالفة لما ذكره محمد بن إسحاق .

ولا خلاف أنها من سلالة داود عليه السلام وكان أبوها عمران صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه ، وكانت أمها وهي حنة بنت فاقود بن قبيل من العابدات ، وكان زكريا نبي ذلك الزمان زوج أخت مريم « أشياع » في قول الجمهور وقيل زوج خالتها « أشياع » .. فالله أعلم .

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغيره أن أم مريم كانت لاتحبل فرأت يوماً طائراً يزق فرخاً له فاشتهت الولد فنذرت لله إن حملت لتجعلن ولدها مُحرَّراً أي حبيساً في بيت المقدس .

قالوا : فحاضت من فورها فلما طهرت واقعها بعلها فحملت بمريم عليها السلام ﴿ **فلمَّا وَضَعتْها قالَتْ ربِّ إنِّي وضَعْتُها أُنْثَى واللهُ أعْلَمُ بما وَضَعت** ﴾ وقرئ بضم التاء ﴿ **ولَيسَ الذَّكرُ كالأُنْثَى** ﴾ أي في خدمة بيت المقدس ،وكانوا في ذلك الزمان ينذرون لبيت المقدس خداماً من أولادهم .

وقولها : ﴿ **وإنِّي سَمَّيتُها مَرْيَم** ﴾ استدل به على تسمية المولود يوم يولد ، وكما ثبت في الصحيحين عن أنس في ذهابه بأخيه إلى رسول الله ﷺ فحنك أخاه وسماه عبد الله .وجاء في حديث الحسن عن سمرة مرفوعاً : « كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويسمى ويحلق رأسه » .

رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي . وجاء في بعض ألفاظه : « ويدمي » بدل « ويسمى » وصححه بعضهم .. والله أعلم .

وقولها : ﴿ **وإنِّي أُعيذُها بكَ وذُرِّيتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ** ﴾ قد استجيب لها في هذا كما تقبل منها نذرها ، فقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ قال : « ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إلا مريم وابنها » ثم يقول أبو هريرة : واقرءوا إن شئتم : ﴿ **وإنِّي أُعيذُها بكَ وذُرِّيتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ** ﴾ .

أخرجاه من حديث عبد الرزاق ورواه ابن جرير عن أحمد بن الفرج عن بقية ، عن عبد

الله بن الزبيدي ، عن الزهري عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا إسماعيل بن عمر ، حدثنا ابن أبي ذؤيب ، عن عجلان مولى المشتعل ، عن النبي ﷺ قال : « كل مولود من بني آدم يمسه الشيطان بأصبعه إلا مريم بنت عمران وابنها عيسى »

تفرد به من هذا الوجه . ورواه مسلم عن أبي الطاهر ، عن ابن وهب ، عن عمر بن الحارث ، عن أبي يونس ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بنحوه .

وقال أحمد : حدثنا هشيم ، حدثنا حفص بن ميسرة ، عن العلاء عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ قال : « كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان في حضنيه إلا ما كان من مريم وابنها ، ألم تر إلى الصبي حين يسقط كيف يصرخ » ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : « ذلك حين يلكزه الشيطان بحضنيه » .

وهذا على شرط مسلم ولم يخرجه من هذا الوجه ، ورواه قيس عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة - أو عصرتين - إلا عيسى ابن مريم ومريم » ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وإنّي أُعِيذُها بِكَ وذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ ﴾ .

وكذا رواه محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبيد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بأصل الحديث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله ، حدثنا المغيرة هو ابن عبد الرحمن الحزامي ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه حين يولد إلا عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب » . وهذا على شرط الصحيحين ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقوله : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وأَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً وكَفَّلَها زَكَرِيَّا ﴾ ذكر كثير من المفسرين أن أمها حين وضعتها لفتها في خرقها ثم خرجت بها إلى المسجد فسلمتها إلى العباد الذين هم مقيمون به ، وكانت ابنة إمامهم وصاحب صلاتهم فتنازعوا فيها ، والظاهر أنها إنما سلمتها إليهم بعد رضاعها وكفالة مثلها في صغرها .

ثم لما دفعتها إليهم تنازعوا في أيهم يكفلها ، وكان زكريا نبيهم في ذلك الزمان ، وقد أراد أن يستبد بها دونهم من أجل زوجته أختها أو خالتها على القولين . فشاحوه في ذلك وطلبوا أن يقترع معهم ، فساعدته المقادير فخرجت قرعته غالبة لهم وذلك أن الخالة بمنزلة الأم .

قال الله تعالى ﴿ وكفّلَها زكريَّا ﴾ أي بسبب غلبه لهم في القرعة كما قال تعالى : ﴿ ذٰلِكَ مِنْ أَنْباءِ الغَيبِ نُوحِيهِ إليْكَ ،وما كُنتَ لَدَيْهِم إذْ يُلقُونَ أقْلامَهُم أيُّهم يَكْفُلُ مَريمَ وما كُنْتَ لَديْهِم إذْ يَخْتَصِمونَ ﴾ [1] . قالوا : وذلك أن كلا منهم ألقي قلمه معروفاً به . ثم حملوها ووضعوها في موضع وأمروا غلاماً لم يبلغ الحنث فأخرج واحداً منها وظهر قلم زكريا عليه السلام . فطلبوا أن يقترعوا مرة ثانية وأن يكون ذلك بأن يلقوا أقلامهم في النهر فأيهم جرى قلمه على خلاف جرية الماء فهو الغالب ففعلوها فكان قلم زكريا هو الذي جرى على خلاف جرية الماء ، وسارت أقلامهم مع الماء ثم طلبوا منه أن يقترعوا ثالثة فأيهم جرى قلمه مع الماء ويكون بقية الأقلام قد انعكس سيرها صعداً فهو الغالب ففعلوا فكان زكريا هو الغالب لهم فكفلها إذا كان أحق بها شرعاً وقدراً لوجوه عديدة .

قال الله تعالي : ﴿ كلَّما دَخَل عَليهَا زَكريَّا المحْرابَ وجَدَ عِنْدَها رِزْقاً ، قالَ يامَريمُ أنّي لَكِ هٰذا ، قالَتْ هُو مِنْ عِندِ اللهِ ، إنَّ اللهَ يرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بغَيْرِ حِسابٍ ﴾ قال المفسرون : اتخذ لها زكريا مكاناً شريفاً من المسجد لايدخله سواها ، فكانت تعبد الله فيه وتقوم بما يجب عليها من سدانة البيت إذا جاءت نوبتها ، وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها ، حتى صارت يضرب بها المثل بعبادتها في بني إسرائيل ،واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والصفات الشريفة ، حتى إنه كان نبي الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقاً غريباً في غير أوانه . فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف فيسألها ﴿ أنّى لَكِ هٰذا ﴾ فتقول : ﴿ هُوَ مِنْ عِندَ اللهِ ﴾ أي رزق رزقنيه الله ﴿ إنَّ اللهَ يرْزقُ مَنْ يَشاءُ بغَيْرِ حِسابٍ ﴾

فعند ذلك وهنالك طمع زكريا في وجود ولد من صلبه وإن كان قد أسن وكبر ﴿ قالَ ربِّ هَبْ لِي مِنْ لَدنْكَ ذُرِّيةً طيِّبةً ، إنَّكَ سَميعُ الدُّعاءِ ﴾ [1] قال بعضهم : قال : يامن يرزق مريم الثمر في غير أوانه ، هب لي ولداً وإن كان في غير أوانه ، فكان من خبره وقضيته ماقدمنا ذكره في قصته .

---

(١) سورة آل عمران الآية ٤٤ .

﴿ وإذْ قالَتِ الملائكةُ يامَرْيمُ إنّ اللهَ اصْطفاكِ وطَهَّرَكِ واصْطَفاكِ علَى نِساءِ العَالَمينَ * يامَرْيمُ اقْنُتِي لرَبِّكِ واسْجُدِي وارْكَعِي مَعَ الرّاكِعِينَ * ذٰلكَ مِنْ أَنْباءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إليْكَ ، وما كنْتَ لَدَيْهِم إذْ يُلقُون أقْلامَهُم أيُّهمْ يكْفلُ مَرْيَمَ وما كنْتَ لَدَيْهِم إذْ يخْتَصِمونَ * إذْ قالَتِ الملائكةُ يامَرْيمُ إنّ اللهَ يُبشّرُكِ بكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ المسيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيمَ وَجيهاً في الدُّنْيا والآخِرةِ ومِنَ المقرَّبينَ * ويُكلِّمُ النَّاسَ في المهْدِ وكَهْلا ومِنَ الصَّالِحينَ * قالَتْ ربِّ أنَّى يَكونُ لِي وَلَدٌ ولَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ، قالَ كذٰلِكِ اللهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ ، إذا قَضَى أمْراً فإنّما يقُولُ لهُ كنْ فيَكونُ * ويُعلِّمهُ الكِتابَ والحِكْمةَ والتَّوراةَ والإنْجيلَ * ورَسُولاً إلَى بَني إسْرائيلَ أنّي قَدْ جِئْتُكُم بآيَةٍ مِنْ ربّكُمْ ، أنّي أخْلُقُ لَكُم مِنَ الطِّينِ كَهيْئَةِ الطَّيْرِ فأنْفُخُ فِيهِ فيَكونُ طَيراً بإذْنِ اللهِ ، وأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأبْرصَ وأُحْيِ المَوْتَى بإذنِ اللهِ ، وأُنبِّئُكُم بِما تأْكُلُونَ وما تَدَّخِرُونَ في بُيُوتِكُم ، إنّ في ذٰلكَ لآيةً لَكُم إنْ كنْتُم مؤْمِنينَ * ومُصدِّقاً لِما بَيْنَ يديَّ مِنَ التَّوراةِ ولأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذي حُرِّمَ عَلَيْكُم ، وجِئْتُكُمْ بآيةٍ مِنْ ربّكُم فاتَّقُوا اللهَ وأَطِيعُونِ * إنّ اللهَ ربِّي وربُّكُم فاعْبُدُوهُ ، هٰذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [1] .

يذكر تعالى أن الملائكة بشرت مريم باصطفاء الله لها من بين سائر نساء عالمي زمانها ، بأن اختارها لإيجاد ولد منها من غير أب وبشرت بأن يكون نبياً شريفاً ﴿ يُكلِّمُ النَّاسَ في المهْدِ ﴾ أي في صغره يدعوهم إلى عبادة الله وحده لاشريك له ،وكذلك في حال كهوليته ، فدل على أن يبلغ الكهولة ويدعو إلى الله فيها ، وأمرت بكثرة العبادة والقنوت والسجود والركوع لتكون أهلاً لهذه الكرامة ولتقوم بشكر هذه النعمة . فيقال إنها كانت تقوم في الصلاة حتي تفطرت قدماها رضي الله عنها ورحمها ورحم أمها وأباها .

فقول الملائكة : ﴿ يامَرْيمُ إنّ اللهَ اصْطَفاكِ ﴾ أي اختارك واجتباك ﴿ وطَهَّرَكِ ﴾ أي من الأخلاق الرذيلة وأعطاك الصفات الجميلة ﴿ واصْطَفاكِ علَى نِساءِ العَالَمينَ ﴾ يحتمل أن يكون المراد عالمي زمانها كقوله لموسى : ﴿ إنّي اصْطَفيْتكَ علَى النَّاسِ ﴾ [2] وكقوله عن بني إسرائيل : ﴿ ولَقدِ اخْتَرْناهُم عَلَى عِلْمٍ علَى العَالَمينَ ﴾ [3] ومعلوم أن إبراهيم عليه السلام أفضل من موسى ،و أن محمداً ﷺ أفضل منهما ، وكذلك هذه الأمة أفضل من سائر الأمم قبلها وأكثر عدداً وأفضل علماً وأزكي عملاً من بني إسرائيل وغيرهم .

ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ واصْطَفاكِ علَى نِساءِ العَالَمينَ ﴾ محفوظ العموم فتكون أفضل

---

(١) سورة آل عمران آيات ٤٢ ـ ٥١ .
(٢) سورة الأعراف الآية ١٤٤ .
(٣) سورة الدخان الآية ٣٢

نساء الدنيا ممن كان قبلها أو جد بعدها لأنها إن كانت نبية على قول من يقول بنبوتها ونبوة سارة أم إسحاق ونبوة أم موسى محتجًا بكلام الملائكة والوحي إلى أم موسى ، كما يزعم ذلك ابن حزم وغيره ، فلا يمتنع على هذا أن تكون مريم أفضل من سارة أم موسى لعموم قوله : ﴿ واصْطَفاكِ علَى نِساءِ العَالَمينَ ﴾ إذ لم يعارضه غيره .. والله أعلم .

وأما قول الجمهور كما قد حكاه أبو الحسن الأشعري وغيره عن أهل السنة والجماعة من أن النبوة مختصة بالرجال ، وليس في النساء نبية فيكون أعلى مقامات مريم كما قال الله تعالى : ﴿ ما المسيحُ ابْنُ مَريَمَ إلاَّ رَسولٌ قَدْ خَلتْ مِنْ قَبلهِ الرُّسُل وأُمُّه صِدّيقةٌ ﴾ (١) فعلى هذا لا يمتنع أن تكون أفضل الصديقات المشهورات ممن كان قبلها وممن يكون بعدها .. والله أعلم . وقد جاء ذكرها مقروناً مع آسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ﷺ ورضي الله عنهن وأرضاهن .

وقد روي الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عديدة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خير نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « حسبك من نساء العالمين بأربع : مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ،وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد » .

ورواه الترمذي عن أبي بكر بن زنجويه ، عن عبد الرزاق به وصححه ، ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازي وابن عساكر من طريق تميم بن زياد ، كلاهما عن أبي جعفر الرازي ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « خير نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد رسول الله » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، قال : كان أبي هريرة يحدث أن النبي ﷺ قال : « خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه لزوج في ذات يده» قال أبو هريرة: ولم تركب مريم بعيراً قط.

(٢) سورة المائدة الآية ٧٥ .

وقد رواه مسلم في صحيحه عن محمد بن رافع وعبد بن حميد ، كلاهما عن عبد الرزاق به .

وقال أحمد : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني موسى بن علي . سمعت أبي يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرأفه بزوج على قلة ذات يده » قال أبو هريرة : وقد علم رسول الله ﷺ أن ابنة عمران لم تركب الإبل .

تفرد به وهو على شرط الصحيح . ولهذا الحديث طرق أخر عن أبي هريرة .

وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا داود بن أبي الفرات ، عن علباء ابن أحمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : خط رسول الله ﷺ في الأرض أربع خطوط فقال : « أتدرون ما هذا » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله ﷺ : « أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون » ورواه النسائي من طرق عن داود بن أبي هند .

وقد رواه ابن عساكر من طريق أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث ، حدثنا يحيي بن حاتم العسكري : أنبأنا بشر بن مهران بن حمدان ، حدثنا محمد بن دينار ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « حسبك منهن أربع سيدات نساء العالمين : فاطمة بنت محمد ، وخديجة بنت خويلد ، وآسية بنت مزاحم ، ومريم بنت عمران » .

وقال أبو القاسم البغوي : حدثنا وهب بن بقية ، حدثنا خالد بن عبد الله الواسطي ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن عائشة ، أنها قالت لفاطمة : أرأيت حين أكببت على رسول الله ﷺ فبكيت ثم ضحكت ؟ قالت : أخبرني أنه ميت من وجعه هذا فبكيت ، ثم أكببت عليه فأخبرني أني أسرع أهله لحوقاً به وأني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران فضحكت .

وأصل هذا الحديث في الصحيح . وهذا إسناد على شرط مسلم وفيه أنها أفضل الأربع المذكورات .

وهكذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد : حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير ، عن يزيد ـ هو ابن أبي زياد ـ عن عبد الرحمن بن أبي نعم ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران » إسناد حسن وصححه الترمذي ولم يخرجوه ، وقد روي نحوه من حديث علي بن أبي طالب ولكن في إسناده ضعف .

والمقصود أن هذا يدل على أن مريم وفاطمة أفضل هذه الأربع ، ثم يحتمل الاستثناء أن تكون مريم أفضل من فاطمة ويحتمل أن يكونا على السواء في الفضيلة .

ولكن ورد حديث إن صح عين الاحتمال الأول فقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر : أنبأنا أبو الحسين بن الفراء وأبو غالب وأبو عبد الله ابنا البنا ، قالوا : أنبأنا أبو جعفر بن المسلمة ، أنبأنا أبو طاهر المخلص ، حدثنا أحمد بن سليمان ، حدثنا الزبير هو ابن بكار ، حدثنا محمد بن الحسن ، عن عبد العزيز بن محمد ، عن موسى بن عقبة عن كريب ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « سيدة نساء أهل الجنة مريم بنتُ عمران ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون » .

فإن كان هذا اللفظ محفوظاً بثم التي للترتيب فهو مبين لأحد الاحتمالين اللذين دل عليهما الاستثناء ، وتقدم على ما تقدم من الألفاظ التي وردت بواو العطف التي لاتقتضي الترتيب ولا تنفيه .. والله أعلم .

وقد روى هذا الحديث أبو حاتم الرازي عن داود الجعفري عن عبد العزيز بن محمد وهو الدراوردي ، عن إبراهيم عن عقبة ، عن كريب ، عن ابن عباس مرفوعاً ، فذكره بواو العطف لابثم الترتيبية ، فخالفه إسناداً ومتناً .. فالله أعلم .

فأما الحديث الذي رواه ابن مردويه من حديث شعبة ، عن معاوية بن قرة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث : مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » وهكذا الحديث الذي رواه الجماعة إلا أبا داود من طرق ، عن شعبة ، عن عمرو ابن مرة ، عن مرة الهمداني ، عن أبي موسى الأشعري ، قال قال رسول الله ﷺ : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » .

فإنه حديث صحيح كما ترى اتفق الشيخان على إخراجه ، ولفظه يقتضي حصر الكمال في النساء في مريم وآسية ، ولعل المراد بذلك في زمانها فإن كلا منهما كفلت نبيًا في حال صغره ،

فآسية كفلت موسى الكليم ، ومريم كفلت ولدها عبد الله ورسوله ، فلا ينفي كمال غيرهما في هذه الأمة كخديجة وفاطمة .

فخديجة خدمت رسول الله ﷺ قبل البعثة خمسة عشر سنة وبعدها أزيد من عشر سنين ، وكانت له وزير صدق بنفسها ومالها ، رضي الله عنها وأرضاها .

وأما فاطمة بنت رسول الله ﷺ فإنها خصت بمزيد فضيلة على أخواتها لأنها أصيبت برسول الله ﷺ وبقية أخواتها متن في حياة النبي ﷺ .

وأما عائشة فإنها كانت أحب أزواج رسول الله ﷺ إليه ولم يتزوج بكراً غيرها ، ولا يعرف في سائر النساء في هذه الأمة - بل ولا في غيرها - أعلم منها ولا أفهم ، وقد غار الله لها حين قال لها أهل الإفك ماقالوا فأنزل الله براءتها من فوق سبع سموات ، وقد عمرت بعد رسول الله ﷺ قريباً من خمسين سنة تبلغ عنه القرآن والسنة وتفتي المسلمين وتصلح بين المختلفين وهي أشرف أمهات المؤمنين حتى خديجة بنت خويلد أم البنات والبنين في قول طائفة من العلماء السابقين واللاحقين ، والأحسن الوقف فيهما رضي الله عنهما ، ومساذاك إلا لأن قوله ﷺ : « وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » يحتمل أن يكون عاماً بالنسبة إلى المذكورات وغيرهن ويحتمل أن يكون عاماً بالنسبة إلى ماعدا المذكورات .. والله أعلم .

والمقصود هاهنا ذكر مايتعلق بمريم بنت عمران عليها السلام ، فإن الله طهرها واصطفاها على نساء عالمي زمانها ، ويجوز أن يكون تفضيلها على النساء مطلقاً كما قدمنا . وقد ورد في حديث أنها تكون من أزواج النبي ﷺ في الجنة هي وآسية بنت مزاحم . وقد ذكرنا في التفسير عن بعض السلف أنه قال ذلك واستأنس بقوله : ﴿ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً ﴾ [1] قال : فالثيب آسية ومن الأبكار مريم بنت عمران . وقد ذكرناه في آخر سورة التحريم .. فالله أعلم .

قال الطبراني : حدثنا عبد الله بن ناجية ، حدثنا محمد بن سعد العوفي ، حدثنا أبي ، أنبأنا عمي الحسين ، حدثنا يونس بن نفيع ، عن سعد بن جنادة ، هو العوفي ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى » .

رواه ابن جعفر العقيلي من حديث عبد النور به وزاد فقلت : هنيئاً لك يارسول الله . ثم

---

(١) سورة التحريم الآيـة.

قال العقيلي : وليس بمحفوظ .

وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الحسن ، عن يعلى بن المغيرة عن أبي دواد ، قال : دخل رسول الله ﷺ على خديجة وهي في مرضها الذي توفيت فيه فقال لها : « بالكره مني ما أري منك ياخديجة ، وقد يجعل الله في الكره خيراً كثيراً ، أما علمت أن الله قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون » ؟ قالت : وقد فعل الله بك ذلك يارسول الله ؟ قال : « نعم » قالت : بالرفاء والبنين .

وروى ابن عساكر من حديث محمد بن زكريا الغلابي ، حدثنا العباس بن بكار ، حدثنا أبو بكر الهذلي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ دخل على خديجة وهي في مرض الموت فقال : « ياخديجة .. إذا لقيت ضرائرك فأقرئيهن مني السلام » قالت : يارسول الله .. وهل تزوجت قبلي ؟ قال : « لا ، ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكلثم أخت موسى » .

وروى ابن عساكر من طريق سويد بن سعيد ، حدثنا محمد بن صالح بن عمر ، عن الضحاك ومجاهد ، عن ابن عمر ، قال : نزل جبريل إلى رسول الله ﷺ بما أرسل به وجلس يحدث رسول الله ﷺ إذ مرت خديجة فقال جبريل : من هذه يامحمد ؟ قال : « هذه صديقة أمتي » قال جبريل : معي إليها رسالة من الرب عز وجل يقرئها السلام ويبشرها ببيت في الجنة من قصب بعيد من اللهب لانصب فيه ولا صخب . قالت : الله السلام ومنه السلام والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته على رسول الله ، وما ذلك البيت الذي من قصب ؟ قال : « لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم ، وهما من أزواجي يوم القيامة » .

وأصل السلام على خديجة من الله وبشارتها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا وصب في الصحيح ، ولكن هذا السياق بهذه الزيادات غريب جدًّا ، وكل من هذه الأحاديث في أسانيدها نظر .

وروى ابن عساكر من حديث أبي زرعة الدمشقي ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني معاوية ، عن صفوان بن عمرو ، عن خالد بن معدان عن كعب الأحبار أن معاوية سأله عن الصخرة ـ يعني صخرة بيت المقدس ـ فقال : الصخرة على نخلة ، والنخلة على نهر من أنهار

الجنة ، وتحت النخلة مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم ينظمان سموط أهل الجنة حتي تقوم الساعة .

ثم رواه من طريق إسماعيل ، عن عياش ، عن ثعلبة بن مسلم ، عن مسعود ، عن عبد الرحمن ، عن خالد بن معدان ، عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ بمثله .

وهذا منكر من هذا الوجه بل هو موضوع .

وقد رواه أبو زرعة عن عبد الله بن صالح ، عن معاوية عن مسعود بن عبد الرحمن ، عن ابن عابد ، أن معاوية سأل كعباً عن صخرة بيت المقدس فذكره .

قال الحافظ ابن عساكر : وكونه من كلام كعب الأحبار أشبه .

قلت : وكلام كعب الأحبار هذا إنما تلقاه من الإسرائيليات التي منها ماهو مكذوب مفتعل وضعه بعض زنادقتهم أو جهالهم . وهذا منه .. والله أعلم .

ميلاد عيسى ابن مريم

قال الله تعالى : ﴿ واذْكُر في الكِتابِ مَرْيمَ إذْ انْتبذَتْ مِنْ أهْلِهَا مَكاناً شَرْقيًّا * فاتَّخذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً فأرْسَلنا إليهَا رُوحَنا فتمَثَّل لَها بَشراً سَويًّا * قالَتْ إنّي أعُوذُ بالرَّحْمٰنِ مِنْك إنْ كنْت تَقيًّا * قالَ إنَّما أنا رَسُولُ ربِّك لأهَبَ لَكِ غُلاماً زكيًّا * قالتْ أنَّي يَكونُ لِي غُلامٌ ولَمْ يمْسَسْنِي بَشرٌ ولَمْ أكُ بَغيًّا * قالَ كذٰلكَ قالَ ربُّكِ هُوَ عليَّ هيِّنٌ ، ولنَجْعلهُ آيةً للنّاسِ ورَحْمةً منّا ، وكانَ أمْراً مَقْضيًّا * فَحَملتْهُ فانْتَبذتْ بهِ مَكاناً قَصيًّا * فأجَاءَهَا المَخاضُ إلَى جِذْعِ النَّخلةِ قالَتْ ياليْتَني مِتُّ قَبْل هٰذا وكنْتُ نَسْياً مَنْسيًّا * فَنادَاها مِنْ تَحْتِها ألاَّ تَحْزني قَدْ جَعَل رَبُّكِ تَحْتَك سَرِيًّا * وهُزي إليْكِ بِجِذْعِ النَّخلةِ تُساقِطْ عَليكِ رُطباً جَنيًّا * فكُلي واشْرَبي وقرِّي عَيْناً ، فإمَّا تَرينَّ مِنَ البَشَرِ أحَداً فقُولِي إنِّي نَذرْتُ للرَّحْمٰن صَوْماً فلنْ أُكلِّمَ اليَومَ إنْسيًّا * فأتَتْ بهِ قَومَها تَحْمِلهُ ، قالُوا يامَرْيَمُ لَقدْ جِئتِ شَيئاً فَريًّا * ياأُخْتَ هَارونَ ما كانَ أبُوكِ امْرأَ سَوْءٍ وما كانَتْ أُمكِ بَغيًّا * فأشَارَتْ إليهِ ، قالُوا كَيفَ نُكلِّم مَنْ كَانَ في المَهْدِ صَبِيًّا * قالَ إنِّي عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الكِتابَ وجَعَلني نَبيًّا * وجَعَلني مُباركاً أينَ ما كُنتُ وأوْصاني

بالصَّلاةِ والزَّكاةِ مادُمتُ حيًّا * وبَرًّا بوَالِدَتي ولَمْ يجْعَلني جَبَّاراً شَقِيًّا * والسَّلامُ عليَّ يَومَ وُلدْتُ ويَومَ أمُوتُ ويَومَ أُبعثُ حَيًّا * ذلكَ عِيسَى ابنُ مَريمَ قولَ الحقِّ الذي فِيهِ يمْتَرُونَ * ما كانَ للهِ أنْ يتَّخِذ مِنْ وَلدٍ ، سُبْحانهُ ، إذا قَضَى أمْراً فإنَّما يقُولُ لهُ كنْ فَيكُونَ * وإنَّ اللهَ ربِّي وربُّكُمْ فاعْبدُوهُ ، هٰذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ * فاخْتَلفَ الأحْزابُ مِنْ بَيْنِهِم ، فَويلٌ للَّذِينَ كَفرُوا مِنْ مَشْهدِ يَومٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) .

ذكر تعالى هذه القصة بعد قصة زكريا التي هي كالمقدمة لها والتوطئة قبلها ، كما ذكر في سورة آل عمران ،. قرن بينهما في سياق واحد ، وكما قال في سورة الأنبياء : ﴿ وَزكرِيَّا إذْ نادَى رَبَّه ربِّ لاتَذَرْني فَرداً وأنْتَ خَيرُ الوَارِثِينَ * فاسْتَجبْنا لهُ ووَهبْنا لهُ يَحْيَى وأصْلَحنا لَهُ زَوجهُ ، إنَّهمْ كانُوا يُسارعُونَ في الخَيْراتِ ويدْعُونَنا رَغباً ورَهباً ، وكانُوا لَنا خاشِعِينَ * والتي أحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخنا فِيها مِنْ رُوحِنا وجَعلْناهَا وابْنَها آيةً للعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

وقد تقدم أن مريم لما جعلتها أمها محررة تخدم بيت المقدس ، وأنه كفلها زوج أختها أو خالتها نبي ذلك الزمان زكريا عليه السلام ، وأنه اتخذ لها محراباً وهو المكان الشريف من المسجد ، لايدخله أحد عليها سواه ، وأنها لما بلغت اجتهدت في العبادة فلم يكن في ذلك الزمان نظيرها في فنون العبادات ، وظهر عليها من الأحوال ما غبطها به زكريا عليه السلام ، وأنها خاطبتها الملائكة بالبشارة لها باصطفاء الله لها وبأنه سيهب لها ولداً زكيًّا يكون نبيًّا كريماً طاهراً مكرماً مؤيداً بالمعجزات ، فتعجبت من وجود ولد من غير والد ، لأنها لازوج لها ، ولا هي ممن تتزوج فأخبرتها الملائكة بأن الله قادر على ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، فاستكانت لذلك وأنابت وسلمت لأمر الله ، وعلمت أن هذا فيه محنة عظيمة لها ، فإن الناس يتكلمون فيها بسببه ، لأنهم لايعلمون حقيقة الأمر ، وإنما ينظرون إلى ظاهر الحال من غير تدبر ولا تعقل .

وكانت إنما تخرج من المسجد في زمن حيضها أو لحاجة ضرورية لابد منها من استقاء ماء أو تحصيل غذاء ، فبينما هي يوماً قد خرجت لبعض شئونها و ﴿ انْتَبذَتْ ﴾ أي انفردت وحدها شرقي المسجد الأقصى إذا بعث الله إليها الروح الأمين جبريل عليه السلام ﴿ فَتَمثَّل لَها بَشراً سَوِيًّا ﴾ فلما رأته ﴿ قالَتْ إنِّي أعُوذُ بالرَّحْمٰنِ مِنْكَ إنْ كُنتَ تَقيًّا ﴾ قال أبو العالية : علمت أن التقي ذو نهية . وهذا يرد قول من زعم أنه كان في بني إسرائيل رجل فاسق مشهور بالفسق

(١) سورة مريم آيات ١٦ ـ ٣٧ .
(٢) سورة الأنبياء آيات ٨٩ ـ ٩١ .

اسمه « تقي » فإن هذا قول باطل بلا دليل ، وهو من أسخف الأقوال .

﴿ قالَ إنَّما أنَا رَسُولُ ربِّكِ ﴾ أي خاطبها الملك ﴿ قالَ إنَّما أنَا رَسُولُ ربِّكَ ﴾ أي لست بشر ولكني ملك بعثني الله إليك ﴿ لأهَبَ لَكِ غُلاماً زَكيًّا ﴾ أي ولداً زكيًّا .

﴿ قالَتْ أنَّى يَكونُ لِي غُلامٌ ﴾ أي كيف يكون لي غلام أو يوجد لي ولد ﴿ ولَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ولَم أكُ بَغيًّا ﴾ أي ولست ذات زوج وما أنا ممن يفعل الفاحشة ﴿ قالَ كذٰلِكِ قالَ ربُّكِ هُو عليَّ هَيِّنٌ ﴾ أي فأجابها الملك عن تعجبها من وجود ولد منها والحالة هذه قائلاً : ﴿ كذٰلكِ قالَ ربُّكِ ﴾ أي وعد أنه سيخلق منك غلاماً ولست بذات بعل ، ولا تكونين ممن تبغين ﴿ هوَ عَليَّ هَيِّنٌ ﴾ أي وهذا سهل عليك ويسير لديه ، فإنه على مايشاء قدير .

وقوله : ﴿ ولنَجْعلهُ آيةً للنَّاسِ ﴾ أي ولنجعل خلقه والحالة هذه دليلاً على كمال قدرتنا على أنواع الخلق ، فإنه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى . وقوله ﴿ ورَحْمَةً منَّا ﴾ أي نرحم به العباد بأن يدعوهم إلى الله في صغره وكبره في طفوليته وكهوليته ، بأن يفردوا الله بالعبادة وحده لاشريك له وينزهوه عن اتخاذ الصاحبة والأولاد والشركاء والنظراء والأضداد والأنداد .

وقوله : ﴿ وكانَ أمراً مَقْضيًّا ﴾ يحتمل أن يكون هذا من تمام كلام جبريل معها ، يعني أن هذا أمر قضاه الله وحتمه وقدره وقرره ، وهذا معنى قول محمد بن إسحاق واختياره ابن جرير ، ولم يحك سواه .. والله أعلم .

ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ وكانَ أمْراً مقْضيًّا ﴾ كناية عن نفخ جبريل فيها كما قال تعالى : ﴿ ومَرْيَم ابْنَةَ عِمْرانَ الَّتِي أحْصَنَتْ فَرْجَها فَنفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا ﴾ [1]

فذكر غير واحد من السلف أن جبريل نفخ في جيب درعها فنزلت النفخة إلى فرجها فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع بعلها . ومن قال إنه نفخ في فمها أو أن الذي كان يخاطبها هو الروح الذي ولج فيها من فمها ، فقوله خلاف مايفهم من سياقات هذه القصة في محالها من القرآن ، فإن هذا السياق يدل على أن الذي أرسل إليها ملك من الملائكة وهو جبريل عليه السلام ، وأنه إنما نفخ فيها ولم يواجه الملك الفرج بل نفخ في جيبها فنزلت النفخة

(١) سورة التحريم الآية ١٢ .

إلى فرجها فانسلكت فيه . كما قال تعالى : ﴿ فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ روحِنا ﴾ فدل على أن النفخة ولجت فيه لا في فمها ، كما رواه السدي بإسناده عن بعض الصحابة .

ولهذا قال تعالى : ﴿ فَحَمَلَتْهُ ﴾ أي فحملت ولدها ﴿ فانْتَبذت بهِ مَكاناً قصيًّا ﴾ وذلك لأن مريم عليها السلام لما حملت ضاقت به ذرعاً ، وعلمت أن كثيراً من الناس سيكون منهم كلام في حقها ، فذكر غير واحد من السلف منهم وهب بن منبه أنها لما ظهرت عليها مخايل الحمل كان أول من فطن لذلك رجل من عباد بني إسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب النجار ، وكان ابن خالها فجعل يتعجب من ذلك عجباً شديداً ، وذلك لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وعبادتها وهو مع ذلك يراها حبلى وليس لها زوج ، فعرض لها ذات يوم في الكلام فقال : يامريم .. هل يكون زرع من غير بذر ؟ قالت : نعم ، فمن خلق الزرع الأول . ثم قال : فهل يكون ولد من غير ذكر ؟ قالت : نعم إن الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى . قال لها : فأخبريني خبرك . فقالت : إن الله بشرني ﴿ بكلمةٍ منْهُ اسْمهُ المسيحُ عيسَى ابنُ مَرْيَمَ وَجيهاً في الدُّنيا والآخِرَة ومنَ المقرَّبينَ * ويُكلِّمُ النَّاس في المهْدِ وكَهْلا ومِنَ الصَّالِحينَ ﴾ [1] .

ويروي مثل هذا عن زكريا عليه السلام أنه سألها فأجابته بمثل هذا .. والله أعلم .

وذكر السدي بإسناده عن الصحابة : أن مريم دخلت يوماً على أختها فقالت لها أختها : أشعرت أنى حبلى ؟ فقالت مريم : وشعرت أيضاً أني حبلي ؟ فاعتنقتها وقالت لها أم يحيى : إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك وذلك قوله : ﴿ مُصدِّقاً بِكَلمةٍ مِنَ اللهِ ﴾ [2] ومعنى السجود هاهنا الخضوع والتعظيم ، كالسجود عند المواجهة للسلام كما كان في شرع من قبلنا ، وكما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم .

وقال أبو القاسم : قال مالك : بلغني أن عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا ابنا خالة وكان حملهما جميعاً معاً ، فبلغني أن أم يحيى قالت لمريم : إني أري مافي بطني يسجد لما في بطنك . قال مالك : أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام ، لأن الله تعالى جعله يحيي الموتي ويبرئ الأكمه والأبرص . رواه ابن أبي حاتم .

وروى عن مجاهد قال : قالت مريم : كنت إذا خلوت حدثني وكلمني وإذا كنت بين الناس سبَّح في بطني .

---

(١) سورة آل عمران آيتا ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٣٩ .

ثم الظاهر أنها حملت به تسعة أشهر كما تحمل النساء ويضعن لميقات حملهن ووضعهن ، إذ لو كان خلاف ذلك لذكر .

وعن ابن عباس وعكرمة أنها حملت به ثمانية أشهر ، وعن ابن عباس ما هو إلا أن حملت به فوضعته ، قال بعضهم : حملت به تسعَ ساعات واستأنسوا لذلك بقوله : ﴿ **فحمَلَتْه فانْتَبذَت به مَكاناً قَصِيًّا * فأَجاءَهَا المخاضُ إلَى جِذْعِ النَّخْلةِ** ﴾ .

والصحيح أن تعقيب كل شيء بحسبه ، كقوله : ﴿ **فَتُصْبِحُ الأرْضُ مُخْضَرَّةً** ﴾ وكقوله : ﴿ **ثمَّ خَلَقنا النُّطفةَ علقةً فَخلقْنا العَلقةَ مضْغَةً فَخلقْنا المضْغَةَ عِظاماً فَكَسَونا العِظامَ لَحْماً ثمَّ أنْشأْناهُ خَلقاً آخَرَ ، فَتَبارَكَ اللهُ أحْسَنُ الخَالِقينَ** ﴾ [1] ومعلوم أن بين كل حالين أربعين يوماً كما ثبت في الحديث المتفق عليه .

قال محمد بن إسحاق : شاع واشتهر في بني إسرائيل أنها حامل ، فما دخل على أهل بيت ما دخل على آل بيت زكريا .

قال : واتهمها بعض الزنادقة بيوسف الذي كان يتعبد معها في المسجد ، وتوارت عنهم مريم واعتزلتهم وانتبذت مكاناً قَصيًّا . وقوله : ﴿ **فأَجاءَها المخَاضُ إلَى جِذْعِ النَّخْلةِ** ﴾ أي فألجأها واضطرها الطلق إلى جذع النخلة ،وهو بنص الحديثَ الذي رواه النسائي بإسناد لابأس به عن أنس مرفوعاً والبيهقي بإسناد وصححه عن شداد بن أوس مرفوعاً أيضاً ببيت لحم الذي بني عليه بعض ملوك الروم فيما بعد على ماسنذكره هذا البناء المشاهد الهائل .

﴿ **قالَتْ يالَيْتني مِتُّ قَبْلَ هٰذا وكنْتُ نَسْياً منْسِيًّا** ﴾ فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتن ،وذلك أنها علمت أن الناس يتهمونها ولا يصدقونها بل يكذبونها حين تأتيهم بغلام على يدها ، مع أنها قد كانت عندهم من العابدات الناسكات المجاورات في المسجد المنقطعات إليه المعتكفات فيه ، ومن بيت النبوة والديانة فحملت بسبب ذلك من الهم ماتمنت أن لو كانت ماتت قبل هذا الحال أو كانت ﴿ **نَسْياً منْسِيًّا** ﴾ أي لم تخلق بالكلية .

وقوله : ﴿ **فَنادَاها مِنْ تَحْتِها** ﴾ وقرئ مِنْ ﴿ **تَحْتِها** ﴾ على الخفض .

---

(١) سورة المؤمنون الآية ١٤ .

وفي المضمر قولان ، أحدهما أنه جبريل . قاله العوفي عن ابن عباس قال : ولم يتكلم عيسى إلا بحضرة القوم . وبهذا قال سعيد بن جبير وعمر بن ميمون والضحاك والسدي وقتادة . وقال مجاهد والحسن وابن زيد وسعيد بن جبير في رواية : هو ابنها عيسى ، واختاره ابن جرير .

وقوله : ﴿ أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ قيل النهر وإليه ذهب الجمهور . وجاء فيه حديث رواه الطبراني لكنه ضعيف واختاره ابن جرير وهو الصحيح وعن الحسن والربيع بن أنس وابن أسلم وغيرهم أنه ابنها . والصحيح الأول لقوله : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا ﴾ فذكر الطعام والشراب ولهذا قال : ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً ﴾ ..

ثم قيل : كان جذع النخلة يابساً وقيل كانت نخلة مثمرة .. فالله أعلم . ويحتمل أنها كانت نخلة ، لكنها لم تكن مثمرة إذا ذاك لأن ميلاده كان في زمن الشتاء وليس ذاك وقت ثمر ،وقد يفهم ذلك من قوله تعالى على سبيل الامتنان ﴿ تَسَاقَطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا ﴾ .

قال عمرو بن ميمون : ليس شيء أجود للنفساء من التمر والرطب ثم تلا هذه الآية . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا على بن الحسين حدثنا شيبان ، حدثنا مسرور بن سعيد التميمي ، حدثنا عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي عن عروة بن رويم عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : « أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم وليس من الشجر شيء يلقح غيرها » . وقال رسول الله ﷺ : « أطعموا نساءكم الولد الرطب ، فإن لم يكن رطب فتمر ، وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران » .

وكذا رواه أبو يعلى في مسنده عن شيبان بن فروخ ، عن مسروق بن سعيد ، وفي رواية مسرور بن سعد ، والصحيح مسرور بن سعيد التميمي ، أورد له ابن عدي هذا الحديث عن الأوزاعي به ، ثم قال : وهو منكر الحديث ولم أسمع بذكره إلا في هذا الحديث .

وقال ابن حبان : يروى عن الأوزاعي المناكير الكثيرة التي لايجوز الاحتجاج بمن يرويها .

قوله : ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ وهذا من تمام كلام الذي ناداها من تحتها قال : ﴿ كُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً ، فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً ﴾ [1] أي فإن رأيت أحداً من الناس ﴿ فَقُولِي ﴾ له أي بلسان الحال

(١) سورة مريم الآية ٢٦ .

والإشارة ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْماً ﴾ أي صمتاً ،وكان من صومهم في شريعتهم ترك الكلام والطعام . قاله قتادة والسدي وابن أسلم ، ويدل على ذلك قوله : ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ فأما في شريعتنا فيكره للصائم صمت يوم إلى الليل .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ، قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا * يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ [1] ذكر كثير من السلف ممن ينقل عن أهل الكتاب أنهم لما افتقدوها من بين أظهرهم ذهبوا في طلبها فمروا على محلتها والأنوار حولها ، فلما واجهوها وجدوا معها ولدها فقالوا لها : ﴿ يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا ﴾ أي أمراً عظيماً منكراً . وفي هذا الذي قالوه ، مع أنه كلام ينقض أوله آخره وذلك لأن ظاهر سياق القرآن العظيم يدل على أنها حملته بنفسها وأتت به قومها وهي تحمله . قال ابن عباس : وذلك بعد ماتعالت من نفاسها بعد أربعين يوماً .

والمقصود أنهم لما رأوها تحمل معها ولدها ﴿ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا ﴾ والفرية هي الفعلة المنكرة العظيمة من الفعال والمقال .

ثم قالوا لها : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ قيل شبهوها بعابد من عباد زمانهم كانت تساميه في العبادة ، وكان اسمه هارون . قاله سعيد بن جبير . وقيل أرادوا بهارون أخا موسى شبهوها به في العبادة ، وأخطأ محمد بن كعب القرظي في زعمه أنها أخت موسى وهارون نسباً فإن بينهما من الدهور الطويلة ما لا يخفى على أدنى من عنده من العلم مايرده عن هذا القول الفظيع ، وكأنه غره أن في التوراة أن مريم أخت موسى وهارون ضربت بالدف يوم نجى الله موسى وقومه وأغرق فرعون وملأه ، فاعتقد أن هذه هي هذه .

وهذا في غاية البطلان والمخالفة للحديث الصحيح مع نص القرآن كما قررناه في التفسير مطولاً ولله الحمد والمنة .

وقد ورد في الحديث الصحيح الدال على أنه قد كان لها أخ اسمه هارون وليس في ذكر قصة ولادتها وتحرير أمها لها مايدل على أنها ليس لها أخ سواها .. والله أعلم .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن إدريس ، سمعت أبي يذكره ، عن سماك ، عن علقمة ابن وائل ، عن المغيرة بن شعبة قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران فقالوا : أرأيت

---

(١) سورة مريم الآية آيتا ٢٧ ، ٢٨ .

ماتقرءون : ﴿ يا أختَ هارُونَ ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ؟ قال فرحت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم » .

وكذا رواه مسلم والنسائي والترمذي من حديث عبد الله بن إدريس ، وقال الترمذي : حسن صحيح غريب لانعرفه إلا من حديثه ، وفي رواية : « ألا أخبرتهم أنهم كانوا يتسمون بأسماء صالحيهم وأنبيائهم » .

وذكر قتادة وغيره أنهم كانوا يكثرون من التسمية بهارون حيث قيل إنه حضر بعض جنائزهم بشر كثير منهم ممن يسمى بهارون أربعون ألفاً .. فالله أعلم .

والمقصود أنهم قالوا : ﴿ يا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ ودل الحديث على أنها قد كان لها أخ نسبي اسمه هارون وكان مشهوراً بالدين والصلاة والخير ،ولهذا قالوا : ﴿ ما كانَ أبُوكِ امْرأً سَوْءٍ وما كانَتْ أمّكِ بَغيًّا ﴾ أي لست من بيت هذا شيمتهم ولا سجيتهم لا أخوك ولا أمك ولا أبوك . فاتهموها بالفاحشة العظمى ورموها بالداهية الدهياء .

فذكر ابن جرير في تاريخه أنهم اتهموا بها زكريا وأرادوا قتله ففر منهم فلحقوه وقد انشقت له الشجرة فدخلها وأمسك إبليس بطرف ردائه فنشره فيها كما قدمناه ، ومن المنافقين من اتهمها بابن خالها يوسف بن يعقوب النجار .

فلما ضاق الحال وانحصر المجال وامتنع المقال ، عظم التوكل على ذي الجلال ، ولم يبقي إلا الإخلاص والاتكال ﴿ فأشَارَت إليْهِ ﴾ أي خاطبوه وكلموه فإن جوابكم عليه وما تبغون من الكلام لديه ، فعندها ﴿ قالُوا ﴾ من كان منهم جباراً شقيًا : ﴿ كَيفَ نُكلّم مَنْ كانَ في المهْدِ صَبِيًّا ﴾ أي كيف تحيلينا في الجواب على صبي صغير لايعقل الخطاب ، وهو مع ذلك رضيع في مهده ولا يميز بين محض وزبده ، وما هذا منك إلا على سبيل التهكم بنا والاستهزاء والنقص لنا والازدراء إذ لاتردين علينا قولاً نطقيًا ، بل تحيلين في الجواب على من كان في المهد صبيًا .

فعندها : ﴿ قالَ إنّي عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الكِتابَ وجَعَلني نَبيًّا * وجَعَلني مُباركاً أينَ ما كنْتُ وأوْصاني بالصَّلاةِ والزَّكاةِ مادُمتُ حَيًّا * وبَرًّا بوَالِدَتي ولَمْ يَجْعلني جَباراً شَقِيًّا * والسَّلام عَليّ يَومَ وُلدْتُ ويَوْم أمُوتُ ويَوْم أُبعثُ حيًّا ﴾[1] .

---

(١) سورة مريم آيات ٣٠ ـ ٣٣ .

هذا أول كلام تفوه به عيسى ابن مريم ، فكان أول ماتكلم به أن ﴿ قالَ إنِّي عَبدُ اللهِ ﴾ اعترف لربه تعالى بالعبودية ،وأن الله ربه فنزه جناب الله عن قول الظالمين في زعمهم أنه ابن الله ، بل هو عبده ورسوله وابن أمته ، ثم برأ أمه مما نسبها إلية الجاهلون وقذفوها به ورموها بسببه بقوله :.﴿ آتانِيَ الكِتابَ وجَعَلنِي نَبيًّا ﴾ فإن الله لايعطي النبوة من هو كما زعموا لعنهم الله وقبحهم ، وكما قال تعالى : ﴿ وبكُفْرِهم وقَوْلهم عَلَى مَرْيَم بُهْتاناً عَظِيماً ﴾[1] وذلك أن طائفة من اليهود في ذلك الزمان قالوا : إنها حملت به من زنى في زمن الحيض ، لعنهم الله فبرأها الله من ذلك وأخبر عنها أنها صديقة واتخذ ولدها نبيًّا مرسلاً أحد أولي العزم الخمسة الكبار ولهذا قال : ﴿ وجَعَلني مُبَاركاً أيْنَ ما كنْتُ ﴾ وذلك أنه حيث كان دعا إلى عبادة الله وحده لاشريك له ونزه جنابه عن النقص والعيب من اتخاذ الولد والصاحبة تعالى وتقدس ﴿ وأوْصانِي بالصَّلاةِ والزَّكاةِ مادُمتُ حَيًّا ﴾ وهذه وظيفة العبيد في القيام بحق العزيز الحميد بالصلاة ،والإحسان إلى الخليقة بالزكاة ، وهي تشتمل على طهارة النفوس من الأخلاق الرذيلة وتطهير الأموال الجزيلة بالعطية للمحاويج على اختلاف الأصناف وقري الأضياف والنفقات على الزوجات والأرقاء والقرابات وسائر وجوه الطاعات وأنواع القربات .

ثم قال : ﴿ وبرًّا بوالدَتي ولَم يَجْعلنِي جَبَّاراً شَقيًّا ﴾ أي وجعلني براً بوالدتي وذلك أنه تأكد حقها عليه لتحض جهتها إذ لا والد له سواها ، فسبحان من خلق الخليقة وبرأها وأعطى كل نفس هداها . ﴿ ولَمْ يَجْعلنِي جَبَّاراً شَقيًّا ﴾ أي لست بفظ ولا غليظ ، ولا يصدر مني قول ولا فعل ينافي أمر الله وطاعته .

﴿ والسَّلامُ عَليَّ يَوم وُلدْتُ ويَومَ أمُوتُ ويَومَ أُبعثُ حَيًّا ﴾ وهذه المواطن الثلاثة التي تقدم الكلام عليها في قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام .

ثم لما ذكر تعالى قصته على الجلية وبين أمره ووضحه وشرحه قال : ﴿ ذلكَ عِيسَى ابنُ مَريَمَ قَولَ الحقّ الّذي فِيهِ يمْتَرونَ * ماكانَ للهِ أنْ يتَّخذَ مِنْ وَلدٍ سُبْحانهُ ، إذا قَضَى أمْراً فإنَّما يقُولُ لهُ كنْ فَيَكونُ ﴾[2] كما قال تعالى بعد ذكر قصته وما كان من أمره في آل عمران : ﴿ ذلكَ نَتْلوهُ عَليكَ مِنْ الآياتِ والذِّكْر الحَكِيم * إنّ مَثَل عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَل آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُراب ثُمّ قالَ لهُ كنْ فَيكُونُ * الحَقّ مِنْ ربِّكَ فَلا تَكَنْ مِنَ المُمْتَرينَ * فَمنْ حاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْد ما جَاءكَ مِنَ العِلْم فَقُل تَعالَوا نَدعُ أبْناءَنا وأبْناءَكم ونِساءَنا ونِساءَكُم وأنْفُسنا وأنْفُسَكم

(١) سورة النساء الآية ١٥٦ .

(٢) سورة مريم آيتا ٣٤ ، ٣٥ .

ثمّ نَبتَهِلْ فَنَجْعل لَعنَةَ اللهِ علَى الكَاذِبينَ * إنّ هٰذا لَهوَ القَصَص الحَق ، وما مِنْ إلٰه إلاّ الله ، وإنّ الله لَهوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ * فإنْ تَولّوا فإنّ اللهَ عَليمٌ بالمُفْسِدينَ ﴾ (١)

ولهذا لما قدم وفد نجران وكانوا ستين راكباً يرجع أمرهم إلى أربعة عشر منهم ، ويؤول أمر الجميع إلى ثلاثة هم أشرافهم وساداتهم وهم العاقب والسيد وأبو حارثة بن علقمة ، فجعلوا يناظرون في أمر المسيح فأنزل الله صدر سورة آل عمران في ذلك ، وبين أمر المسيح وابتداء خلقه وخلق أمه من قبله . وأمر رسوله بأن يباهلهم إن لم يستجيبوا له ويتبعوه ، فلما رأوا عينيها وأذنيها نكصوا وامتنعوا عن المباهلة وعدلوا إلى المسألة والموادعة ، وقال قائلهم وهو العاقب عبد المسيح : يامعشر النصارى .. لقد علمتم أن محمداً لنبي مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبيًّا قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وإنها للاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم ، فطلبوا ذلك من رسول الله ﷺ وسألوه أن يضرب عليهم جزية وأن يبعث معهم رجلاً أميناً ، فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح وقد بينا ذلك في تفسير آل عمران وقد بسطنا هذه القصة في السيرة النبوية .

والمقصود أن الله تعالى بين أمر المسيح فقال لرسوله : ﴿ ذٰلكَ عِيسَى ابنُ مَرْيم قَولَ الحَقّ الّذي فِيهِ يمْتَرونَ ﴾ يعني من أنه عبد مخلوق من امرأة من عباد الله ، ولهذا قال : ﴿ ما كانَ للهِ أنْ يتّخِذَ مِنْ وَلدٍ ، سُبْحانهُ ، إذا قَضَى أمْراً فإنّما يقُولُ لهُ كُنْ فيَكُونُ ﴾ أي لايعجزه شيء ولا يكرثه ولا يؤوده بل هو القدير الفعال لما يشاء ﴿ إنّما أمْرهُ إذَا أرَاد شَيئاً أنْ يقُولَ لهُ كُنْ فَيكونُ ﴾ (٢) وقوله : ﴿ وإنّ اللهَ رَبّي ورَبّكمْ فاعْبدوهُ ، هٰذا صِراطٌ مُسْتَقيمٌ ﴾ (٣) هو من تمام كلام عيسى لهم في المهد ، أخبرهم أن الله ربه وربهم وإلهه وإلههم ، وأن هذا هو الصراط المستقيم .

قال الله تعالى : ﴿ فاخْتلَفَ الأحْزابُ مِنْ بَينِهِم ، فَويلٌ للّذينَ كَفرُوا مِنْ مَشْهدِ يَومٍ عَظيمٍ ﴾ (٤) أي فاختلف أهل ذلك الزمان ومن بعدهم فيه .

---

(١) سورة آل عمران آيات ٥٨ ـ ٦٣ .

(٢) سورة يس الآية ٨٢ .

(٣) سورة مريم الآية ٣٦ .

(٤) سورة مريم الآية ٣٧ .

فمن قائل من اليهود : إنه ولد زِنْية ، واستمروا على كفرهم وعنادهم .

وقابلهم آخرون في الكفر فقالوا : هو الله ، وقال آخرون : هو ابن الله .

وقال المؤمنون : هو عبد الله ورسوله ، وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ،وهؤلاء هم الناجون المثابون والمؤيدون المنصورون ،ومن خالفهم في شيء من هذه القيود فهم الكافرون الضالون الجاهلون ، وقد توعدهم العلي العظيم الحكيم العليم بقوله : ﴿ فَويلٌ للذِينَ كفَرُوا مِنْ مَشْهَد يَومٍ عَظيمٍ ﴾ .

قال البخاري : حدثنا صدقة بن الفضل ، أنبأنا الوليد ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني عمير بن هانئ ، حدثني جنادة بن أبي أمية ، عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ماكان من العمل » .

قال الوليد : فحدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن عمير ، عن جنادة : وزاد : « من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء » .

وقد رواه مسلم عن داود بن رشيد ، عن الوليد ، عن جابر به ومن طريق أخري عن الأوزاعى به .

الله تعالى منزه عن الولد

وقال تعالى في آخر سورة مريم : ﴿وقالُوا اتَّخذَ الرَّحْمٰن وَلداً * لَقدْ جِئْتُم شَيْئاً إدًّا ﴾ [1] شيئاً عظيماً من القول وزوراً ﴿ تكَادُ السَّمٰواتُ يَتفَطّرنَ منه وتَنشقُّ الأرْضُ وتَخرُّ الجِبالُ هدًّا * أنْ دَعوْا للرَّحْمٰن ولداً * وما ينْبَغي للرَّحْمٰن أنْ يتَّخذَ وَلداً * إنْ كلُّ مَنْ في السَّمٰواتِ والأرْضِ إلاّ آتِي الرَّحْمٰن عَبْداً * لَقَد أحْصاهُمْ وعدَّهُم عَدًّا * وكلُّهمْ آتِيه يَومَ القِيامَةِ فَرداً ﴾ [2] .

---

(1) سورة مريم آيتا ٨٨ ، ٨٩ .

(2) سورة مريم-آيات ٩٠ - ٩٥ .

فبين أنه تعالى لا ينبغي له الولد لأنه خالق كل شيء ومالكه ، وكل شيء فقير إليه ، خاضع ذليل لديه وجميع سكان السموات والأرض عبيده ، هو ربهم لا إله إلا هو لا رب سواه كما قال تعالى : ﴿ وجَعلُوا للهِ شُركاءَ الجِنَّ وخَلَقهمْ وخَرقُوا لهُ بَنين وَبناتٍ بغَيرِ علمٍ ، سُبْحانهُ وتَعالَى عمَّا يَصِفونَ * بَديعُ السَّمٰواتِ والأَرْضِ ، أنَّى يكُونُ لهُ ولدٌ ولَمْ تَكنْ لَهُ صاحِبةٌ وخَلَقَ كلَّ شَيْءٍ ، وهُو بِكلِّ شَيءٍ عَليمٌ * ذٰلكمُ اللهُ ربّكُم ، لا إلٰهَ إلاَّ هُو ، خَالقُ كلِّ شَيءٍ فاعْبدوهُ ، وهُوَ عَلى كلِّ شَيءٍ وَكيلٌ * لا تُدْركهُ الأَبصارُ وهُوَ يُدْركُ الأَبْصَارَ وهُو اللَّطيفُ الخَبيرُ ﴾ (١) .

فبين أنه خالق كل شيء فكيف يكون له ولد ، والولد لا يكون إلا بين شيئين متناسبين ، والله تعالى لا نظير له ولا شبيه ولا عديل له ، فلا صاحبة له ، فلا يكون له ولد كما قال تعالى : ﴿ قُلْ هُو اللهُ أحَدٌ * اللهُ الصَّمدُ * لَمْ يَلدْ وَلَمْ يُولد * ولَمْ يَكنْ لَهُ كفُواً أحدٌ ﴾ (٢) يقرر أنه الأحد الذي لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ﴿ الصَّمدُ ﴾ وهو السيد الذي كمل علمه وحكمته ورحمته وبلغ جميع صفاته ﴿ لَمْ يَلدْ ﴾ أي لم يوجد منه ولد ﴿ ولَمْ يُولدْ ﴾ أي ولم يتولد عن شيء قبله ﴿ ولَمْ يَكنْ لَهُ كُفُواً أحَدٌ ﴾ أي وليس له عدل ولا مكافئ . ولا مساو فقطع النظير المداني والأعلى والمساوي ، فانتفى أن يكون له ولد ، إذ لا يكون الولد إلا متولداً بين شيئين متعادلين أو متقاربين ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وقال تبارك وتعالى وتقدس : ﴿ ياأهْلَ الكِتابِ لا تَغْلوا في دِينِكمْ ولا تَقولُوا عَلى اللهِ إلاّ الحَقّ ، إنَّما المَسيحُ عِيسَى ابنُ مَريَم رسُولُ اللهِ وكَلمتُه ألقاهَا إلَى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِنْهُ ، فآمِنُوا باللهِ ورُسُلِه ، ولا تقولُوا ثَلاثةٌ ، انْتهُوا خَيراً لَكُم ، إنَّما اللهُ إلٰهٌ واحِدٌ ، سُبْحانهُ أنْ يَكونَ لَهُ وَلدٌ لهُ ما في السَّمٰواتِ وما في الأَرْضِ ، وكَفَى باللهِ وَكيلاً * لنْ يسْتَنكِفَ المسِيحُ أنْ يَكونَ عَبْداً للهِ ولا الملائكةُ المقَرَّبونَ ، ومَنْ يَستَنكِفْ عَن عِبادَتهِ ويسْتَكبِرْ فَسيحْشرُهُم إليْهِ جَميعاً * فأمَّا الذينَ آمنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ فيُوفِّيهم أجُورَهُم ويَزيدُهُمْ مِنْ فَضْلِه ، وأمَّا الذين اسْتَنكفُوا واسْتَكبرُوا فيُعذِّبُهُمْ عذاباً أليماً ولا يَجدُونَ لَهم مِنْ دُونِ اللهِ وليّاً ولا نَصيراً ﴾ (٣) .

ينهى تعالى أهل الكتاب ومن شابههم عن الغلو والإطراء في الدين وهو مجاوزة الحد ، فالنصارى لعنهم الله غلوا وأطروا المسيح حتى جاوزوا الحد .

---

(١) سورة الأنعام آيات ١٠٠ ـ .   (٢) سورة الإخلاص .

(٣) سورة النساء آيات ١٧١ ـ ١٧٣ .

فكان الواجب عليهم أن يعتقدوا أنه عبد الله ورسوله وابن أمته العذراء البتول التي أحصنت فرجها فبعث الله الملك جبريل إليها فنفخ فيها من أمر الله نفخة حملت منها بولدها عيسى عليه السلام . والذي اتصل بها من الملك هي الروح المضافة إلى الله إضافة تشريف وتكريم ، وهي مخلوقة من مخلوقات الله تعالى كما يقول : بيت الله وناقة الله وعبد الله ، وكذا روح الله أضيفت إليه تشريفاً لها وتكريماً . وسمى عيسى بها لأنه كان بها من غير أب وهي الكلمة أيضاً التي عنها خلق وبسببها وجد كما قال تعالى : ﴿ إنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيكونُ ﴾ [1] . وقال تعالى : ﴿ وقالُوا اتَّخذَ اللهُ ولداً ، سُبْحانَهُ ، بَلْ لَهُ ما في السَّمٰواتِ والأرْضِ ، كلٌّ لَه قَانِتُونَ * بَديعُ السَّمٰواتِ والأرْضِ ، وإذَا قَضَى أمْراً فإنَّما يقُولُ لَهُ كنْ فَيَكونُ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ وقالَت اليَهُود عُزيْرٌ ابنُ اللهِ وقالَت النَّصارَى المسِيحُ ابنُ اللهِ ، ذٰلكَ قوْلُهُم بأفْواهِهِم ، يُضاهِئُونَ قَولَ الذِيْن كَفَرُوا مِنْ قَبْل ، قاتَلَهُم اللهُ ، أنَّى يؤْفكونَ ﴾ [3]

فأخبر تعالى أن اليهود والنصارى عليهن لعائن الله ، كل من الفريقين ادعوا على الله شططاً وزعموا أن له ولداً ، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيراً ، وأخبر أنهم ليس لهم مستند فيا زعموه ولا فيا ائتفكوه ، إلا مجرد القول ومشابهة من سبقهم إلى هذه المقالة الضالة تشابهت قلوبهم .

وذلك أن الفلاسفة عليهم لعنة الله زعموا أن العقل الأول صدر عن واجب الوجود الذي يعبرون عنه بعلة العلل والمبدأ الأول ، وأنه صدر عن العقل الأول عقل ثان ونفس وفلك ، ثم صدر عن الثاني كذلك حتى تناهت العقول إلى عشرة والنفوس إلى تسعة والأفلاك إلى تسعة ، باعتبارات فاسدة ذكروها واختيارات باردة أوردوها . ولبسط الكلام معهم وبيان جهلهم وقلة عقلهم موضع آخر .

وهكذا طوائف من مشركي العرب زعموا لجهلهم أن الملائكة بنات الله وأنه صاهر سروات الجن فتولد منها الملائكة . تعالى الله عما يقولون وتنزه عما يشركون . كما قال تعالى : ﴿ وجعَلُوا الملائِكةَ الَّذينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحمٰنِ إناثاً ، أشَهِدُوا خَلْقَهُم ، ستُكْتَبُ شَهادتُهمْ ويُسْألونَ ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ فاسْتَفْتِهم ألِرَبِّكَ البَنَاتُ وَلَهُم البَنُونَ * أمْ خَلَقْنا الملائِكةَ

(1) سورة آل عمران ٥٩ .
(2) سورة البقرة آيتا ١١٦ ، ١١٧ .
(3) سورة التوبة الآية ٣٠ .
(4) سورة الزخرف الآية ١٩ .

إناثاً وهُمْ شَاهِدون * ألاَ إنَّهم مِنْ إفْكِهِم لَيقُولونَ * وَلَد اللهُ وإنَّهمْ لكاذبُون * أصْطفَى البَنَاتِ علَى البَنِينَ * ما لَكُم كيْفَ تَحْكُمُونَ * أفَلاَ تَذكَّرونَ * أمْ لَكُم سُلطانٌ مُّبينٌ * فأْتُوا بكِتابِكُم إنْ كُنتُم صادِقِين * وجَعلُوا بيْنَه وبَيْن الجِنَّةِ نَسَباً ، ولَقَد عَلِمتِ الجِنَّةُ إنَّهمْ لَمُحْضَرُونَ * سُبْحانَ اللهِ عمَّا يَصِفُونَ * إلاَّ عِبادَ اللهِ المُخْلَصِين ﴾ [1] .

قال تعالى : ﴿ وقالُوا اتَّخذَ الرَّحْمنُ ولداً سُبْحانَهُ ، بَلْ عِبادٌ مُكرمُونَ * لا يسْبِقُونَهُ بالقَول وهُمْ بأمْرِه يعْمَلونَ * يعْلَم ما بَيْن أيْدِيهمْ وما خَلْفهُم ولا يشْفَعونَ إلاَّ لمَنِ ارتَضَى وهُمْ مِنْ خَشْيتِه مشْفِقُونَ * ومَنْ يَقُل مِنْهُم إنِّى إلهٌ مِنْ دُونِهِ فذلكَ نَجْزِيهِ جهَنَّم ، كَذلكَ نَجْزِى الظَّالمِينَ ﴾ [2]

وقال تعالى في أول سورة الكهف وهي مكية : ﴿ الحَمدُ للهِ الَّذى أنْزلَ علَى عَبْدِهِ الكِتابَ ولَمْ يَجْعَلْ لهُ عِوجاً * قَيِّماً لِيُنذرَ بأساً شَديداً مِنْ لَدُنهُ ويُبَشّرَ المؤْمِنينَ الَّذينَ يعْمَلونَ الصَّالحاتِ أنَّ لَهمْ أجراً حَسَناً * ماكِثِينَ فِيه أبداً * ويُنذرَ الذِيَن قالُوا اتَّخذَ اللهُ ولداً * ما لَهُم بهِ مِنْ عِلم وَلا لآبَائِهِم ، كَبُرتْ كَلمةً تَخرجُ مِنْ أفْواهِهِم ، إنْ يقُولونَ إلاَّ كذِباً ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ قالُوا اتَّخذَ اللهُ وَلداً ، سُبْحانَهُ ، هُوَ الغَنِيُّ ، لهُ ما فِي السَّمٰواتِ وما فِي الأرْضِ ، إنْ عِندَكُم مِنْ سُلطانٍ بهٰذا ، أتَقُولونَ علَى اللهِ ما لا تعْلَمُونَ * قلْ إنَّ الذِينَ يفْترُونَ علَى اللهِ الكَذب لا يُفْلحُونَ * مَتَاعٌ فِي الدُّنْيا ثمَّ إليْنَا مَرْجِعهُم ثمَّ نُذِيقُهم العَذابَ الشَّديدَ بمَا كانُوا يكفُرونَ ﴾ [4] .

فهذه الآيات المكيات الكريمات تشمل الرد على سائر فرق الكفرة من الفلاسفة ومشركي العرب واليهود والنصارى الذين ادعوا وزعموا بلا علم أن لله ولدا سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون المعتدون علوًّا كبيراً .

ولما كانت النصارى عليهم لعنة الله المتتابعة إلى يوم القيامة من أشهر من قال بهذه المقالة ذكروا في القرآن كثيراً للرد عليهم وبيان تناقضهم وقلة علمهم وكثرة جهلهم ، وقد تنوعت أقوالهم في كفرهم ، وذلك أن الباطل كثير التشعب والاختلاف والتناقض .

وأما الحق فلا يختلف ولا يضطرب . قال الله تعالى : ﴿ ولوْ كانَ مِنْ عِندِ غَيرِ اللهِ لوَجدُوا

(1) سورة الصافات آيات ١٤٩ - ١٦٠ .
(2) سورة الأنبياء آيات ٢٦ - ٢٩ .
(3) سورة الكهف آيات ١ - ٥ .
(4) سورة يونس آيات ٦٨ - ٧٠ .

فيه اخْتلافاً كثيراً ﴾[1] . فدل على أن الحق يتحد ويتفق والباطل يختلف ويضطرب . فطائفة من ضلالهم وجهالهم زعموا أن المسيح هو الله تعالى . وطائفة قالوا هو ابن الله ، عز الله وجل . وطائفة قالوا هو ثالث ثلاثة . جل الله .

قال الله تعالى في سورة المائدة : ﴿ لَقدْ كفَرَ الَّذينَ قالُوا إنَّ اللهَ هُو المسيحُ ابنُ مَريَمَ ، قلْ فَمَن يمْلكُ منَ اللهِ شَيْئاً إنْ أرادَ أنْ يُهلكَ المسيحَ ابنَ مَرْيم وأُمَّه ومَنْ في الأرْضِ جَميعاً ، ولله مُلكُ السَّمواتِ والأرْضِ وما بيْنَهُما ، يخْلُق ما يَشاءُ ، واللهُ علَى كلِّ شيْءٍ قَديرٌ ﴾[2] فأخبر تعالى عن كفرهم وجهلهم وبين أنه الخالق القادر على كل شيء وأنه رب كل شيء ومليكه وإلهه . وقال في أواخرها : ﴿ لَقدْ كفَر الذِينَ قالُوا إنَّ اللهَ هُوَ المسيحُ ابنُ مَريَمَ ، وقالَ المسيحُ يا بَني إسْرائيلَ اعْبُدوا اللهَ رَبِّى وربَّكُم ، إنهُ مَنْ يُشْركْ باللهِ فقَد حرَّمَ اللهُ عليْه الجَنَّة ومأْواهُ النَّارُ ، وما للظَّالمينَ منْ أنْصار * لَقد كفَرَ الَّذين قالُوا إنَّ اللهَ ثالثُ ثَلاثةٍ وما منْ إله إلاَّ إلهٌ واحدٌ ، وإنْ لمْ ينْتَهوا عمَّا يقُولُون ليَمَسَّنَّ الذينَ كفَرُوا منْهُم عذابٌ أليمٌ * أفلا يتُوبُون إلَى اللهِ ويسْتَغفِرُونَه ، واللهُ غَفورٌ رَحيمٌ * ما المسيحُ ابنُ مَرْيمَ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ منْ قَبْله الرُّسُل وأمُّه صِديقةٌ كانَا يأْكُلانِ الطَّعامَ ، انْظُر كَيْف نُبيِّن لَهُم الآياتِ ثمَّ انْظُر أنَّى يؤْفكُونَ ﴾[3] .

حكم تعالى بكفرهم شرعا وقدرا ، فأخبر أن هذا صدر منهم مع أن الرسول إليهم هو عيسى ابن مريم ، وقدبين لهم أنه عبد مربوب مخلوق مصور في الرحم داع إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وتوعدهم على خلاف ذلك بالنار وعدم الفوز بدار القرار والخزى في الدار الآخرة والهوان والعار ، ولهذا قال : ﴿ إنَّه مَنْ يُشْركْ باللهِ فَقَد حَرَّمَ اللهُ عليْه الجنَّة ومأْواهُ النَّارُ ، وما للظَّالمين منْ أنْصارٍ ﴾ .

ثم قال : ﴿ لَقدْ كَفَر الَّذينَ قالُوا إنَّ اللهَ ثالثُ ثَلاثةٍ ومَا منْ إلهٍ إلاَّ إلهٌ واحدٌ ﴾ قال ابن جرير وغيره : المراد بذلك قولهم بالأقانيم الثلاثة : أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب والابن ، على اختلافهم في ذلك ما بين المليكية واليعقوبية والنسطورية ، عليهم لعائن الله كما سنبين كيفية اختلافهم في ذلك ومجامعهم الثلاثة في زمن قسطنطين ابن قسطس ، وذلك بعد المسيح بثلاثمائة سنة وقبل البعثة المحمدية بثلاثمائة سنة .

ولهذا قال تعالى : ﴿ وما منْ إله إلاَّ إلهٌ واحدٌ ﴾ أي وما من إله إلا الله وحده لا شريك له

(١) سورة النساء الآية ٨٢ .
(٢) سورة المائدة الآية ١٧ .
(٣) سورة المائدة آيات ٧٢ ـ ٧٤ .

ولا نظير له ولا كفؤ له ولا صاحبة له ولا ولد ، ثم توعدهم وتهددهم فقال : ﴿ وإنْ لَمْ ينْتَهوا عمّا يقولون ليَمَسَّنَّ الذّين كَفروا منهم عذابٌ أليمٌ ﴾ ثم دعاهم برحمته ولطفه إلى التوبة والاستغفار من هذه الأمور الكبار والعظائم التي توجب النار فقال : ﴿ أفَلا يتُوبُونَ إلَى اللهِ ويسْتَغفِرُونَهُ ، واللهُ غَفورٌ رَحيمٌ ﴾ .

ثم بين حال المسيح وأمه وأنه عبد رسول وأمه صديقة ، أي ليست بفاجرة كما يقول اليهود لعنهم الله ، وفيه دليل على أنها ليست بنبية كما زعمه طائفة من علمائنا . وقوله : ﴿ كانَا يأْكُلانِ الطَّعامَ ﴾ كناية عن خروجه منهما كما يخرج من غيرهما ، أى ومن كان بهذه المثابة كيف يكون إلها ؛ تعالى الله عن قولهم وجهلهم وعلوًا كبيراً .

وقال السدى وغيره ، المراد بقوله : ﴿ لَقدْ كَفَرَ الَّذينَ قالُوا إنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثةٍ ﴾ زعمهم في عيسى وأمه أنهما الإلٰهان مع الله ، يعنى كما بين تعالى كفرهم في ذلك بقوله في آخر هذه السورة الكريمة : ﴿ وإذْ قالَ اللهُ يا عيسَى ابنَ مَرْيَم أأنتَ قلْت للنّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّيَ إلٰهيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ، قالَ سُبْحانَكَ ما يكونُ لِى أنْ أقولَ ما لَيسَ لِى بِحَقٍّ ، إنْ كُنتُ قُلتهُ فَقدْ عَلمتَه ، تَعْلم ما في نَفْسِى ولا أعْلمُ ما في نفسِك ، إنَّك أنْتَ عَلامُ الغُيوبُ * ما قُلتُ لَهمْ إلاَّ ما أمرْتَنى بهِ أن أعبُدُوا اللهَ ربِّى وربَّكُم ، وكنْتُ عَليْهم شَهيداً ما دُمتُ فِيهم ، فلَمَّا توفَّيْتنِى كنْتَ أنْتَ الرَّقيبَ عَليْهم ، وأنْتَ علَى كلِّ شئٍ شَهيدٌ * إنْ تُعذِّبْهُم فإنهُمْ عِبادُك ، وإنْ تغْفِر لَهُم فإنَّكَ أنْتَ العزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [(١)] .

يخبر تعالى أنه يسأل عيسى ابن مريم عليه السلام يوم القيامة على سبيل الإكرام له والتقريع والتبويخ لعابديه ممن كذب عليه وافترى وزعم أنه ابن الله ، أو أنه الله أو أنه شريكه ، تعالى الله عما يقولون ، فيسأله وهو يعلم أنه لم يقع منه ما يسأله عنه ولكن لتوبيخ من كذب عليه فيقول له : ﴿ أأنتَ قُلتَ للنَّاسِ اتَّخِذُوني وأُمِّيَ إلٰهيْنِ مِنْ دُون اللهِ ، قالَ سُبْحانَك ﴾ أى تعاليت أن يكون معك شريك ﴿ ما يَكونُ لِى أنْ أقُولَ ما لَيسَ لِى بحَقٍّ ﴾ أي ليس هذا يستحقه أحد سواك ﴿ إنْ كُنْتُ قُلتهُ فَقَد عَلمْتَهُ ، تعْلَم ما في نَفْسِي ولا أعْلمُ ما في نَفسِكَ ، إنَّك أنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ ﴾ وهذا تأدب عظيم في الخطاب والجواب ﴿ ما قُلتُ لَهُم إلاَّ ما أمَرْتَنِي بهِ ﴾ أي ما قلت غير ما أمرتني عليه حين أرسلتني إليهم وأنزلت عليَّ الكتاب الذي كان يتلى عليهم . ثم فسر ما قاله لهم بقوله : ﴿ أن اعبُدُوا اللهَ ربِّي وربَّكُم ﴾ أي خالقي

---

(١) سورة المائدة آيات ١١٦ ـ ١١٨ .

وخالقكم ورازقي ورازقكم ﴿ وكنْتُ عَليْهِم شهيداً ما دُمتُ فِيهِم ، فلمَّا توفَّيتَني ﴾ أي رفعتني إليك حين أرادوا قتلي وصلبي فرحمتني وخلصتني منهم وألقيت شبهي على أحدهم حتى انتقموا منه كان ذلك ﴿ كنْتَ أنْتَ الرَّقيبَ عَليْهِم ، وأنْتَ عَلى كلِّ شَيءٍ شَهيدٌ ﴾ .

ثم قال على وجه التفويض إلى الرب عز وجل والتبري من أهل النصرانية : ﴿ إنْ تُعذِّبْهم فإنَّهمْ عِبادُكَ ﴾ أي وهم يستحقون ذلك ﴿ إنْ تَغْفِر لَهُمْ فإنَّكَ أنْتَ العَزيزُ الحَكيمُ ﴾ وهذا التفويض والإسناد إلى المشيئة بالشرط لا يقتضي وقوع ذلك ، ولهذا قال : ﴿ فإنَّكَ أنْتَ العزيزُ الحَكيمُ ﴾ ولم يقل الغفور الرحيم .

وقد ذكرنا في التفسير ما رواه الإمام أحمد عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قام بهذه الآية الكريمة ليلة حتى أصبح : ﴿إنْ تُعذِّبْهُم فإنَّهمْ عِبادُكَ ، وإنْ تَغْفِر لَهُم فإنَّكَ أنْتَ العَزيزُ الحَكيم ﴾ وقال : « إني سألتُ ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها وهي نائلة إن شاء الله تعالى لمن لا يشرك بالله شيئاً » . وقال : ﴿ وما خَلَقْنا السَّماءَ والأرْضَ وما بَيْنَهُما لاعِبينَ * لَوْ أرَدْنا أنْ نَتَّخذَ لَهواً لاتَّخذْناهُ مِنْ لَدنَّا إنْ كنَّا فاعِلينَ * بَلْ نقْذَفُ بالحَقِّ عَلى الباطِلِ فيدْمغُه فإذا هُوَ زاهِقٌ ، ولَكُم الويْلُ مِمَّا تَصِفونَ * ولهُ مَنْ في السَّمٰوات والأرْضِ ، ومَنْ عِندهُ لا يسْتَكبِرُونَ عَنْ عِبادَتهِ وَلا يسْتَحْسِرُونَ * يُسبِّحون اللَّيلَ والنَّهارَ لا يفْتُرُونَ ﴾ [1]

وقال تعالى : ﴿ لوْ أرادَ اللهُ أنْ يتَّخذَ ولداً لاصْطَفى مِمَّا يخْلُق ما يشاءُ ، سُبْحانهُ ، هُو اللهُ الواحِدُ القَهَّار * خلَق السَّمٰوات والأرْضَ بالحَقِّ ، يُكوِّرُ اللَّيلَ علَى النَّهارِ ويُكوِّر النَّهارَ عَلَى اللَّيلِ ، وسَخَّرَ الشَّمسَ والقمَر ، كلٌّ يَجْري لأجلٍ مُسمًّى ، ألاَ هُو العَزيزُ الغَفَّارُ ﴾ [2]

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إنْ كانَ للرَّحْمٰنِ وَلدٌ فأنَا أوَّلُ العَابِدينَ * سُبْحانَ رَبِّ السَّمٰواتِ والأرْضِ رَبِّ العَرْشِ عمَّا يَصفُونَ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وقُل الحَمدُ للهِ الَّذي لَمْ يتَّخِذْ وَلداً ولَمْ يَكنْ لَه شَريكٌ في المُلْكِ ولَمْ يَكنْ لَهُ وليٌّ مِنَ الذُّلِّ وكَبِّره تَكْبيراً ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُو اللهُ أحَدٌ * اللهُ الصَّمدُ * لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ * ولَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أحَدٌ ﴾ [5] .

---

(١) سورة الأنبياء ايات ١٦ ـ ٢٠

(٢) سورة الزمر أيتا ٤ ، ٥

(٣) سورة الزخرف ايتا ٨١ ، ٨٢ .

(٤) سورة الإسراء الآية ١١١ .

(٥) سورة الاخلاص

وثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يقول الله تعالى : شتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، يزعم أن لي ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد » .

وفي الصحيح أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم » .

ولكن ثبت في الصحيح أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ : ﴿ وكذلك أخذُ ربِّكَ إذا أخذَ القُرَى وهِيَ ظالمةٌ ، إنَّ أخذَهُ أليمٌ شَدِيدٌ ﴾ [1] .

وهكذا قوله تعالى : ﴿ وكأيِّنْ مِنْ قَرْيةٍ أمْليتُ لها وهِيَ ظالمةٌ ثُمَّ أخذْتُها وإليَّ المصيرُ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ نُمتِّعهُم قَليلاً ثمَّ نَضْطرُّهُم إلى عَذابٍ غَليظٍ ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ قُلْ إنَّ الذِينَ يفْتَرونَ علَى اللهِ الكَذِبَ لا يُفْلِحونَ * مَتاعٌ في الدُّنْيا ثمَّ إليْنَا مَرْجِعُهُم ثمَّ نُذِيقُهُم العَذابَ الشَّدِيدَ بِمَا كانُوا يكْفُرونَ ﴾ [4] . وقال تعالى : ﴿ فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ أمْهِلْهُمْ رُوَيداً ﴾ [5]

منشأ عيسى ابن مريم عليهما السلام

قد تقدم أنه ولد ببيت لحم قريباً من بيت المقدس .

وزعم وهب بن منبه أنه ولد بمصر وأن مريم سافرت هي ويوسف بن يعقوب النجار وهي راكبة على حمار ليس بينهما وبين الإكاف شيء .

وهذا لا يصح ، والحديث الذي تقدم ذكره دليل على أن مولده كان ببيت لحم ، كما ذكرنا ، ومهما عارضه فباطل .

---

(١) سورة هود الآية ١٠٢ .
(٢) سورة الحج الآية ٤٨ .
(٣) سورة لقمان الآية ٢٤ .
(٤) سورة يونس آيتا ٦٩ ، ٧٠ .
(٥) سورة الطارق الآية ١٧ .

وذكر وهب بن منبه أنه لما خرت الأصنام يومئذ في مشارق الأرض ومغاربها ، وأن الشياطين حارت في سبب ذلك حتى كشف لهم أبليس الكبير أمر عيسى فوجدوه في حجر أمه والملائكة محدقة به ، وأنه ظهر نجم عظيم في السماء وأن ملك الفرس أشفق من ظهوره فسأل الكهنة عن ذلك فقالوا : هذا لمولد عظيم في الأرض ، فبعث رسالة ومعهم ذهب ومر ولبان هدية إلى عيسى ، فلما قدموا الشام سألهم ملكها عما أقدمهم فذكروا له ذلك ، فسأل عن ذلك الوقت فإذا قد ولد فيه عيسى ابن مريم ببيت المقدس واشتهر أمره بسبب كلامه في المهد ، فأرسلهم إليه بما معهم وأرسل معهم من يعرفه له ليتوصل إلى قتله إذا رسل ملك الشام إنما جاءوا ليقتلوا ولدك . فاحتملته فذهبت به إلى مصر ، فأقامت به حتى بلغ عمره اثنتى عشرة سنة ، وظهرت عليه كرامات ومعجزات في حال صغره . فذكر منها الدهقان الذي نزلوا عنده افتقد مالاً من داره وكانت داره لا يسكنها إلا الفقراء والضعفاء والمحاويج فلم يدر من أخذها ، وعز ذلك على مريم عليها السلام وشق على الناس وعلى رب المنزل وأعياهم أمرها ، فلما رأى عيسى عليه السلام ذلك عمد إلى رجل أعمى وآخر مقعد من جملة من هو منقطع إليه . فقال للأعمى : احمل هذا المقعد وانهض به . فقال : إني لا أستطيع ذلك . فقال : بلى كما فعلت أنت وهو حين أخذتما هذا المال من تلك الكوة من الدار . فلما قال ذلك صدقاه فيما قال وأتيا بالمال فعظم عيسى في أعين الناس وهو صغير جداً .

ومن ذلك أن ابن الدهقان عمل ضيافة للناس بسبب طهور أولاده ، فلما اجتمع الناس وأطعمهم ثم أراد أن يسقيهم شراباً ـ يعني خمراً ـ كما كانوا يصنعون في ذلك الزمان لم يجد في جراره شيئاً فشق ذلك عليه ، فلما رأى عيسى ذلك منه قام فجعل يمر على تلك الجرار ويمر يده على أفواهها فلا يفعل بجرة منها ذلك إلا امتلأت شراباً من خيار الشراب ، فتعجب الناس من ذلك جداً وعظموه وعرضوا عليه وعلى أمه مالاً جزيلاً فلم يقبلاه وارتحلا قاصدين بيت المقدس .. والله أعلم .

وقال إسحاق بن بشر : أنبأنا عثمان بن ساج وغيره ، عن موسى ابن وردان ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، وعن مكحول عن أبي هريرة قال : إن عيسى ابن مريم أول ما أطلق الله لسانه بعد الكلام الذي تكلم به وهو طفل ، فمجد الله تمجيداً لم تسمع الآذان بمثله لم يدع شمسا ولا قمراً ولا جبلاً ولا نهراً ولا عيناً إلا ذكره في تمجيده فقال : اللهم أنت القريب في علوك ، المتعال في دنوك ، الرفيع على كل شيء من خلقك ، أنت الذي خلقت سبعاً في الهواء بكلماتك مستويات طباقاً أجبن وهي دخان من فرقك فأتين طائعات لأمرك ، فيهن ملائكتك يسبحون قدسك

لتقديسك وجعلت فيهن نوراً على سواد الظلام وضياء من ضوء الشمس بالنهار ، وجعلت فيهن الرعد المسبح بالحمد ، فبعزتك يجلو ضوء ظلمتك وجعلت فيهن مصابيح يهتدي به في الظلمات الحيران ، فتباركت اللهم في مفطور سماواتك وفيما دحوت من أرضك دحوتها على الماء فسكتها على تيار الموج الغامر ، فأذللتها إزلال التظاهر ، فذل لطاعتك صعبها واستحيا لأمرك أمرها وطبعت بعزتك أمواجها ، ففجرت فيها بعد البحور الأنهار ومن بعض الأنهار الجداول الصغار ومن بعد الجداول ينابيع العيون الغزار ، ثم أخرجت منها الأنهار والأشجار والثمار ثم جعلت على ظهرها الجبال فوتدتها أوتاداً على ظهر الماء ، فأطاعت أطوادها وجلمودها .

فتباركت اللهم ! فمن يبلغ بنعته نعتك أم من يبلغ بصفته صفتك ؟ تنشر السحاب وتفك الرقاب وتقضي الحق وأنت خير الفاصلين ، لا إله إلا أنت سبحانك أمرت أن نستغفرك من كل ذنب ، لا إله إلا أنت سبحانك سترت السموات عن الناس ، لا إله إلا أنت سبحانك إنما يخشاك من عبادك الأكياس ، نشهد أنك لست بإله استحدثناك ، ولا رب يبيد ذكره ، ولا كان معك شركاء فندعوهم ونذرك ، ولا أعانك على خلقنا أحد فنشك فيك ، نشهد أنك أحد صمد لم تلد ولم تولد ، ولم يكن لك كفواً أحد » .

وقال إسحاق بن بشر ، عن جويبر ومقاتل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، أن عيسى ابن مريم أمسك عن الكلام بعد أن كلمهم طفلا حتى بلغ ما يبلغ الغلمان . ثم أنطقه الله بعد ذلك الحكمة والبيان فأكثر اليهود فيه وفي أمه من القول ، وكانوا يسمونه ابن البغية وذلك قوله تعالى : ﴿ وبِكفْرِهِم وقَوْلِهِم عَلى مَرْيَم بُهتاناً عَظِيماً ﴾[1] .

قال : فلما بلغ سبع سنين أسلمته أمه في الكتاب ، فجعل لا يعلمه المعلم شيئاً إلا بدره إليه ، فعلمه أبا جاد فقال عيسى ، ما أبو جاد ؟ فقال المعلم : لا أدرى . فقال عيسى : كيف تعلمني مالا تدري . فقال المعلم : إذن فعلمني . فقال له عيسى : فقم من مجلسك . فقام فجلس عيسى مجلسه فقال : سلني ؟ فقال المعلم : فما أبو جاد ؟ فقال عيسى : الألف آلاء الله . والباء بهاء الله . والجيم بهجة الله وجماله . فعجب المعلم من ذلك فكان أول من فسر أبا جاد .

ثم ذكر أن عثمان سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فأجابه على كل كلمة بحديث طويل موضوع لا يسأل عنه ولا يتمادى !

(١) سورة النساء الآية ١٥٦ .

وهكذا روى ابن عدي من حديث إسماعيل بن عياش ، عن إسماعيل بن يحيى ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن مسعود ، عن مسعر بن كدام عن عطية ، عن أبي سعيد ، رفع الحديث في دخول عيسى إلى الكتاب وتعليمه المعلم معنى حروف أبي جاد وهو مطول لا يفرح به .

ثم قال ابن عدي : وهذا الحديث باطل بهذا الإسناد لا يرويه غير إسماعيل . وروى ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة قال : كان عبد الله بن عمر يقول : كان عيسى ابن مريم وهو غلام يلعب مع الصبيان فكان يقول لأحدهم : تريد أن أخبرك ما خبأت لك أمك ؟ فيقول : نعم فيقول : خبأت لك كذا وكذا . فيذهب الغلام منهم إلى أمه فيقول لها أطعميني ما خبأت لي . فتقول : وأي شيء خبأت لك ؟ فيقول : كذا وكذا . فتقول له : من أخبرك ؟ فيقول : عيسى ابن مريم ليفسدنهم . فجمعوهم في بيت وأغلقوا عليهم ، فخرج عيسى يلتمسهم فلم يجدهم فسمع ضوضاءهم في بيت فسأل عنهم فقالوا : إنما هؤلاء قردة وخنازير . فقال : اللهم كذلك . فكانوا كذلك . رواه ابن عساكر .

وقال إسحاق بن بشر ، عن جويبر ، ومقاتل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : وكان عيسى يرى العجائب في صباه إلهاماً من الله ، ففشا ذلك في اليهود وترعرع عيسى ، فهمت به بنو إسرائيل ، فخافت أمه عليه ، فأوحى الله إلى أمه أن تنطلق به إلى أرض مصر ، فذلك قوله تعالى : ﴿ **وجَعَلْنا ابنَ مَرْيَمَ وأُمَّه آيةً وآويْناهُما إلى ربْوةٍ ذَات قَرارٍ ومَعِين** ﴾[1] .

وقد اختلف السلف والمفسرون في المراد بهذه الربوة التي ذكر الله من صفتها أنها ذات قرار ومعين ، وهذه صفة غريبة الشكل ، وهي أنها ربوة وهو المكان المرتفع من الأرض الذي أعلاه مستو يقر عليه وارتفاعه متسع ، ومع علوه فيه عيون الماء المعين ، وهو الجاري السارح على وجه الأرض فقيل : المراد المكان الذي ولدت فيه المسيح وهو نخلة بيت المقدس ، ولهذا ﴿ **نَاداها مِنْ تَحْتِها ألاّ تَحْزَني قَدْ جَعَل ربُّكِ تَحْتَك سَرياً** ﴾[2] وهو النهر الصغير في قول جمهور السلف ، وعن ابن عباس بإسناد جيد أنهار دمشق فلعله أراد تشبيه ذلك المكان بأنهار دمشق . وقيل ذلك بمصر كما زعمه من زعمه من أهل الكتاب ومن تلقاه عنهم .. والله أعلم . وقيل هي الرملة .

وقال إسحاق بن بشر : قال لنا إدريس عن جده وهب بن منبه ، قال : إن عيسى لما بلغ

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٥٠ .

(٢) سورة مريم الآية ٢٤ بلفظ ﴿ **فناداها ...** ﴾ .

ثلاث عشرة سنة أمره الله أن يرجع من بلاد مصر إلى بيت إيليا قال فقدم عليه يوسف ابن خال أمه فحملها على حمار حتى جاء لهما إيليا وأقام بها حتى أحدث الله له الإنجيل وعلمه التوراة وأعطاه إحياء الموتى وإبراء الأسقام والعلم بالغيوب مما يدخرون في بيوتهم وتحدث الناس بقدومه وفزعوا لما كان يأتي من العجائب ، فجعلوا يعجبون منه فدعاهم إلى الله ففشا فيهم أمره .

نزول الكتب الاربعة ومواقيتها

وقال أبو زرعة الدمشقي : حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني معاوية بن صالح ، عمن حدثه قال : « أنزلت التوراة على موسى في ست ليال خلون من شهر رمضان ، ونزل الزبور على داود في اثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، وذلك بعد التوراة بأربعمائة سنة واثنتين وثمانين سنة ، وأنزل الإنجيل على عيسى ابن مريم في ثماني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان بعد الزبور بألف عام وخمسين عاماً ، وأنزل الفرقان على محمد ﷺ في أربع وعشرين من شهر رمضان » .

وقد ذكرنا في التفسير عند قوله : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرآنُ ﴾[1] الأحاديث الواردة في ذلك ، وفيها أن الإنجيل أنزل على عيسى ابنَ مريم عليه السلام في ثماني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان .

وذكر ابن جرير في تاريخه أنه أنزل عليه وهو ابن ثلاثين سنة ، ومكث حتى رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة . كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

وقال إسحاق بن بشر : وأنبأنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، ومقاتل عن قتادة ، عن عبد الرحمن بن آدم ، عن أبي هريرة قال : أوحي الله عز وجل إلى عيسى ابن مريم : ياعيسى .. جد في أمري ولا تهن ، واسمع وأطع ياابن الطاهرة البكر البتول ، إنك من غير فحل ، وأنا خلقتك آية للعالمين ، إياي فاعبد وعلي فتوكل ، خذ الكتاب بقوة ، فسر لأهل السريانية ، بلغ من بين يديك أنا الحق الحي القائم الذي لا أزول ، صدقوا النبي الأمي العربي صاحب الجمل والتاج - وهي العمامة - والمدرعة والنعلين والهراوة - وهي القضيب - الأنجل العينين الصلت الجبين الواضح الخدين ، الجعد الرأس ، الكث اللحية ، المقرون الحاجبين ،

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٥ .

الأقنى الأنف ، المفلج الثنايا ، البادي العنفقة ، الذي كأن عنقه إبريق فضة وكأن الذهب يجري في تراقيه ، له شعرات من لبته إلى سرته تجري كالقضيب ، ليس على بطنه ولا على صدره شعر غيره ، شثن الكف والقدم ، إذا التفت التفت جميعاً ، وإذا مشى كأنما يتقلع منه صخر وينحدر من صبب ، عرقه في وجهه كاللؤلؤ وريح المسك ينفح منه ،ولم ير قبله ولا بعده مثله ، الحسن القامة الطيب الريح ، نكاح النساء ذا النسل القليل ، إنما نسله من مباركة ، لها بيت ـ يعني في الجنة ـ من قصب لا نصب فيه ولا صخب ، تكفله ياعيسى في آخر الزمان كما كفل زكريا أمك ، له منها فرخان مستشهدان ، وله عندي منزلة ليست لأحد من البشر ، كلامه القرآن ودينه الإسلام وأتاه السلام ، طوبى لمن أدرك زمانه وشهد أيامه وسمع كلامه .

قال عيسى : يارب .. وما طوبى ؟ قال : غرس شجرة أنا غرستها بيدي ، فهي للجنان كلها ، أصلها من رضوان وماؤها من تسنيم ، وبردها برد الكافور وطعمها طعم الزنجبيل وريحها ريح المسك ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا .

قال عيسى : يارب .. اسقني منها . قال : حرام على النبيين أن يشربوا منها حتى يشرب ذلك النبي ، وحرام على الأمم أن يشربوا منها حتى تشرب منها أمة ذلك النبي .

قال : ياعيسى .. أرفعك إليّ . قال : يارب ولم ترفعني ؟ قال : أرفعك ثم أهبطك في آخر الزمان لترى من أمة ذلك النبي العجائب ولتعينهم على قتال اللعين الدجال ، أهبطك في وقت صلاة ثم لا تصلي بهم لأنها مرحومة ولا نبي بعد نبيهم .

وقال هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن زيد ، عن أبيه ، أن عيسى قال : يارب أنبئني عن هذه الأمة المرحومة . قال : أمة أحمد ، هم علماء حكماء كأنهم أنبياء ، يرضون مني بالقليل من العطاء وأرضى منهم بالسير من العمل ، وأدخلهم الجنة بلا إلـه إلا الله . ياعيسى .. هم أكثر سكان الجنة ، لأنه لم تذل ألسن قوم قط بلا إله إلا الله كما ذلت ألسنتهم ، ولم تزل رقاب قوم قط بالسجون كما ذلت به رقابهم .

رواه ابن عساكر . وروى ابن عساكر من طريق عبد الله بن بديل العقلي ، عن عبد الله ابن عوسجة قال : أوحى الله إلى عيسى ابن مريم : أنزلني من نفسك كهمك ، واجعلني ذخراً في معادك ، وتقرب إليّ بالنوافل أحبك ولا تول غيري فأخذلك ، اصبر على البلاء وارض بالقضاء ، وكن لمسرتي أن أطاع فلا أعصى ، وكن مني قريباً وأحي ذكرى بلسانك ، ولتكن مودتي في صدرك ، تيقظ من ساعات الغفلة واحكم في لطيف الفطنة ، وكن لي راغباً راهباً

وأمت قلبك في الخشية لي وراع الليل لحق مسرتي واظم نهارك ليوم الري عندي ، نافس في الخيرات جهدك ، واعترف بالخير حيث توجهت ، وقم في الخلائق بنصيحتي ، واحكم في عبادي بعدلي ، فقد نزلت عليك شفاء وسواس الصدور من مرض النسيان وجلاء الأبصار من غشاء الكلال حلساً كأنك مقبوض وأنت حي تنفس .

ياعيسى ابن مريم .. ما آمنت بي خليقة إلا خشعت ، ولا خشعت لي إلا رجت ثوابي فأشهدك أنها آمنة من عقابي مالم تغير أو تبدل سنتي .

ياعيسى ابن مريم البكر البتول .. ابك على نفسك أيام الحياة بكاء من ودع الأهل وقلا الدنيا وترك اللذات لأهلها وارتفعت رغبته فيما عند إلهه ، وكن في ذلك تلين الكلام وتفشي السلام ، وكن يقظان إذا نامت عيون الأبرار ، حذار ما هو آت من أمر المعاد زلازل شدائد الأهوال ، قبل أن ينفع أهل ولا مال ، واكحل عينك بمحلول الحزن إذ ضحك البطالون ، وكن في ذلك صابراً محتسباً ، وطوبى لك إن نالك ما وعدت الصابرين ، ارج من الدنيا بالله يوم يبعثون وذق مذاقة ما قد حرب منك أين طعمه ، وما لم يأتك كيف لذته ، فرح من الدنيا بالبلغة ، وليكفك منها الخشن الجئيب ، قد رأيت إلى ما يصير ، اعمل على حساب فإنك مسئول ، لو رأت عيناك ما أعددت لأوليائي الصالحين ذاب قلبك وزهقت نفسك .

وقال أبو داود في كتاب القدر : حدثنا محمد بن يحي بن فارس ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن الزهري ، عن ابن طاووس ، عن أبيه قال : لقى عيسى ابن مريم إبليس فقال : أما علمت أنه لن يصيبك إلا ما كتب لك ؟ قال إبليس : فأوف بذروة هذا الجبل فتردى منه فانظر هل تعيش أم لا . فقال ابن طاووس : عن أبيه : فقال عيسى : أما علمت أن الله تعالى قال : لا يجربني عبدي فإني أفعل ما شئت . وقال الزهري : إن العبد لا يبتلي ربه ولكن الله يبتلي عبده .

وقال أبو داوود : حدثنا أحمد بن عبدة ، أنبأنا سفيان ، عن عمرو ، عن طاووس قال : أتى الشيطان عيسى ابن مريم ، فقال : أليس تزعم أنك صادق ؟ فأت هوة فألق نفسك . قال : ويلك .. أليس قال : ياابن آدم .. لا تسألني هلاك نفسك فإني أفعل ما أشاء !

وحدثنا أبو توبة الربيع بن نافع ، حدثنا حسين بن طلحة ، سمعت خالد بن يزيد ، قال :

تعبد الشيطان مع عيسى عشر سنين أو سنتين ، أقام يوماً على شفير جبال فقال الشيطان : أرأيت إن ألقيت نفسي هل يصيبني إلا ما كتب لي . إني لست بالذي أبتلى ربي ولكن ربي إذا شاء ابتلاني . وعرفه أنه الشيطان ففارقه .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا شريح بن يونس ، حدثنا علي بن ثابت ، عن الخطاب بن القاسم ، عن أبي عثمان ، كان عيسى عليه السلام يصلي على رأس جبل ، فأتاه إبليس فقال : أنت الذي تزعم أن كل شيء بقضاء وقدر ؟ قال : نعم . قال : ألق نفسك من هذا الجبل وقل قدر علي . فقال : يالعين .. الله يختبر العباد وليس العباد يختبرون الله عز وجل .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا الفضل بن موسى البصري ، حدثنا إبراهيم بن بشار ، سمعت سفيان بن عيينة يقول : لقي عيسى ابن مريم إبليس فقال له إبليس : ياعيسى ابن مريم .. الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تكلمت في المهد صبياً ، ولم يتكلم فيه أحد قبلك . قال : بل الربوبية للإله الذي أنطقني ثم يميتني ثم يحييني . قال : فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تحيي الموتى . قال : بل الربوبية لله الذي يحيي ويميت من أحييت ثم يحييه . قال : والله إنك لإله في السماء وإله في الأرض . قال : فصكه جبريل بجناحيه فما نباها دون قرون الشمس . ثم صكه أخرى بجناحيه فما نباها دون العين الحامية ، ثم صكه أخرى فأدخله بحار السابعة فأساخه ، وفي رواية : فأسلكه فيها ، حتى وجد طعم الحمأة فخرج منها وهو يقول : ما لقي أحد من أحد ما لقيت منك يابن مريم .

وقد روى نحو هذا بأبسط منه من وجه آخر ، فقال الحافظ أبو بكر الخطيب : أخبرني أبو الحسن بن رزقويه ، أنبأنا أبو بكر أحمد ابن سيدي ، حدثنا أبو محمد الحسن بن على القطان ، حدتنا إسماعيل ابن عيسى العطار ، أنبأنا علي بن عاصم ، حدثني أبو سلمة سويد عن بعض أصحابه ، قال : صلى عيسى ببيت المقدس فانصرف ، فلما كان ببعض العقبة عرض له إبليس فاحتبسه فجعل يعرض عليه ويكلمه ويقول له : إنه لا ينبغي لك أن تكون عبداً . فأكثر عليه وجعل عيسى يحرص على أن يتخلص منه ، فجعل لا يتخلص منه فقال له فيما يقول : لا ينبغي لك ياعيسى أن تكون عبداً . قال : فاستغاث عيسى بربه ، فأقبل جبريل وميكائيل فلما رآهما إبليس كف ، فلما استقر معه على العقبة اكتنفا عيسى وضرب جبريل إبليس بجناحه فقذفه في بطن الوادي . قال : فعاد إبليس معه وعلم أنهما لم يؤمرا بغير ذلك . فقال لعيسى : قد أخبرتك أنه لا ينبغي أن تكون عبداً ، إن غضبك ليس بغضب عبد ، وقد رأيت ما لقيت

منـك حين غضبت ولكن أدعوك لأمر هو لـك ، آمر الشيـاطين فليطيعوك فـإذا رأى البشر أن الشياطين أطاعوك عبـدوك ، أمـا إني لا أقول أن تكون أنت إلهاً في الأرض . فلما سمع عيسى ذلك منه استغـاث بربـه وصرخ صرخـة شـديـدة ، فـإذا إسرافيل قـد هـبط فنظر إليـه جبريل وميكائيل فكف إبليس ، فلما استقر معهم ضرب إسرافيل إبليس بجناحه فصك بـه عين الشمس ، ثم ضربه ضربة أخرى فأقبل إبليس يهوى ومر عيسى وهو بمكانه فقـال : يـاعيسى .. لقـد لقيت فيك اليوم تعباً شديداً . فرمى به في عين الشمس ، فوجد سبعة أملاك عند العين الحامية قال : فغطوه فجعل كلما خرج غطوه في تلك الحمأة قال : والله ما عاد إليه بعد .

قال : وحدثنا إسماعيل العطار ، حدثنا أبو حذيفـة قـال : واجتمع اليـه شيـاطينـه فقـالوا : سيدنا .. لقد لقيت تعباً ، قال : إن هـذا عبـد معصوم ليس لي عليـه من سبيل ، وسـأضل بـه بشراً كثيراً وأبث فيهم أهواء مختلفـة وأجعلهم شيعـاً ,ويجعلونـه وأمـه إلهين من دون الله . قـال : وأنزل الله فيما أيـد بـه عيسى وعصمـه من إبليس قرآنـاً نـاطقـاً يـذكر نعمتـه على عيسى فقـال : ﴿ ياعيسى ابنَ مَرْيَم اذْكُر نِعْمتي عَليكَ وعلَى وَالِدتكَ إذْ أيّدتُك برُوحِ القُدُسِ ﴾ يعني إذ قـويتـك بروح القـدس ، يعني جبريـل ﴿ تُكلِّم النَّاسَ في المَهْدِ وكَهْلا ، وإذْ علَّمتـكَ الكِتـابَ والحِكْمـةَ والتَّوراةَ والإنْجيـل ، وإذْ تَخلُـقُ مِنَ الطِّين كَهيْئِـةِ الطَّيْر ... ﴾ الآيـة كلهـا وإذ جعلت المساكين لك بطانة وصحابة وأعواناً ترضي بهم وصحابة وأعواناً يرضون بك هادياً وقائـداً إلى الجنة ، فذلك فاعلم خلقان عظيمان من لقيني بهما فقد لقيني بأزكى الخلائق وأرضاها عندي .

وسيقول لك بنو إسرائيل صمنـا فلم يُتقبل صيـامنـا وصلينـا فلم تقبل صلاتنـا وتصـدقنـا فلم تقبل صدقـاتنـا وبكينـا بمثل حنين الجمـال فلم يرحم بكاؤنـا . فقـل لهم : ولم ذلـك ومـا الـذي يمنعني ؟ أن ذات يدي قلت ؟ أو ليس خزائن السموات والأرض بيدي أنفق منهـا كيف أشـاء . أو أن البخـل يعتريني ، أو لست أجـود من سئـل وأوسع من أعطى . أو أن رحمتي ضـاقت ؟ وإنما يتراحم المتراحمون بفضل رحمتي .

ولـولا أن هـؤلاء القـوم يـاعيسى ابن مريم غروا أنفسهم بـالحكمـة التي تـورثت في قلـوبهم مـا استـأثروا بـه الـدنيـا أثرة على الآخرة لعرفوا من أين أتوا ، وإذن لأيقنوا أن أنفسهم هي أعـدى الأعـداء لهم ، وكيف أقبل صيـامهم وهم يتقوون عليـه بـالأطعمـة الحرام ، وكيف أقبل صـلاتهم وقلوبهم تركن إلى الـذين يحـاربوني ويستحلـون محـارمي ، وكيف أقبـل صـدقـاتهم وهم يغضبـون الناس عليهم فيأخذونها من غير حلها ، ياعيسى .. إنما أجزى عليها أهلهـا ، وكيف أرحم بكاءهم وأيديهم تقطر من دماء الأنبياء ؟! ازددت عليهم غضباً .

يـاعيسى .. وقضيت يـوم خلقت السمـوات والأرض أنـه من عبـدني وقـال فيكـما بقـولي أن أجعلهم جيرانـك في الـدار ورفقـاءك في المنــازل وشركاءك في الكرامــة ، وقضيت يـوم خلقت السمـوات والأرض أنـه من اتخـذك وأمـك إلٰهين من دون الله أن أجعلهم في الـدرك الأسفـل من النار .

وقضيت يوم خُلقت السموات والأرض أني مثبت هذا الأمر على يدي عبـدي محمـد وأختم بـه الأنبياء والرسل ، ومولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يتزين بـالفحش ولا قوال بـالخنـا ، أسـدده لكل أمر جميل وأهب لـه كل خلـق كريم . وأجعل التقوى ضميره والحكم معقـولـه والـوفـاء طبيعتـه والعـدل سيرتـه والحـق شريعتـه والإسلام ملته ، اسمه أحمد ، أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأغنى به بعـد العـائلـة ، وأرفع به بعد الضعة ، أهـدى بـه وأفتح بـه بين آذان صم وقلوب غلف وأهواء مختلفـة متفرقـة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للنـاس ، يـأمرون بـالمعروف وينهون عن المنكر إخلاصـاً لاسمى وتصديقـاً لمـا جـاءت بـه الرسل ، ألهمهم التسبيح والتقـديس والتهليل في مسـاجـدهم ومجـالسهم وبيوتهم ومنقلبهم ومثواهم ، يصلـون لي قيـامـاً وقعـوداً وركعـاً وسجـوداً ، ويقـاتلـون في سبيلي صفوفاً وزحوفاً ، قربانهم دمـاؤهم وأنـاجيلهم في صـدورهم وقربـانهم في بطونهم ، رهبـان بـالليل ليوث في النهار ، ذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم .

وسنذكر ما يصدق كثيراً من هذا السياق مما سنورده من سور المـائـدة والصف إن شـاء الله وبه الثقة .

وقد روى أبو حذيفة إسحاق بن بشر بـأسـانيـده عن كعب الأحبـار ووهب بن منبـه وابن عبـاس وسلمـان الفـارسي ، دخـل حـديث بعضهم في بعض ، قـالـوا : لمـا بعث عيسى ابن مريم وجاءهم بالبينات جعل المنافقون والكافرون من بني إسرائيل يعجبون ويستهزئون بـه فيقولون : مـا أكل فـلان البـارحـة ومـا ادخر في منزلـه ؟ فيخبرهم ، فيزداد المـؤمنـون إيمـانـاً ، والكافرون والمنافقون شكاً وكفراناً .

وكان عيسى مع ذلـك ليس لـه منزل يـأوي إليـه ، إنما يسيح في الأرض ليس لـه قرار ولا موضع يعرف به ، فكان أول ما أحيا من الموتى أنه مر ذات يوم على امرأة قاعدة عنـد قبر وهي تبكي فقال لهـا : مـالـك أيتهـا المرأة ؟ فقـالـت : مـاتت ابنـة لي لم يكن لي ولـد غيرهـا . وإني عـاهـدت ربي أن لا أبرح من مـوضعي هـذا حتى أذوق مـا ذاقت من المـوت أو يحييهـا الله لي فـانظر إليهـا . فقـال لهـا عيسى : أرأيت إن نظرت إليهـا أراجعــة أنت ؟ قـالـت : نعم .

قالوا : فصلى ركعتين ثم جاء فجلس عند القبر فنادى : يافلانة .. قومي بإذن الله الرحمن فاخرجي . فجاء فجلس عند القبر فنادى الثانية فانصدع القبر بإذن الله ، ثم نادى الثالثة فخرجت وهي تنفض رأسها من التراب ، فقال لها عيسى : ما أبطأ بك عني ؟ فقالت : لما جاءتني الصيحة الأولى بعث الله لي ملكاً فركب خلقي ثم جاءتني الصيحة الثانية فرجع إلى روحي ، ثم جاءتني الصيحة الثالثة فخفت أنها صيحة القيامة فشاب رأسي وحاجباي وأشفار عيني من مخافة القيامة ، ثم أقبلت على أمها فقالت : ياأماه .. ما حملك على أن أذوق كرب الموت مرتين ؟ ياأماه .. اصبري واحتسبي فلا حاجة لي في الدنيا ، ياروح الله وكلمته .. سل ربي أن يردني إلى الآخرة وأن يهون على كرب الموت . فدعا ربه فقبضها إليه واستوت عليها الأرض .

فبلغ ذلك اليهود فازدادوا غضباً .

وقدمنا في عقب قصة نوح أن بني إسرائيل سألوه أن يحي لهم سام بن نوح فدعا الله عز وجل وصلى لله فأحياه الله لهم فحدثهم عن السفينة وأمرها ثم دعا فعاد تراباً .

وقد روى السدي عن أبي صالح وأبي مالك ، عن ابن عباس في خبر ذكره وفيه أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل مات وحمل على سريره فجاء عيسى عليه السلام فدعا الله عز وجل فأحياه الله عز وجل ، فرأى الناس أمراً هائلاً ومنظراً عجيباً .

وقال تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ إذْ قالَ اللهُ ياعيسَى ابْنَ مَريَم اذْكُر نِعْمتِي عَليكَ وعلَى وَالدتكَ إذْ أيَّدتُكَ بِرُوحِ القُدس تُكلِّم النَّاسَ في المهْدِ وكَهْلا ، وإذْ عَلَّمتكَ الكِتابَ والحِكْمةَ والتَّوراة والإنْجيلَ ، وإذْ تَخْلقُ مِنَ الطِّينِ كَهيئةِ الطَّيْر بإذْني فتَنْفخُ فِيها فَتكونُ طَيراً بإذْني ، وتُبْرِئ الأكْمَهَ والأبْرصَ بإذْني ، وإذْ تُخْرجُ الموتَى بإذْني ، وإذْ كفَفْتُ بَني إسْرائيلَ عنْك إذْ جِئْتَهُم بالبيِّناتِ فقالَ الذينَ كفَرُوا مِنهُمْ إنْ هٰذا إلاّ سِحْرٌ مُبينٌ * وإذْ أوْحيتُ إلى الحَواريينَ أنْ آمنُوا بِي وبرَسُولي قالُوا آمنَّا واشْهَد بأنَّنا مُسْلمونَ ﴾ [1] .

يذكره تعالى بنعمته عليه وإحسانه إليه في خلقه إياه من غير أب ، بل من أم بلا ذكر ، وجعله له آية للناس ودلالة على كمال قدرته تعالى ثم إرساله بعد هذا كله ﴿ وعلَى وَالدتكَ ﴾ في اصطفائها واختيارها لهذه النعمة العظيمة وإقامة البرهان على براءتها مما نسبها إليه الجاهلون

(١) سورة المائدة الآية ١١٠ .

ولهذا قال : ﴿ إذْ أيّدتكَ بِرُوحِ القُدُسِ ﴾ وهو جبْريل بإلقاء روحه إلى أمه وقرنه معه في حال رسالته ومدافعته عنه لمن كفر به ﴿ تُكلّم النَّاسَ في المهْد وكهْلاً ﴾ أي تدعو الناس إلى الله في حال صغرك في مهدك وفي جهولتك ﴿ وإذْ عَلّمْتك الكِتابَ والحِكْمَةَ ﴾ أي الخط والفهم ، نص عليه بعض السلف ﴿ والتَّوراة والإنْجيلَ ﴾ وقوله : ﴿ وإذْ تَخْلقُ مِنَ الطّينِ كَهيئةِ الطَّيْرِ بإذْني ﴾ أي تصوره وتشكله من الطين على هيئة الطير على أمر الله له بذلك ﴿ فتنْفُخ فِيها فتَكُون طيراً بإذْنِي ﴾ أي بأمري يؤكد تعالى بذكر الإذن له في ذلك لرفع التوهم .

وقوله : ﴿ وتُبْرئُ الأكْمَهَ ﴾ قال بعض السلف : وهو الذي يولد أعمى ولا سبيل لأحد من الحكماء إلى مداواته ﴿ والأبْرصَ ﴾ هو الذي لا طب فيه بل قد مرض بالبرص وصار داؤه عضالا ﴿ وإذْ تُخرجُ الموْتَى ﴾ أي من قبورهم أحياء ﴿ بإذْني ﴾ وقد تقدم ما فيه دلالة على وقوع ذلك مراراً متعددة بما فيها كفاية .

وقوله : ﴿ وإذْ كَففْتُ بَنِي إسْرائيلَ عَنْكَ إذْ جِئْتَهُم بالبَيِّنات فَقالَ الّذينَ كفرُوا مِنْهُم إنْ هٰذا إلاّ سحْرٌ مُبينٌ ﴾ وذلك حين أرادوا صلبه فرفعه الله إليه وأنقذه من بين أظهرهم صيانة لجنابه الكريم عن الأذى ، وسلامة له من الردى .

وقوله : ﴿ وإذْ أَوْحيتُ إلَى الحَوارِيّينَ أنْ آمِنُوا بِي وبِرسُولِي قالُوا آمنَّا واشْهَد بأنَّنا مُسْلِمُونَ ﴾ قيل المراد بهذا الوحي وحي إلهام أي أرشدهم الله إليه ودلهم عليه كما قال : ﴿ وأوْحَي ربُّكَ إلَى النَّحل ﴾[1] ﴿ وأوحَيْنا إلَى أُمِّ مُوسَى أنْ أرْضِعِيه ، فإذَا خِفْتِ عَليْهِ فألقِيهِ في اليَمِّ ﴾[2] وقيل المراد وحي بواسطة الرسول وتوفيق في قلوبهم لقبول الحق ، ولهذا استجابوا قائلين : ﴿ آمنَّا واشْهَد بأنَّنا مُسلِمُونَ ﴾ .

وهذا من جملة نعم الله على عبده ورسوله عيسى ابن مريم أن جعل له أنصاراً وأعواناً ينصرونه ويدعون معه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى لعبده محمد ﷺ ﴿ هُوَ الّذِي أيَّدكَ بنَصْرهِ وبالمؤْمِنِينَ * وألّفَ بيْنَ قُلوبِهم ، لَوْ أنْفقتَ ما في الأرْض جَميعاً ما ألّفتَ بيْنَ قلُوبهم ولكنَّ اللهَ ألّفَ بيْنَهم ، إنهُ عَزيزٌ حَكيمٌ ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ ويُعلّمهُ الكِتابَ والحِكْمةَ والتَوراةَ والإنْجيلَ . ورسُولاً إلى بَني إسْرائيل أنِّي قدْ جِئتكُم بآيةٍ مِنْ ربِّكمْ أنّي أخْلق لَكُم منَ الطّين كَهيْئةِ الطَّيْر فأنْفخُ فِيهِ فيَكونُ طَيراً بإذْنِ الله ، وأُبرئُ الأكْمَهَ والأبْرصَ

(١) سورة النحل الآية ٦٨ .

(٢) سورة القصص الآية ٧ .

(٣) سورة الأنفال آيتا ٦٢ ، ٦٣ .

وأُحْيِ المَوْتَى بإذْنِ اللهِ ، وأُنَبِّئُكُم بِمَا تأكُلُونَ وما تَدَّخِرونَ في بُيُوتِكُم ، إنَّ في ذلِكَ لآيَةً لَكُم إنْ كُنتُم مؤْمنينَ * ومُصدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوراةِ ولأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الذي حُرِّمَ عَلَيْكُم ، وجِئْتُكُم بآيَةٍ مِنْ ربِّكُم فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُون * إنَّ اللهَ رَبِّي ورَبُّكُم فاعْبُدوهُ ، هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ * فلمَّا أَحسَّ عِيسَى مِنهُم الكُفْرَ قالَ مَنْ أنْصارِي إلى اللهِ ، قالَ الحَوارِيُّونَ نَحنُ أنْصارُ اللهِ آمنَّا باللهِ واشْهَد بأنَّا مُسْلِمونَ * ربَّنَا آمنَّا بِمَا أنْزلْتَ واتَّبَعْنا الرَّسولَ فاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدينَ * ومَكَرُوا ومَكَرَ اللهُ ، واللهُ خَيرُ الماكِرِينَ ﴾[1] .

كانت معجزة كل نبي في زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان ، فذكروا أن موسى عليه السلام كانت معجزته مما يناسب أهل زمانه وكانوا سحرة أذكياء ، فبعث بآيات بهرت الأبصار وخضعت لها الرقاب ، ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر وما ينتهي إليه وعاينوا ما عاينوا من الأمر الباهر الهائل الذي لا يمكن صدوره إلا عمن أيده الله وأجرى الخارق على يديه تصديقاً له ، أسلموا سرعاً ولم يتعلثموا .

وهكذا عيسى ابن مريم بعث في زمن الطبائعية الحكماء ، فأرسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها ، وأنّى لحكيم إبراء الأكمه الذي هو أسوأ حالا من الأعمى ، والأبرص والمجذوم ومن به مرض مزمن ، وكيف يتوصل أحد من الخلق إلى أن يقيم الميت من قبره ؟ هذا مما يعلم كل أحد معجزة دالة على صدق من قامت به وعلى قدرة من أرسله .

وهكذا محمد ﷺ وعليهم أجمعين بعث في زمن الفصحاء البلغاء ، فأنزل الله عليه القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فلفظه معجز تحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة ، وقطع عليهم بأنهم لا يقدرون لا في الحال ولا في الاستقبال ، فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا وما ذاك إلا أنه كلام الخالق عز وجل ، والله تعالى لا يشبهه شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

والمقصود أن عيسى عليه السلام لما أقام عليهم الحجج والبراهين استمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطغيانهم ، فانتدب من بينهم طائفة صالحة فكانوا له أنصاراً وأعواناً قاموا بمتابعته ونصرته ومناصحته ، وذلك حين هم به بنو إسرائيل ووشوا به إلى بعض ملوك ذلك الزمان ، فعزموا على قتله وصلبه فأنقذه الله منهم ورفعه إليه من بين أظهرهم وألقى شبهه على أحد أصحابه فأخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يعتقدونه عيسى وهم في ذلك غالطون وللحق

(١) سورة آل عمران آيات ٤٨ ـ ٥٤

مكابرون ، وسلم لهم كثير من النصارى ما ادعوه ، وكلا الفريقين في ذلك مخطئون .

قال تعالى : ﴿ ومَكرُوا ومَكر اللهُ واللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ وإذْ قالَ عِيسَى ابنُ مَرْيمِ يابَنِي اسرائِيلَ إنِّي رَسُولُ اللهِ إليْكَم مُصدّقاً لما بيْنَ يَديَّ مِنَ التَّوراةِ ومُبشِّراً برَسُول يأْتِي مِنْ بَعْدي اسْمُه أحْمَد ، فلمَّا جاءَهُم بالبيِّنات قالُوا هذا سِحرٌ مُبينٌ * ومَنْ أظْلمُ مِمَّن افترَى علَى اللهِ الكَذبَ وهُوَ يُدْعَى إلَى الإسْلامَ ، واللهُ لا يَهْدي القَومَ الظَّالمينَ * يُريدُونَ ليُطفئُوا نُورَ اللهِ بأفْواهِهِم واللهَ مِتمٌّ نُورهِ وَلوْ كَرِهَ الكافِرُونَ ﴾[2] إلى أن قال بعد ذلك : ﴿ ياأيُّها الذِينَ آمنُوا كونُوا أنْصارَ اللهِ كَما قالَ عِيسَى ابنُ مَريَم للحَواريِّينَ مَنْ أنْصاري إلَى اللهِ ، قالَ الحَوارِيُّونَ نَحنُ أنْصارُ اللهِ ، فآمَنَت طائِفَةٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ وكَفَرت طائِفةٌ ، فأيَّدنا الَّذينَ آمنُوا علَى عَدوِّهِم فأصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾[3] .

فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل وقد قام فيهم خطيباً فبشرهم بخاتم الأنبياء الآتي بعده ونوه باسمه وذكر لهم صفته ليعرفوه ويتابعوه إذا شاهدوه ، إقامة للحجة عليهم وإحساناً من الله إليهم كما قال تعالى : ﴿ الذِينَ يتَّبعُونَ الرَّسولَ النَّبيَّ الأُميَّ الَّذي يَجدُونَهُ مَكْتوباً عِنْدَهم في التَّوراةِ والإنْجيلِ يأْمُرهُم بالمعْرُوفِ وينْهاهُم عَنِ المنْكَرِ ويُحلُّ لَهُم الطَّيِّباتِ ويُحرِّم عَليْهُم الخَبائثَ ويَضعُ عَنْهمْ إصْرهُم والأغْلالَ الَّتي كانَتْ عَليْهِم ، فالذينَ آمنُوا بهَ وَعَزَّروه ونَصرُوهُ واتَّبعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزلَ مَعهُ أُولئكَ هُمُ المفْلِحونَ ﴾[4] .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا : يارسول الله .. أخبرنا عن نفسك . قال : « دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام » .

وقد روى عن العرباض بن سارية وأبي أمامة عن النبي ﷺ نحو هذا وفيه : دعوة أبي إبراهيمَ وبشرى عيسى وذلك أن إبراهيم لما بنى الكعبة قال : ﴿ ربنا وابْعَث فِيهِم رسُولاً مِنْهُم ﴾[5] الآية . ولما انتهت النبوة في بني إسرائيل إلى عيسى قام فيهم خطيباً فأخبرهم أن النبوة قد انقطعت عنهم وأنها بعْده في النبي العربي الأمي خاتم الأنبياء على الإطلاق أحمد ، وهو

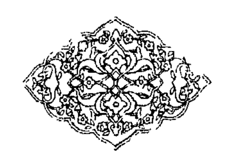
(١) سورة آل عمران الآية ٥٤ .
(٢) سورة الصف آيات ٦ ـ ٨ .
(٣) سورة الصف الاية ١٤ .
(٤) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .
(٥) سورة البقرة الآية ١٢٩.

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الذي هو من سلالة إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام .

قال الله تعالى : ﴿ فلمّا جاءَهُم بالبيّناتِ قالُوا هٰذا سِحرٌ مُبينٌ ﴾ يحتمل عود الضمير إلى عيسى عليه السلام ويحتمل عوده إلى محمد ﷺ .

ثم حرض تعالى عباده المؤمنين على نصرة الإسلام وأهله ونصرة نبيه ومؤازرته ومعاونته على إقامة الدين ونشر الدعوة فقال : ﴿ يا أيُّها الذِينَ آمنُوا كُونُوا أنْصَارَ اللهِ كَما قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَم للحَوارِيِّينَ مَنْ أنْصارِي إلَى اللهِ ﴾ أي من يساعدني في الدعوة ، إلى الله ﴿ قالَ الحَوارِيُّونَ نحْنُ أنصارُ اللهِ ﴾ وكان ذلك في قرية يقال لها الناصرة فسموا بذلك النصارى ، قال الله تعالى : ﴿ فآمنَتْ طائِفةٌ مِنْ بَنِي إسرائيلَ وكَفَرت طائِفةٌ ﴾ يعني لما دعا عيسى ابن مريم بني إسرائيل وغيرهم إلى الله تعالى ، منهم من آمن ومنهم من كفر ، وكان ممن آمن به أهل أنطاكية بكاملهم فيما ذكره غير واحد من أهل السير والتواريخ والتفسير بعث إليهم رسلا ثلاثة ، أحدهم شمعون الصفا فآمنوا واستجابوا ، وليس هؤلاء هم المذكورون في سورة يس لما تقدم تقريره في قصة أصحاب القرية ، وكفر آخرون من بني إسرائيل وهم جمهور اليهود ، فأيد الله من آمن به على من كفر فيما بعد وأصبحوا ظاهرين عليهم قاهرين لهم كما قال تعالى : ﴿ إذْ قالَ اللهُ ياعيسَى إنِّي مُتوفِّيكَ ورَافِعكَ إليَّ ومُطهِّرك مِنَ الَّذينَ كفَرُوا وجَاعِل الَّذينَ اتَّبعُوكَ فَوقَ الذِينَ كَفرُوا إلَى يَوْم القِيامَةِ ﴾ الآية فكل من كان إليه أقرب كان غالباً لمن دونه ، ولما كان قول المسلمين فيه هو الحق الذي لاشك فيه من أنه عبد الله ورسوله كانوا ظاهرين على النصارى الذين غلوا فيه وأطروه وأنزلوه فوق ما أنزله الله به .

ولما كان النصارى أقرب في الجملة مما ذهب إليه اليهود فيه عليهم لعائن الله ، كان النصارى قاهرين لليهود في أزمان الفترة إلى زمن الإسلام وأهله .



خبر المائدة

قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ، قَالَ اتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ، وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ، فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

قد ذكرنا في التفسير الآثار الواردة في نزول المائدة عن ابن عباس وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر وغيرهما من السلف .

ومضمون ذلك : أن عيسى عليه السلام أمر الحواريين بصيام ثلاثين يوماً ، فلما أتموها سألوا من عيسى إنزال مائدة من السماء عليهم ليأكلوا منها وتطمئن بذلك قلوبهم أن الله قد تقبل صيامهم وأجابهم إلى طلبتهم ، وتكون لهم عيداً يفطرون عليها يوم فطرهم ، وتكون كافية لأولهم وآخرهم لغنيهم وفقيرهم ، فوعظهم عيسى عليه السلام في ذلك وخاف عليهم ألا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها فأبوا عليه إلا أنْ يسأل لهم ذلك من ربه عز وجل .

فلما لم يقلعوا عن ذلك قام إلى مصلاه ولبس مسحاً من شعر وصف بين قدميه وأطرق رأسه وأسبل عينيه بالبكاء وتضرع إلى الله في الدعاء والسؤال أن يجابوا إلى ماطلبوا .

فأنزل الله تعالى المائدة من السماء والناس ينظرون إليها تنحدر بين غمامتين ،وجعلت تدنوا قليلاً قليلاً ، وكلما دنت سأل عيسى ربه عز وجل أن يجعلها رحمة لانقمة وأن يجعلها بركة وسلامة . فلم تزل تدنوا حتى استقرت بين يدي عيسى عليه السلام وهي مغطاة بمنديل فقام عيسى يكشف عنها وهو يقول : « بسم الله خير الرازقين » فإذا عليها سبعة من الحيتان وسبعة أرغفة . ويقال : وخل ، ويقال : ورمان وثمار ، ولها رائحة عظيمة جداً ، قال الله كوني فكانت .

ثم أمرهم بالأكل منها ، فقالوا : لانأكل حتى تأكل . فقال : إنكم الذين ابتدأتم السؤال لها ،

---

(١) سورة المائدة آيات ١١٢ ـ ١١٥ .

فأبوا أن يأكلوا منها ابتداء ، فأمر الفقراء والمحاويج والمرضى والزمني وكانوا قريباً من ألف وثلاثمائة فأكلوا منها فبرأ كل من به عاهة أو آفة أو مرض مزمن ، فندم الناس على ترك الأكل منها لما رأوا من إصلاح حال أولئك . ثم قيل إنها كانت تنزل كل يوم مرة فيأكل الناس منها ، يأكل آخرهم كما يأكل أولهم حتي قيل إنها كان يأكل منها نحو سبعة آلاف .

ثم كانت تنزل يوماً بعد يوم ، كما كانت ناقة صالح يشربون لبنها يوماً بعد يوم . ثم أمر الله عيسى أن يقصرها على الفقراء أو المحاويج دون الأغنياء . فشق ذلك على كثير من الناس وتكلم منافقوهم في ذلك ، فرفعت بالكلية ومسخ الذين تكلموا في ذلك خنازير .

وقد روى ابن أبي حاتم وابن جرير جميعاً ، حدثنا الحسن بن قزعة الباهلي ، حدثنا سفيان ابن حبيب ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة عن خلاس ، عن عمار بن ياسر ، عن النبي ﷺ قال : « نزلت المائدة من السماء خبز ولحم وأمروا ألا يخونوا ولا يدخروا ولا يرفعوا لغد ، فخانوا وادخروا ورفعوا ، فمسخوا قردة وخنازير » .

ثم رواه ابن جرير عن بندار ، عن ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن خلاس ، عن عمار موقوفاً . وهذا أصح . وكذا رواه من طريق سماك ، عن رجل من بني عجل ، عن عمار موقوفاً . وهو الصواب .. والله أعلم .

وخلاس عن عمار منقطع ، فلو صح هذا الحديث مرفوعاً لكان فيصلاً في هذه القصة ، فإن العلماء اختلفوا في المائدة : هل نزلت أولا ؟ فالجمهور أنها نزلت كما دلت عليه هذه الآثار كما هو المفهوم من ظاهر سياق القرآن ولا سيما قوله : ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ كما قرره ابن جرير والله أعلم .

وقد روى ابن جرير بإسناد صحيح إلى مجاهد وإلى الحسن بن أبي الحسن البصري . أنهما قالا : لم تنزل وإنهم أبوا نزولها حين قال : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ ﴾ ولهذا قيل إن النصارى لايعرفون خبر المائدة وليس مذكوراً في كتابهم ، مع أن خبرها مما تتوافر الدواعي على نقله .. والله أعلم .

وقد تقصينا الكلام على ذلك في التفسير فليكتب من هناك ، ومن أراد مراجعته فلينظره من ثم .. ولله الحمد والمنة .

قال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا رجل سقط اسمه ، حدثنا حجاج بن محمد ، حدثنا أبو هلال محمد بن سليمان ، عن بكر بن عبد الله المزني قال : فقد الحواريون نبيهم عيسى فقيل لهم توجه نحو البحر ، فانطلقوا يطلبونه فلما انتهوا إلى البحر إذا هو يمشي على المائدة يرفعه الموج مرة ويضعه أخرى . وعليه كساء مرتد بنصفه ومؤتزر بنصفه ، حتى انتهى إليهم فقال له بعضهم ، قال أبو هلال ظننت أنه من أفاضلهم : ألا أجيء إليك يانبي الله ؟ قال : بلى . قال : فوضع إحدى رجليه على الماء ثم ذهب ليضع الأخرى فقال : أوه .. غرقت يانبي الله . فقال : أرني يدك ياقصير الإيمان ، لو أن لابن آدم من اليقين قدر شعيرة مشى على الماء !

ورواه أبو سعيد عن الأعرابي ، عن إبراهيم بن أبي الجحيم ، عن سليمان بن حرب ، عن أبي هلال بن بكر بنحوه .

ثم قال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن سفيان ، حدثنا إبراهيم بن الأشعث ، عن الفضيل بن عياش ، قال : قيل لعيسى ابن مريم : ياعيسى .. بأي شيء تمشي على الماء ؟ قال : بالإيمان واليقين . قالوا : فإنا آمنا كما آمنت وأيقنا كما أيقنت . قال : فامشوا إذن . قال : فمشوا معه في الموج فغرقوا فقال لهم عيسى : مالكم ؟ فقالوا : خفنا الموج . قال : ألا خفتم رب الموج ؟! قال : فأخرجهم . ثم ضرب بيده إلى الأرض فقبض بها ثم بسطها . فإذا في إحدى يديه ذهب وفي الأخرى مدر ـ أو حصى ـ فقال : أيها أحلى في قلوبكم ؟ قالوا : هذا الذهب . قال : فإنها عندي سواء !

وقدمنا في قصة يحيى بن زكريا عن بعض السلف أن عيسى عليه السلام كان يلبس الشعر ويأكل من ورق الشجر ولا يأوي إلى منزل ولا أهل ولا مال ولايدخر شيئاً لغد . قال بعضهم : كان يأكل من غزل أمه .. صلوات الله وسلامه عليه .

وروى ابن عساكر عن الشعبي أنه قال : كان عيسى عليه السلام إذا ذكر عنده الساعة صاح ويقول لاينبغي لابن مريم أن يذكر عنده الساعة ويسكت .

وعن عبد الملك بن سعيد بن أبجر أن عيسى كان إذا سمع الموعظة صرخ صراخ الثكلي .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر : حدثنا جعفر بن بلقان ، أن عيسى كان يقول : « اللهم

إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو ، وأصبح الأمر بيدي غيري ،وأصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير أفقر مني ؟ اللهم لاتشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي ، ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تسلط علي من لايرحمني » .

قال الفضيل بن عياض عن يونس بن عبيد ، كان عيسى يقول : لايصيب أحد حقيقة الإيمان حتى لايبالي من أكل الدنيا !

قال الفضيل : وكان عيسى يقول : فكرت في الخلق فوجدت من لم يخلق أغبط عندي ممن خلق !

وقال إسحاق بن بشر ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، قال : إن عيسى رأس الزاهدين يوم القيامة . قال : وإن الفزارين بذنوبهم يحشرون يوم القيامة مع عيسى .

قال : وبينما عيسى يوماً نائم على حجر قد توسده وقد وجد لذة النوم إذ مر به إبليس فقال : ياعيسى .. ألست تزعم أنك لاتريد شيئاً من عرض الدنيا ؟ فهذا الحجر من عرض الدنيا . قال : فقام عيسى فأخذ الحجر فرمي به إليه ، وقال : هذا لك مع الدنيا !

وقال معتمر بن سليمان : خرج عيسى على أصحابه وعليه جبة صوف وكسان وتبان حافياً باكياً شعثاً مصفر اللون من الجوع يابس الشفتين من العطش فقال : السلام عليكم يابني إسرائيل ، أنا الذي أنزلت الدنيا منزلتها بإذن الله ولا عجب ولا فخر ، أتدرون أين بيتي ؟ قالوا : أين بيتك ياروح الله ؟ قال : بيتي المساجد ، وطيي الماء ، وأدامي الجوع ، وسراجي القمر بالليل ، وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس ، وريحاني بقول الأرض ، ولباسي الصوف ، وشعاري خوف رب العزة ، وجلسائي الزمني والمساكين ، أصبح وليس لي شيء وأمسى وليس لي شيء ، وأنا طيب النفس غير مكترث فمن أغني مني وأربح ! رواه ابن عساكر .

وروى في ترجمة محمد بن الوليد بن أبان بن حبان أبي الحسن العقيلي المصرى ، حدثنا هانئ ابن المتوكل الإسكندراني ، عن حيوة بن شريح ، حدثني الوليد بن أبي الوليد ، عن شفي بن ماتع ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : أوحي الله تعالى إلى عيسى : أن ياعيسى .. انتقل من مكان إلى مكان لئلا تعرف فتؤذي ، فوعزتي وجلالي لأزوجنك ألف حوراء ولألمن عليك أربعمائة عام .

وهذا حديث غريب رفعه ، وقد يكون موقوفاً من رواية شفي ابن ماتع ، عن كعب الأحبار أو غيره من الإسرائيلين .. والله أعلم .

وقال عبد الله بن المبارك : عن سفيان بن عيينة ، عن خلف بن حوشب ، قال : قال عيسى للحواريين : كما ترك لكم الملوك الحكمة فكذلك فاتركوا لهم الدنيا .

وقال قتادة : قال عيسى عليه السلام : سلوني فإني لين القلب وإني صغير عند نفسي .

وقال إسماعيل بن عياش ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : قال عيسى للحواريين : كلوا خبز الشعير واشربوا الماء القراح واخرجوا من الدنيا سالمين آمنين ، بحق ما أقول لكم إن حلاوة الدنيا مرارة الآخرة ، وإن مرارة الدنيا حلاوة الآخرة ، وإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين ، بحق ما أقول لكم إن شركم عالم يؤثر هواه على عالمه يود أن الناس كلهم مثله . وروى نحوه عن أبي هريرة .

قال أبو مصعب عن مالك إنه بلغه أن عيسى كان يقول : يابني إسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البرير وخبز الشعير ، وإياكم وخبز البر فإنكم لن تقوموا بشكره .

وقال ابن وهب ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد قال : كان عيسى يقول : اعبروا الدنيا ولا تعمروها . وكان يقول : حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والنظر يزرع في القلب الشهوة .

وحكى وهيب بن الورد مثله وزاد : ورب شهوة أورثت أهلها حزنا طويلاً .

وعن عيسى عليه السلام : يا ابن آدم الضعيف .. اتق الله حيث ما كنت ، وكن في الدنيا ضيفاً ، واتخذ المساجد بيتاً ، وعلم عينك البكاء وجسدك الصبر وقلبك التفكر ، ولاتهتم برزق غد فإنها خطيئة .

وعنه عليه السلام أنه قال : كما أنه لايستطيع أحدكم أن يتخذ على موج البحر داراً فلا يتخذ الدنيا قراراً .

وفي هذا يقول سابق البربري :

لكم بيوت بمستن السيوف وهل يبني على الماء بيت أسه مدر !

وقال سفيان الثوري : قال عيسى ابن مريم : لايستقيم حب الدنيا وحب الآخرة في قلب

مؤمن كما لايستقيم الماء والنار في إناء .

وقال إبراهيم الحربي عن داود بن رشيد ، عن أبي عبد الله الصوفي قال : قال عيسى : طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر ، كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتي يقتله .

وعن عيسى عليه السلام : إن الشيطان مع الدنيا ومكره مع الماء وتزينه مع الهوى ، واستمكانه عند الشهوات .

وقال الأعمش عن خيثمة : كان عيسى يضع الطعام لأصحابه ويقوم عليهم ويقول : هكذا فاصنعوا بالقرى .

وبه قالت امرأة لعيسى عليه السلام : طوبي لِحِجْر حملك ولثدي أرضعك . فقال : طوبي لمن قرأ كتاب الله واتبعه .

وعنه : طوبى لمن بكي من ذكر خطيئته وحفظ لسانه ووسعه بيته .

وعنه : طوبى لعين نامت ولم تحدث نفسها بالمعصية وانتبهت إلى غير إثم .

وعن مالك بن دينار قال : مر عيسى وأصحابه بجيفة فقالوا : ما أنتن ريحها . فقال : ما أبيض أسنانها . لينهاهم عن الغيبة .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : يحدثنا الحسين بن عبد الرحمن ، عن زكريا بن عدي قال : قال عيسى ابن مريم : يامعشر الحواريين .. ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا . قال زكريا : وفي ذلك يقول الشاعر :

أرى رجالاً بأدني الدين قد قنعوا ... ولا أراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما ... استغني الملوك بدنياهم عن الدين

وقال أبو مصعب عن مالك قال عيسى ابن مريم عليه السلام : « لاتكثروا الحديث بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لاتعلمون ، ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب وانظروا فيها كأنكم عبيد ، فإنما الناس رجلان معافى ومبتلى فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية » .

وقال الثوري : سمعت أبي يقول عن إبراهيم التيمي ، قال : قال عيسى لأصحابه : بحق أقول لكم .. من طلب الفردوس فخبز الشعير والنوم في المزابل مع الكلاب كثير .

وقال مالك بن دينار : قال عيسى : إن أكل الشعير مع الرماد والنوم على المزابل مع الكلاب لقليل في طلب الفردوس .

وقال عبد الله بن المبارك : أنبأنا سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، قال : قال عيسى : اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم ، انظروا إلى هذه الطير تغدو وتروح لاتحرث ولا تحصد والله يرزقها ، فإن قلتم نحن أعظم بطوناً من الطير فانظروا إلى هذه الأباقير من الوحوش والحمر فإنها تغدو لاتحرث ولا تحصد والله يرزقها .

وقال صفوان بن عمرو : عن شريح بن عبد الله ، عن يزيد بن ميسرة ، قال : قال الحواريون للمسيح : يامسيح الله .. انظر إلى مسجد الله ما أحسنه . قال : آمين آمين .. بحق ما اقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجراً قائماً إلا أهلكه بذنوب أهله ، إن الله لايصنع بالذهب ولا الفضة ولا بهذه الأحجار التي تعجبكم شيئاً إن أحب إلى الله منها القلوب الصالحة وبها يعمر الله الأرض ،وبها يخرب الله الأرض إذا كانت على غير ذلك .

وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه : أخبرنا أبو منصور بن محمد الصوفي : أخبرتنا عائشة بنت الحسن بن إبراهيم الوركانية ، قالت : حدثنا أبو محمد عبد الله بن عمر بن عبد الله ابن الهشيم إملاء ، حدثنا الوليد بن أبان إملاء ، حدثنا أحمد بن جعفر الرازي ، حدثنا سهيل بن إبراهيم الحنظلي ، حدثنا عبد الوهاب بن عبد العزيز ، عن المعتمر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « مر عيسى عليه السلام على مدينة خربة ، فأعجبه البنيان فقال : أري رب .. مر هذه المدينة أن تجيبني ». فأوحي الله إلى المدينة : أيتها المدينة الخربة جاوبي عيسى . قال : فنادت المدينة : عيسى حبيبي وما تريد مني ؟ قال : مافعلت أشجارك وما فعل أنهارك وما فعل قصورك وأين سكانك ؟ قالت : حبيبي .. جاء وعد ربك الحق فيبست أشجاري ونشفت أنهاري وخربت قصوري ومات سكاني . قال : فأين أموالهم ؟ فقالت : جمعوها من الحلال والحرام موضوعة في بطني ، لله ميراث السموات والأرض ، قال : فنادى عيسى عليه السلام : تعجبت من ثلاثة أناس : طالب الدنيا والموت يطلبه ، وباني القصور والقبور منزله ، ومن يضحك ملء فيه والنار أمامه ! ابن آدم .. لا بالكثير تشبع ولا بالقليل تقنع ، تجمع مالك لمن لايحمدك وتقدم على رب لايعذرك ، إنما أنت عبد بطنك وشهوتك ، وإنما تملأ بطنك إذا دخلت قبرك ، وأنت ياابن آدم ترى حشد مالك في ميزان غيرك .

هذا حديث غريب جدًّا وفيه موعظة حسنة فكتبناه لذلك .

وقال سفيان الثوري عن أبيه ، عن إبراهيم التيمي ، قال عيسى عليه السلام : يامعشر الحواريين .. اجعلوا كنوزكم في السماء فإن قلبُ الرجل حيث كنزه .

وقال ثور بن زيد ، عن عبد العزيز بن ظبيان قال : قال عيسى ابن مريم عليه السلام : من تعلم وعلم وعمل دعي عظيما في ملكوت السماء .

وقال أبو كريب : روى أن عيسى عليه السلام قال : لاخير في علم لايعبر معك الوادي ويعبر بك النادي .

وروي ابن عساكر بإسناد غريب عن ابن عباس مرفوعاً : أن عيسى قام في بني إسرائيل فقال : يامعشر الحواريين .. لا تحدثوا بالحكم غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، والأمور ثلاثة : أمر تبين رشده فاتبعوه وأمر تبين غيه فاجتنبوه ،وأمر اختلف عليكم فيه فردوا علمه إلى الله عز وجل .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن رجل ، عن عكرمة قال : قال عيسى : لاتطرحوا اللؤلؤ إلى الخنزير فإن الخنزير لايصنع باللؤلؤ شيئاً ، ولا تعطوا الحكمة من لايريدها ، فإن الحكمة خير من اللؤلؤ ومن لايريدها شر من الخنزير .

وكذا حكي وهب وغيره عنه أنه قال لأصحابه : أنتم ملح الأرض فإذا فسدتم فلا دواء لكم ، وإن فيكم خصلتين من الجهل ، الضحك من غير عجب والصبحة من عير سهر .

وعنه أنه قيل له : من أشد الناس فتنة ؟ قال : زلة العالم ، فإن العالم إذا زل يزل بزلته عالم كثير .

وعنه أنه قال : ياعلماء السوء جعلتم الدنيا على رءوسكم والآخرة تحت أقدامكم ، قولكم شفاء وعملكم داء مثلكم مثل شجرة الدقلي تعجب من رآها وتقتل من أكلها .

وقال وهب : قال عيسى : ياعلماء السوء جلستم على أبواب الجنة فلا تدخلونها ولا تدعون المساكين يدخلونها ، إن شر الناس عند الله عالم يطلب الدنيا بعلمه .

وقال مكحول : التقي يحي وعيسى ، فصافحه عيسى وهو يضحك فقال له يحي : يا ابن الخالة مالي أراك ضاحكاً كأنك قد أمنت ؟ فقال له عيسى : مالي أراك عابساً كأنك قد يئست ! فأوحي الله إليهما : إن أحبكما إليَّ أبشكما بصاحبه .

وقال وهب بن منبه : وقف عيسى هو وأصحابه على قبر وصاحبه يدلي فيه ، فجعلوا يذكرون القبر وضيقه فقال : قد كنتم فيما هو أضيق منه في أرحام أمهاتكم ، فإذا أحب الله أن يوسع وسع .

وقال أبو عمر الضرير : بلغني أن عيسى كان إذا ذكر الموت يقطر جلده دماً .

والآثار في مثل هذه كثيرة جداً . وقد أورد الحافظ ابن عساكر منها طرفاً صالحاً اقتصرنا على هذا القدر .. والله الموفق للصواب .

رفع عيسى عليه السلام إلى السماء

قال الله تعالى : ﴿ ومَكَرُوا ومَكَر الله ،واللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ * إذْ قالَ اللهُ ياعِيسَى إنِّي مُتَوفِّيكَ ورافِعكَ إليَّ ومُطهِّركَ مِنْ الَّذينَ كفَرُوا وجاعِلُ الَّذِينَ اتَّبعُوكَ فَوقَ الَّذِينَ كفَرُوا إلَي يَوْم القيامَةِ ، ثمّ إليَّ مرْجِعُكمْ فأحْكُم بيْنَكمْ فِيما كنْتُم فيهِ تخْتَلفُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فَبِما نَقْضِهِم مِيثَاقَهُم وكُفْرهِم بآياتِ اللهِ وقَتْلهمُ الأنْبياءَ بِغَيْرِ حَقّ وقَوْلهم قُلُوبُنا غُلفٌ ، بلْ طَبَع اللهُ عَليْها بكُفْرهِم فلاَ يؤْمِنُونَ إلاَّ قَليلاً * وبِكُفْرهِم وقَوْلِهِم عَلَى مَرْيمَ بُهْتاناً عَظيماً * وقَولِهِمْ إنَّا قَتلْنا المسيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَم رسُولَ اللهِ وما قَتَلُوهُ وما صَلبُوهُ ولكنْ شُبِّهَ لَهُم ، وإنَّ الذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَك مِنهُ ، مالَهُم بهِ مِنْ عِلْمٍ إلا اتِّباعَ الظَّنِّ ، وما قَتلوهُ يَقِيناً * بلْ رَفعهُ اللهُ إليْهِ ، وكانَ اللهُ عَزيزاً حَكيماً * وإنْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ إلاَّ ليؤْمِننَّ بهِ قَبْل مَوْتِه ، ويَوْم القِيامَةِ يَكونُ عَلَيهِم شَهِيداً ﴾ (٢) .

(١) سورة آل عمران آيتا ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) سورة النساء آيات ١٥٥ ـ ١٥٩ .

فأخبره تعالى أنه رفعه إلى السماء بعد ماتوفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به ، وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملكوك الكفرة في ذلك الزمان .

قال الحسن البصري ومحمد بن إسحاق : كان اسمه داود بن نورا فأمر بقتله وصلبه ، فحصروه في دار ببيت المقدس ، وذلك عشية الجمعة ليلة السبت ، فلما حان وقت دخولهم ألقى شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده ورفع عيسى من روزنة منْ ذلك البيت إلى السماء ، وأهل البيت ينظرون ، ودخل الشرط فوجدوا ذلك الشاب الذي ألقي عليه شبهه فأخذوه ظانين أنه عيسى فصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه إهانة له ، وسلم لليهود عامة النصارى الذي لم يشاهدوا ما كان من أمر عيسى أنه صلب وضلوا بسبب ذلك ضلالاً مبيناً كثيراً فاحشاً بعيداً .

وأخبر تعالى بقوله : ﴿ وإنْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ إلاّ ليؤْمِنَنّ بِه قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ أي بعد نزوله إلى الأرض في آخر الزمان قبل قيام الساعة ، فإنه ينزل ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام ، كما بينا ذلك بما ورد فيه من الأحاديث عند تفسير هذه الآية الكريمة من سورة النساء ، كما أوردنا ذلك مستقصى في كتاب « الفتن والملاحم » عند أخبار المسيح الدجال ، فذكرنا ما ورد في نزول المسيح المهدي عليه السلام من ذي الجلال لقتل المسيح الدجال الكذاب الداعي إلى الضلال .

وهذا ذكر ما ورد في الآثار في صفة رفعه إلى السماء :

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان . حدثنا أبو معاوية ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً منهم من الحواريين ، يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال : إن منكم من يكفر بي اثنتى عشرة مرة بعد أن آمن بي ، ثم قال : أيكم يلقي عليه شبهي فيقتل مكاني فيكون معي في درجتي ؟ فقال شاب من أحدثهم سنا فقال له : اجلس . ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا . فقال : أنت هو ذاك . فألقي عليه شبه عيسى ، ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء .

قال : وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثنتى عشر مرة بعد أن آمن به وافترقوا ثلاث فرق ، فقالت طائفة : كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء .وهؤلاء اليعقوبية . وقالت فرقة : كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه . وهؤلاء النسطورية . وقالت فرقة : كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ثم رفعه الله إليه . وهؤلاء

المسلمون . فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الإسلام طامسا حتي بعث الله محمداً ﷺ .

قال ابن عباس : وذلك قوله تعالى : ﴿ فأيّدنا الّذينَ آمنُوا عَلَى عَدوِّهِمْ فأصْبَحُوا ظاهِرِينَ ﴾ [1] .

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس على شرط مسلم . ورواه النسائي عن أبي كريب ، عن أبي معاوية به نحوه . ورواه ابن جرير عن مسلم بن جنادة عن أبي معاوية .

وهكذا ذكر غير واحد من السلف ، وممن ذكر ذلك مطولاً محمد بن إسحاق بن يسار .

قال : وجعل عيسى عليه السلام يدعو الله عز وجل أن يؤخر أجله ، يعني ليبلغ الرسالة ويكمل الدعوة ويكثر الناس الدخول في دين الله قيل : وكان عنده من الحواريين اثنا عشر رجلاً : بطرس ويعقوب ابن زبدا ويحنس أخو يعقوب ، وأندراوس ، وفليبس، وأبرثلما ،ومتي ، وتوماس ، ويعقوب بن حلقياً ،و تداوس ، وفتياتيا ، ويودس كريايوطا ، وهذا هو الذي دل اليهود على عيسى .

قال ابن إسحاق : وكان فهيم رجل آخر اسمه سرجس كتمته النصاري وهو الذي ألقي شبه المسيح عليه فصلب عنه . قال : وبعض النصاري يزعم أن الذي صلب عن المسيح وألقي عليه شبهه هو يودس ابن كريايوطا .. والله أعلم .

وقال الضحاك عن ابن عباس : استخلف عيسى شمعون وقتلت اليهود يودس الذي ألقي عليه الشبه .

وقال أحمد بن مروان : حدثنا محمد بن الجهم ، قال : سمعت الفراء ، يقول في قوله : ﴿ ومَكَرُوا ومَكَر اللهُ ، واللهُ خَيرُ الماكِرِينَ ﴾ قال : إن عيسى غاب عن خالته زماناً فأتاها ، فقام رأس الجالوت اليهودي فضرب عليّ عيسى حتى اجتمعوا على باب داره فكسروا الباب ودخل رأس جالوت ليأخذ عيسى فطمس الله عينيه عن عيسى ، ثم خرج إلى أصحابه فقال : لم أره . ومعه سيف مسلول . فقالوا : أنت عيسى وألقى الله شبه عيسى عليه فأخذوه فقتلوه وصلبوه ، فقال جل ذكره : ﴿ وما قتَلُوهُ وما صَلبُوهُ ولكنْ شُبِّه لَهُم ﴾ .

---

(١) سورة الصف الآية ١٤

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد : حدثنا يعقوب القمي ، عن هارون بن عنترة ، عن وهب بن منبه ، قال : أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم ، فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم : سحرتمونا لتبرزن إلينا عيسى أو لنقتلنكم جميعاً . فقال عيسى لأصحابه : من يشتري منكم نفسه اليوم بالجنة ؟ فقال رجل : أنا . فخرج إليهم فقال : أنا عيسى . وقد صوره الله على صورة عيسى . فأخذوه فتقلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا أنهم قد قتلوا عيسى ، فظنت النصاري مثل ذلك أنه عيسى ، ورفع الله عيسى من يومه ذلك .

قال ابن جرير : وحدثنا المثنى ، حدثنا إسحاق ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : إن عيسى ابن مريم لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه ، فدعا الحواريين وصنع لهم طعاماً فقال : احضروني الليلة فإن لي إليكم حاجة . فلما اجتمعوا إليه من الليل عشاهم وقام يخدمهم ، فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضئهم بيده ويمسح أيديهم بثيابه ، فتعاظموا ذلك وتكارهوه فقال : من رد على شيئاً الليلة مما أصنع فليس مني ولا أنا امنه . فأقروه حتي إذا فرغ من ذلك قال : أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي فليكن لكم بي أسوة ، فإنكم ترون أني خيركم فلا يتعظم بعضكم على بعض ، وليبذل بعضكم لبعض نفسه ، كما بذلت نفسي لكم ،وأما حاجتي التي استعنتكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي .

فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أخذهم النوم حتي لم يستطيعوا دعاء ، فجعل يوقظهم ويقول : سبحان الله .. أما تصبرون لي ليلة واحدة تعينوني فيها ؟ فقالوا : والله ماندري مالنا ، والله لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نطيق الليلة سمراً ،وما نريد دعاء إلا حيل بيننا وبينه فقال : يذهب بالراعي وتتفرق الغنم ! وجعل يأتي بكلام نحو هذا ينعي به نفسه .

ثم قال : الحق ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات ، وليبيعني أحدكم بدراهم بسيرة وليأكلن ثمني .

فخرجوا وتفرقوا : وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا : هذا من صحابه . فجحد وقال : ما أنا بصاحبه . فتركوه ، ثم أخذه آخرون فجحد كذلك . ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه .

فلما أصبح أتي أحد الحواريين إلى اليهود فقال : ما تجعلون لي إن دللتكم على المسيح ؟

فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فأخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون : أنت كنت تحيي الموتى وتنتهر الشيطان وتبرئ المجنون ، أفلا تنجي نفسك من هذا الحبل ؟! ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك حتى أتوا به الخشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها فرفعه الله إليه وصلبوا ما شُبِّه لهم فمكث سبعاً .

ثم إن أمه والمرأة التي كان يداويها عيسى فأبرأها الله من الجنون جاءتا تبكيان حيث كان المصلوب فجاءهما عيسى فقال : علام تبكيان ؟ قالتا : عليك . قال : إني قد رفعني الله إليه ولم يصبني إلا خير ، وإن هذا شيء شبه لهم . فأمرا الحواريين أن يلقوني إلى مكان كذا وكذا ، فلقوه إلى ذلك المكان أحد عشر وفقد الذي كان باعه ودل عليه اليهود ، فسأل عنه أصحابه فقالوا إنه ندم على ماصنع فاختنق وقتل نفسه ، فقال : لو تاب لتاب الله عليه ، ثم سألهم عن غلام كان يتبعهم يقال له يحيى فقال : هو معكم فانطلقوا فإنه سيصبح كل إنسان منكم يحدث بلغة قوم فلينذرهم وليدعهم .

وهذا إسناد غريب عجيب ، وهو أصح مما ذكره النصاري لعنهم الله من أن المسيح جاء إلى مريم وهي جالسة تبكي عند جذعة فذأراها مكان المسامير من جسده ، وأخبرها أن روحه رفعت وأن جسده صلب .

وهذا بهت وكذب واختلاق وتحريف وتبديل وزيادة باطلة في الإنجيل على خلاف الحق ومقتضي الدليل .

وحكى الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن حبيب ، فيما بلغه ، أن مريم سألت من بيت الملك بعد ما صلب المصلوب بسبعة أيام ، وهي تحسب أنه ابنها ، أن ينزل جسده ، فأجابهم إلى ذلك ودفن هنالك ، فقالت مريم لأم يحيى : ألا تذهبين بنا نزور قبر المسيح . فذهبتا فلما دنتا من القبر قالت مريم لأم يحيى : ألا تستترين ؟ قالت : وممن أستتر ؟ فقالت : من هذا الرجل الذي هو عند القبر . فقالت أم يحيى : إني لا أرى أحداً فرجت مريم أن يكون جبريل ،وكان قد بعد عهدها به ، فاستوقفت أم يحيى وذهبت نحو القبر فلما دنت من القبر قال لها جبريل ،وعرفته : يامريم .. أين تريدين ؟ فقالت : أزور قبر المسيح فأسلم عليه وأحدث عهداً به . فقال : يامريم .. إن هذا ليس المسيح ، إن الله قد رفع المسيح وطهره من الذين كفروا . ولكن هذا الفتى الذي ألقي شبهه عليه وصلب وقتل مكانه ، وعلامة ذلك أن أهله قد فقدوه فلا يدرون ما فعل به فهم يبكون عليه فإذا كان يوم كذا وكذا فأت غيضة كذا وكذا

فإنك تلقين المسيح .

قال : فرجعت إلى أختها وصعد جبريل فأخبرتها عن جبريل وما قال لها من أمر الغيضة ، فلما كان ذلك اليوم ذهبت فوجدت عيسى في الغيضة فلما رآها أسرع إليها وأكب عليها فقبل رأسها وجعل يدعو لها كما كان يفعل ، وقال : يا أمه .. إن القوم لم يقتلوني ولكن الله رفعني إليه وأذن لي في لقائك والموت يأتيك قريباً فاصبري واذكري الله كثيراً . ثم صعد عيسى فلم تلقه إلا تلك المرة حتى ماتت .

قال : وبلغني أن مريم بقيت بعد عيسى خمس سنين وماتت ولها ثلاث وخمسون سنة . رضي الله عنها وأرضاها .

وقال الحسن البصري : وكان عمر عيسى عليه السلام يوم رفع أربعاً وثلاثين سنة . وفي الحديث : « إن أهل الجنة يدخلونها جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين » وفي الحديث الآخر : « على ميلاد عيسى وحسن يوسف » وكذا قال حماد بن سلمة عن علي بن يزيد ، عن سعيد بن المسيب ، أنه قال : رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .

فأما الحديث الذي رواه الحاكم في مستدركه ويعقوب بن سفيان الفسوي في تاريخه ، عن سعيد بن أبي مريم ، عن نافع بن يزيد ، عن عمارة بن غزية ، عن محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان ، أن أمه فاطمة بنت الحسين حدثته أن عائشة كانت تقول : أخبرتني فاطمة أن رسول الله ﷺ أخبرها أنه لم يكن نبي كان بعده نبي إلا عاش الذي بعده نصف عمر الذي كان قبله ، وأنه أخبرني أن عيسى ابن مريم عاش عشرين ومائة سنة فلا أراني إلا ذاهب على رأس ستين . هذا لفظ الفسوي . فهو حديث غريب .

قال الحافظ ابن عساكر : والصحيح أن عيسى لم يبلغ هذا العمر ، وإنما أراد به مدة مقامه في أمته ، كما روى سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار عن يحي بن جعدة ، قال : قالت فاطمة : قال لي رسول الله ﷺ : « إن عيسى ابن مريم مكث في بني إسرائيل أربعين سنة » وهذا منقطع .

وقال جرير والثوري عن الأعمش ، عن إبراهيم : مكث عيسى في قومه أربعين عاماً .

ويروي عن أمير المؤمنين علي أن عيسى عليه السلام رفع ليلة الثاني والعشرين من رمضان ، وتلك الليلة في مثلها توفي علي بعد طعنه بخمسة أيام .

وقد روى الضحاك عن ابن عباس أن عيسى لما رفع إلى السماء جاءته سحابه فدنت منه حتى جلس عليها وجاءته مريم فودعته وبكت ثم رفع وهي تنظر وألقي إليها عيسى برداً له وقال : هذه علامة مابيني وبينك يوم القيامة وألقى عمامته على شمعون ، وجعلت أمه تودعه بأصبعها تشير بها إليه حتى غاب عنها ، وكانت تحبه حبًّا شديداً ، لأنه توفر عليها حبه من جهتي الوالدين إذ لا أب له ، وكانت لاتفارقه سفراً ولا حضراً وكانت كما قال بعض الشعراء :

وكنت أرى كالموت من بين ساعة فكيف ببين كان موعده الحشر

وذكر إسحاق بن بشر ، عن مجاهد بن جبير أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل شبه لهم وهم يحسبونه المسيح وسلم لهم أكثر النصارى بجهلهم ذلك ، تسلطوا على أصحابه بالقتل والضرب والحبس فبلغ أمرهم إلى صاحب الروم وهو ملك دمشق في ذلك الزمان ، فقيل له : إن اليهود قد تسلطوا على أصحاب رُجل كان يذكر لهم أنه رسول الله وكان يحي الموتي ويبرئ الأكمه والأبرص ويفعل العجائب ، فعدوا عليه فقتلوه وأهانوا أصحابه وحبسوهم فبعث فجيء بهم وفيهم يحي بن زكريا وشمعون وجماعة ، فسألهم عن أمر المسيح فأخبروه عنه ، فبايعهم في دينهم وأعلى كلمتهم وظهر الحق على اليهود وعلت كلمة النصاري عليهم ، وبعث إلى المصلوب فرصع عن جذعه وجيء بالجدع الذي صلب عليه ذلك الرجل فعظمه فمن ثم عظمت النصاري الصليب ، ومن هاهنا دخل دين النصرانية في الروم . وفي هذا نظر من وجوه :

أحدها : أن يحي بن ركريا نبي لايقر على أن المصلوب عيسى ، فإنه معصوم يعلم ما وقع على جهة الحق .

الثاني : أن الروم لم يدخلوا في دين المسيح إلا بعد ثلاثمائة سنة ، وذلك في زمان قسطنطين بن قسطن باني المدينة المنسوبة إليه على ما سنذكره .

الثالث : أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل ثم ألقوه بخشبته جعلوا مكانه مطرحاً للقمامة والنجاسة وجيف الميتات والقاذورات ، فلم يزل كذلك حتى كان في زمان قسطنيطين المذكور فعمدت أمه هيلانة الحرانية الفندقانية فاستخرجته من هنالك معتقدة أنه المسيح ، ووجدوا الخشبة التي صلب عليها المصلوب . فذكروا أنه مامسها ذو عاهة إلا عوفي .. فالله أعلم أكان هذا أملا ، وهل كان هذا لأن ذلك الرجل الذي بذل نفسه كان رجلاً صالحاً أو كان هذا محنة وفتنة لأمة النصارى في ذلك اليوم ، حتى عظموا تلك الخشبة وغشوها بالذهب واللآلئ ،ومن ثم اتخفوا الصلبانات وتبركوا بشكلها وقبلوها ، وأمرت أم الملك هيلانة فأزيلت تلك القمامة وبني مكانها

كنيسة هائلة مزخرفة بأنواع الزينة ، فهي هذه المشهورة اليوم ببلد بيت المقدس التي يقال لها القمامة باعتبار ما كان عندها ، ويسمونها القيامة يعنون التي يقوم جسد المسيح منها . ثم أمرت هيلانة بأن توضع قمامة البلد وكناسته وقاذوراته على الصخرة التي هي قبلة اليهود فلم تزل كذلك حتى فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس ، فكنس عنها القمامة بردائه وطهرها من الأخباث والأنجاس ، ولم يضع المسجد وراءها ولكن أمامها حيث صلى رسول الله ﷺ ليلة الإسراء بالأنبياء وهو المسجد الأقصى .

صفات عيسى عليه السلام وشمائله وفضائله

قال الله تعالى : ﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ** ﴾ (١) .

قيل سمي المسيح لمسحه الأرض وهو سياحته فيها وفراره بدينه من الفتن في ذلك الزمان ، لشدة تكذيب اليهود له وافترائهم عليه وعلى أمه عليهما السلام .وقيل لأنه كان ممسوح القدمين .

وقال تعالى : ﴿ **ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ** ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ **وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ** ﴾ (٣) والآيات في ذلك كثيرة جداً .

وقد تقدم ماثبت في الصحيحين : « ما من مولود إلا والشيطان يطعن في خاصرته حين يولد فيستهل صارخاً إلا مريم وابنها ، ذهب يطعن فطعن في الحجاب » ، وتقدم حديث عمير ابن هانئ عن جنادة ، عن عبادة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبد الله ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ماكان من العمل » رواه البخاري وهذا لفظه ، ومسلم .

وروى البخاري ومسلم من حديث الشعبي ، عن أبي بردة بن أبي موسى ، عن أبيه ، قال :

---

(١) سورة المائدة الآية ٧٥ .
(٢) سورة الحديد الآية ٢٧ .
(٣) سورة البقرة آيتا ٨٧ ـ ٢٥٣

قال رسول الله ﷺ : « إذا أدب الرجل أمته فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران ، وإذا آمن بعيسى ابن مريم ثم آمن بي فله أجران ، والعبد إذا اتقى ربه وأطاع مواليه فله أجران » هذا لفظ البخاري .

وقال البخاري : حدثنا إبراهيم بن موسى ،أنبأنا هشام ، عن معمر ، وحدثني محمود : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن الزهري ، أخبرني سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « ليلة أسرى بي ولقيت موسى ـ قال : فنعته ـ فإذا رجل حسبته قال : مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة . قال : ولقيت عيسى فنعته النبي ﷺ فقال : ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس ـ يعني الحمام ـ ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به » الحديث .

وقد تقدم في قصتي إبراهيم وموسى .

ثم قال : حدثنا محمد بن كثير ، أنبأنا إسرائيل ، عن عثمان بن المغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : قال النبي ﷺ : « رأيت عيسى وموسى وإبراهيم ، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر . وأما موسى فآدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط » تفرد به البخاري .

وحدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا أبو ضمرة : حدثنا موسى بن عقبة ، عن نافع ، قال : قال عبد الله بن عمر : ذكر النبي ﷺ يوماً بين ظهراني الناس المسيح الدجال فقال : « إن الله ليس بأعور إلا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية ،وأراني الليلة عند الكعبة في المنام فإذا رجل آدم كأحسن مايرى من أدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعاً يديه على منكبي رجلين ، وهو يطوف بالبيت فقلت من هذا ؟

فقالوا : المسيح ابن مريم . ثم رأيت رجلاً وراءه جعداً قططاً أعور عين اليمنى كأشبه من رأيت بابن قطن . واضعاً يده على منكبي رجل يطوف بالبيت فقلت من هذا ؟ فقالوا : المسيح الدجال » .

ورواه مسلم من حديث موسى بن عقبة . ثم قال البخاري : تابعه عبد الله بن نافع . ثم ساقه من طريق الزهري عن سالم بن عمر قال الزهري :وابن قطن رجل من خزاعة هلك في الجاهلية .

فبين صلوات الله وسلامه عليه صفة المسيحين : مسيح الهدي ومسيح الضلالة ، ليعرف هذا إذا نزل فيؤمن به المؤمنون ويعرف الآخر فيحذره الموحدون .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق فقال له : أسرقت ؟ قال : كلا والذي لا إله إلا هو . فقال عيسى : آمنت بالله وكذبت عيني » وكذا رواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق .

وقال أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن حميد الطويل ، عن الحسن وغيره ، عن أبي هريرة قال : ولا أعلمه إلا عن النبي ﷺ قال : « رأى عيسى رجلاً يسرق فقال : يافلان .. أسرقت ؟ فقال : لا والله ما سرقت . فقال : آمنت بالله وكذبت بصري » .

وهذا يدل على سجية طاهرة ، حيث قدم حلف الله الرجل فظن أن أحداً لايحلف بعظمة الله كاذباً على ماشاهده منه عياناً ، فقبل عذره ورجع على نفسه فقال : آمنت بالله . أي صدقتك وكذبت بصري لأجل حلفك .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « تحشرون حفاة عراة غرلاً ثم قرأ : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُه ، وعداً علَيْنا ، إنَّا كُنَّا فاعِلِينَ ﴾ [1] فأول الخلق يكسى إبراهيم ، ثم يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال فأقول أصحابي فيقال : إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح عيسى ابن مريم : ﴿ وكُنْتُ عَلَيْهِم شَهيداً مادُمْت فِيهِم ، فلمّا تَوَفَّيتَني كنْتَ أنتَ الرَّقِيبَ عليْهِم ،وأنْتَ عَلَى كلِّ شَيءٍ شَهيدٌ * إنْ تُعذِّبْهم فإنَّهُم عِبادُكَ ،وإنْ تَغْفِر لَهُم فإنَّك أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [2] تفرد به دون مسلم من هذا الوجه .

وقال أيضاً : حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي : حدثنا سفيان ، سمعت الزهري يقول : أخبرني عبد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس سمع عمر يقول على المنبر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لاتطروني كما أطرت النصاري عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » .

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٤ .
(٢) سورة المائدة آيتا ١١٧ ، ١١٨ .

وقال البخاري : حدثنا إبراهيم ، حدثنا جرير بن حازم ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى ، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج يصلي إذ جاءته أمه فدعته فقال : أجيبها أو أصلي ؟ فقالت : اللهم لاتمته حتي تريه وجوه المومسات . وكان جريج في صومعة فعرضت له امرأة وكلمته فأبي فأتت راعياً فأمكنته من نفسها فولدت غلاما فقيل لها : ممن ؟ قالت : من جريج فأتوه وكسروا صومعته فأنزلوا وسبوه فتوضأ وصلي ثم أتى الغلام فقال : من أبوك ياغلام ؟ قال : فلان الراعي . فقالوا : أنبني صومعتك من ذهب ؟ قال : لا ، إلا من طين . وكانت امرأة ترضع ابناً لها في بني إسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت : اللهم اجعل ابني مثله ، فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال : اللهم لاتجعلني مثله ، ثم أقبل على ثديها يمصه . قال أبو هريرة : كأني أنظر إلى النبي ﷺ يمص إصبعه . ثم مر بأمه فقالت : اللهم لاتجعل ابني مثل هذه . فترك ثديها فقال : اللهم اجعلني مثلها . فقالت : لم ذلك فقال : الراكب جبار من الجبابرة ، وهذه الأمة يقولون سرقت وزنت ، ولم تفعل » .

وقال البخاري : حدثنا أبو اليمان : حدثنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني أبو سلمة ، أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنا أولى الناس بابن مريم ، والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي » .

تفرد به البخاري من هذا الوجه .

ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي داود الحفري ، عن الثوري عن أبي الزناد ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة .

وقال أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفينان ـ وهو الثوري ـ عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أولي الناس بعيسى عليه السلام والأنبياء إخوة أولاد علات ، وليس بيني وبين عيسى نبي » .

وهذا إسناد صحيح على شرطهما ولم يخرجوه من هذا الوجه . وأخرجه أحمد عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه ، وأخرجه ابن حبان من حديث عبد الرزاق نحوه .

قال أحمد : حدثنا يحي ، عن أبي عروبة ، حدثنا قتادة ، عن عبد الرحمن بن آدم ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « الأنبياء إخوة لعلات ، ودينهم واحد وأمهاتهم شتي ، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ،وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه ، فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ، سبط كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل بين ممصرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويعطل الملل حتي تهلك في زمانه كلها غير الإسلام ،ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب ، وتقع الأمنة في الأرض حتي ترتع الإبل مع الأسد جميعاً والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لايضر بعضهم بعضاً فيمكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم يتوفي فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه » .

ثم رواه أحمد عن عفان ، عن همام ، عن قتادة ، عن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة فذكر نحوه . وقال : فيمكث أربعين سنة ، ثم يتوفي ويصلي عليه المسلمون ، ورواه أبو داود عن هدبة ابن خالد ، عن هشام بن يحي به نحوه .

وروى هشام بن عروة ، عن صالح مولى أبي هريرة عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « فيمكث في الأرض أربعين سنة » وقد بينا نزوله عليه السلام في آخر الزمان في كتاب « الملاحم » كما بسطنا ذلك أيضاً في التفسير عند قوله تعالى في سورة النساء : ﴿ **وإنْ مِنْ أهْلِ الكِتاب إلاَّ ليؤْمِنَنَّ بهِ قَبلَ مَوْته ، ويَوْم القِيامَة يَكونُ عَلَيهِم شَهيداً** ﴾ [1] وقوله : ﴿ **وإنَّه لَعِلْمٌ للسَّاعةِ** ﴾ [2] الآية وأنه ينزل على المنارة البيضاء بدمشق وقد أقيمت صلاة الصبح فيقول له إمام المسلمين : تقدم ياروح الله فصل . فيقول : لا ، بعضكم على بعض أمراء مكرمة الله هذه الأمة ، وفي رواية فيقول له عيسى : إنما أقيمت الصلاة لك ، فيصلي خلفه ، ثم يركب ومعه المسلمون في طلب المسيح الدجال فيلحقه عند باب لد فيقتله بيده الكريمة .

وذكرنا أنه قوي الرجاء حتى بنيت هذه المنارة الشرقية بدمشق التي هي من حجارة بيض ،وقد بنيت أيضاً من أموال النصاري حين حرقوا التي هدمت وما حولها ، فينزل عليها عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ولا يقبل من أحد إلا الإسلام ، وأنه يخرج من فج الروحاء حاجًّا أو معتمراً أو لثنتيهما ، ويقيم أربعين سنة ، ثم يموت فيدفن فيما قيل في الحجرة النبوية عند رسول الله ﷺ وصاحبيه .

---

(١) سورة النساء الآية ١٠٩ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٦١ .

وقد ورد ذلك حديث ذكره ابن عساكر في آخر ترجمة المسيح عليه السلام في كتابه عن عائشة مرفوعاً ، أنه يدفن مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر في الحجرة النبوية ، ولكن لايصح إسناده .

وقال أبو عيسى الترمذي : حدثنا زيد بن أخزم الطائي ، حدثنا أبو قتيبة مسلم بن قتيبة ، حدثني أبو مودود المدني ، حدثنا عثمان بن الضحاك ، عن محمد بن يوسف بن عبد الله ابن سلام ، عن أبيه ، عن جده قال : مكتوب في التوراة : صفة محمد وعيسى ابن مريم عليهما السلام يدفن معه . قال أبو مودود ، وقد بقي من البيت موضع قبر .

ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن . كذا قال : والصواب الضحاك بن عثمان المدني .

وقال البخاري : هذا الحديث لايصح عندي ولايتابع عليه .

وروى البخاري عن يحيي بن حماد ، عن أبي عوانة ، عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان قال : الفترة مابين عيسى ومحمد ﷺ ستمائة سنة ، وعن قتادة : خمسمائة وستون سنة . وقيل خمسمائة وأربعون سنة وعن الضحاك أربعمائة وبعض وثلاثون سنة .والمشهور ستمائة سنة ، ومنهم من يقول ستمائة وعشرون بسنة بالقمرية ، ليكون ستمائة الشمسية .. والله أعلم .

وقال ابن حبان في صحيحه : « ذكر المدة التي بقيت فيها أمة عيسى على هديه » : حدثنا أبو يعلى ، حدثنا أبو همام ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن الهيثم بن حميد ، عن الوضين بن عطاء ، عن نصر بن علقمة ، عن جبير بن نفير ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد قبض الله داود من بين أصحابه فما فتنوا ولا بدلوا ولقد مكث أصحاب المسيح على سنته وهديه مائتي سنة » .

وهذا حديث غريب جدًّا ،وإن صححه ابن حبان .

وذكر ابن جرير عن محمد بن إسحاق ، أن عيسى عليه السلام قبل أن يرفع وصى الحواريين بأن يدعوا الناس إلى عبادة الله وحده لاشريك له وعين كل واحد منهم إلى طائفة من الناس في إقليم من الأقاليم من الشام والمشرق وبلاد المغرب ، فذكروا أنه أصبح كل إنسان منهم يتكلم بلغة الذين أرسله المسيح إليهم .

وذكر غير واحد أن الإنجيل نقله عنه أربعة : لوقا ومتى ومرقس ويوحنا ، وبين هذه الأناجيل الأربعة تفاوت كثير بالنسبة إلى كل نسخة ونسخة ، وزيادات كثيرة ونقص بالنسبة

إلى أخرى ، وهؤلاء الأربعة منهم اثنان ممن أدرك المسيح وراءه وهما متي ويوحنا ،ومنهم اثنان من أصحابه وهما مرقس ولوقا .

وكان ممن آمن بالمسيح وصدقه من أهل دمشق رجل يقال له ضينا ،وكان مختفيا في مغارة داخل الباب الشرقي قريباً من الكنيسة المصلبة خوفاً من بولس اليهودي ، وكان ظالماً غاشماً مبغضا للمسيح ولما جاء به ، وكان قد حلق رأس ابن أخيه حين آمن بالمسيح وطاف به في البلد ثم رجمه حتى مات رحمه الله .

ولما سمع بولص أن المسيح عليه السلام قد توجه نحو دمشق جهز بغاله وخرج ليقتله ، فتلقاه عند كوكبا ، فلما واجه أصحاب المسيح جاء إليه ملك فضرب وجهه بطرف جناحه فأعماه ، فلما رأى ذلك وقع في نفسه تصديق المسيح فجاء إليه واعتذر مما صنع ، وآمن به فقبل منه وسأله أن يمسح عينيه ليرد الله عليه بصره ، فقال اذهب إلى ضينا عندك بدمشق في طرف السوق المستطيل من المشرق فهو يدعو لك فجاء إليه فدعا فرد عليه بصره وحسن إيمان بولص بالمسيح عليه السلام أنه عبد الله ورسوله وبنيت له كنيسته باسمه فهي كنيسة بولص المشهورة بدمشق من زمن فتحها الصحابة رضي الله عنهم حتي خرجت .

اختلف أصحاب المسيح عليه السلام بعد رفعه إلى السماء فيه على أقوال ، كما قاله ابن عباس وغيره من أئمة السلف كما أوردناه عند قوله : ﴿ فأيَّدنا الَّذين آمنُوا على عَدوِّهِم فأصبَحوا ظاهرِينَ ﴾

قال ابن عباس وغيره : قال قائلون منهم : كان فينا عبد الله ورسوله فرفع إلى السماء . وقال آخرون : هو الله . وقال آخرون : هو ابن الله .

فالأول هو الحق والقولان الآخران كفر عظيم ، كما قال : ﴿ فاخْتَلف الأحْزابُ مِنْ بَيْنِهِم ، فَويلٌ للَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَد يَوْم عَظِيم ﴾

وقد اختلفوا في نقل الأناجيل على أربعة أقاويل ما بين زيادة ونقصان وتحريف وتبديل .

ثم بعد المسيح بثلاثمائة سنة حدثت فيه الطامة العظمي والبلية الكبرى اختلف البتاركة الأربعة وجميع الأساقفة والقساوسة والشمامسة والرهابين في المسيح على أقوال متعددة لا تنحصر ولا تنضبط ،واجتمعوا وتحاكموا إلى الملك قسطنطين باني القسطنطينية وهم المجمع الأول ، فصار الملك إلى قول أكثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقالات ، فسموا الملكية ودحض من عداهم وأبعدهم ، وتفردت الفرقة التابعة لعبد الله بن أريوس الذي ثبت على أن عيسى عبد من عباد الله ورسول من رسله فسكنوا البراري والبوادي وبنوا الصوامع والديارات والقلايات ، وقنعوا بالعيش الزهيد ولم يخالطوا أولئك الملل والنحل وبنت الملكية الكنائش الهائلة ، عمدوا إلى ما كان من بناء اليونان فحولوا محاريبها إلى الشرق وقد كانت إلى الشمال إلى الجدي .

بيان بناء بيت لحم والقمامة

وبني الملك قسطنطين بيت لحم على محل مولد المسيح ، وبنت أمه هيلانة القمامة ، يعني على قبر المصلوب وهم يسلمون لليهود أنه المسيح .

وقد كفرت هؤلاء وهؤلاء ووضعوا القوانين والأحكام . ومنها مخالف للعتيقة التي هي التوراة ، وأحلوا أشياء هي حرام بنص التوراة ومن ذلك الخنزير ، وصلوا إلى المشرق ولم يكن

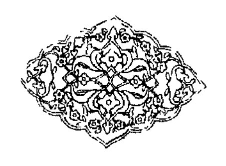
المسيح صلى إلا إلى صحرة بيت المقدس ، وكذلك جميع الأنبياء بعد موسى ، ومحمد خاتم النبيين صلى إليها بعد هجرته إلى المدينة ستة عشر ـ أو سبعة عشر ـ شهراً ثم حول إلى الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل .

وصوروا الكنائس ولم تكن مصورة قبل ذلك ، ووضعوا العقيدة التي يحفظها أطفالهم ونساؤهم ورجالهم التي يسمونها بالأمانة ، وهي في الحقيقة أكبر الكفر والخيانة .

وجميع الملكية والنسطورية أصحاب نسطورس أهل المجمع الثاني ، واليعقوبية أصحاب يعقوب البراذعي أصحاب المجمع الثالث ، يعتقدون هذه العقيدة يختلفون في تفسيرها .

وهاأنا أحكيها ـ وحاكي الكفر ليس بكافر لابث ـ على ما فيها من ركة الألفاظ وكثرة الكفر والخبال المفضي بصاحبه إلى النار ذات الشواظ فيقولون :

« نؤمن بإله واحد ضابط الكل خالق السموات والأرض كل مايرى وكل ما لايرى ، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل الدهور نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق مساو للأب في الجوهر الذي كان به كل شيء ، من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومن مريم العذراء وتأنس وصلب على عهد ملاطس النبطي وتألم وقبر وقام في اليوم الثالث كما في الكتب وصعد إلى السماء وجلس على يمين الأب ، وأيضاً فسيأتي بجسده ليدبر الأحياء والأموات الذي لافناء لملكه ، وروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب مع الأب ، والابن مسجود له وبمجد الناطق في الأنبياء كنيسة واحدة جامعة مقدسة يهولية ،واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا وأنه حي قيامة الموتي وحياة الدهر العتيد كونه .. آمين » .



الفهرس

صفحة


مصر للتأمين
أربــاح
التأمين المختلط مع الإشتراك في الأرباح
هذا العام
٦٠
جنيهًا سنويًا
لكل مبلغ تأمين قدره ألف جنيه
ناصر

رقم الإيداع ٣٩٠٧ / ١٩٩٠

مطابع الأوفست
بشركة الإعلانات الشرقية



بسم الله الرحمن الرحيم
"وأتموا الحج والعمرة لله" صدق الله العظيم
مصر للطيران
القاهرة / جـدة / القاهرة
يومياً
مصر للطيران
تتمنى لكم عمرة .. مباركة

الثمن ٣٠٠ قرش